إدجار رايس بوروز

أمير الحرب في المريخ

رواية



ترجمة : شهرت العالم

آفاق للنشر والتوزيع
AFAQ BOOKS

- Author : Edgar Rice Burroughs
- Title: Warlord of Mars
- Translated by: Shohrat Al Alem
- Afaq's first edition: 2019
- Cover Design by: Amr El Kafrawy
- Publishing Consultant: Sawsan Bashier
- General Manager: Mostafa Alsheikh

- المؤلف: إدجار رايس بوروز
- العنوان: أمير الحرب في المريخ
- ترجمة: شهرت العالم
- طبعة آفاق الأولى 2019
- تصميم الغلاف: عمرو الكفراوي
- مستشار النشر: سوسن بشير
- المدير العام: مصطفى الشيخ



رقم الإيداع:
٢٠١٨ / ١٦٧٥٧

الترقيم الدولي: ISBN
978 - 977 - 765 - 177 - 6

Afaq Bookshop & Publishing House

1 Kareem El Dawla st. - From Mahmoud Basiuny st. Talaat Harb
CAIRO – EGYPT - Tel: 00202 25778743 - 00202 25779803 Mobile: +202-01111602787
E-mail:afaqbooks@yahoo.com – www.afaqbooks.com

١ شارع كريم الدولة- من شارع محمود بسيوني – ميدان طلعت حرب- القاهرة – جمهورية مصر العربية
ت: ٢٥٧٧٨٧٤٣ ٠٠٢٠٢ – ٢٥٧٧٩٨٠٣ ٠٠٢٠٢ – موبايل: ٠١١١١٦٠٢٧٨٧

إدجار رايس بوروز

أمير الحرب في المريخ

رواية

ترجمة

شهرت العالم

آفاق للنشر والتوزيع

بطاقة الفهرسة

إعداد الهيئة العامة لدار الكتب والوثائق القومية

إدارة الشؤون الفنية

بوروز، إدجار رايس.

إدجار رايس بوروز : أمير الحرب في المريخ

ترجمة: شهرت العالم

ط1 القاهرة - دار آفاق للنشر والتوزيع - 2019

240 ص، 21 سم.

رقم الإيداع 16757 / 2018

الترقيم الدولي 6 - 177 - 765 - 977 - 978

1 - الأدباء (روايات)

2 - بوروز، إدجار رايس

(١)

عند نهر إيس[1]

في ظلال الغابة التي تحيط بالسهل القرمزي، على جانب بحر كوراس المفقود في وادي دور، وتحت أقمار كوكب المريخ التي تندفع مسرعة عبر طريقها النيزكي فوق الكوكب الآخذ في الاحتضار، تسللتُ خلسةً متبعًا أثر شيء ضبابي يتشبث بأكثر الأماكن قتامة، وبعناد ينم عن طبيعة مهمته الشريرة.

لقد بقيتُ ستة أشهر مريخية طويلة تطاردني الأشباح بالقرب من معبد الشمس الكريه، حيث توجد أميرتي مدفونة في بئره الذي يدور ببطء على مسافة بعيدة تحت سطح المريخ- دون أن أعرف إنْ كانت حيةً أو ميتةً. هل وجد سكين فايدور الصغير طريقه إلى قلب أميرتي الحبيبة؟ الزمن وحده سيكشف الحقيقة.

---

(١) نهر إيس: النهر الوحيد المتبقي على المريخ، ولعصور طويلة ظلت الأعراق المريخية الخضراء والحمراء تتخذ طواعية رحلة الحج إلى نهر إيس عند بلوغ سن ألف عام، حيث يعتقدون أنهم سيجدون عنده الحياة الأخرى - *http://barsoom.wikia.com/wiki/River_Iss.* (المترجمة).

كان يجب أن يمر ٦٨٧ يومًا مريخيًا قبل أن يأتي باب الزنزانة مرةً أخرى أمام نهاية النفق، حيث كانت آخر مرة أرى فيها أميرتي الجميلة دائمًا ديجاه ثوريس.

ينتهي نصف هذه الأيام المريخية اليوم، أو ربما غدًا، لكن المشهد الأخير لا يزال حيًا في ذاكرتي بعد أن طمس كل ما حدث قبله أو بعده. لا يزال المشهد الأخير حيًّا أمامي، وعاصفة الدخان تعمي عيني. والشق الضيق الذي منحتي نظرة داخل زنزانتها، ينغلق بيني وبين أميرة هيليوم(٢) لمدة سنة مريخية طويلة.

كأنما حدث ذلك كله بالأمس. لا أزال أرى وجه فايدور الجميل، ابنة ماتاي شانج، مشوهًا بغضب الغيره والكراهية وهي تنطلق بخنجرها نحو المرأة التي أحببتها.

رأيتُ أيضًا الفتاة الحمراء ثوفيا، من بتارث، وهي تقفز نحوهما لتحول دون هذا الفِعل البشع.

ثم امتد الدخان المنبعث من المعبد المحترق ليخفي هذه المأساة، لكن أذني التقطت رنين صرخة واحدة مع سقوط السكين. ثم ساد صمت، وعندما انقشع الدخان، كان المعبد الدوار قد حجب أي رؤية أو صوت من الغرفة التي سُجنت فيها النساء الثلاث الجميلات.

كان هناك الكثير الذي يمكن أن يشغل انتباهي منذ تلك اللحظة الرهيبة؛ لكن ذكرى ذلك الموقف لم تغب أبدًا للحظة عن ذهني، وكل

---

(٢) هيليوم: إحدى الممالك الكبرى في برسوم/ المريخ - http://barsoom.wikia.com/wiki/He-lium. (المترجمة).

الوقت الذي كان يمكنني توفيره من الواجبات العديدة التي آلت إليَّ لإعادة بناء حكومة «الأبناء الأوائل»(٣)، منذ أن انتصر عليهم أسطولنا وقواتنا الأرضية، قد أنفقته بالقرب من البئر القاتم الذي احتجز أم ابني كارثوريس من هيليوم.

لقد كان عِرق السود يعبد إيسوس، إلهة المريخ الزائفة، لعصور طويلة. وقد كان موطنهم في حالة من الفوضى بعد أن كشفت لهم أنها ليست أكثر من امرأة عجوز شريرة. وفي فورة غضبهم، مزقوها إلى أشلاء.

انجرف الأبناء الأوائل من ذروة غرورهم إلى أعماق المهانة. فقد انتهت هذه الإلهة، وانتهى معها كل نسيج دينهم المزيف. سقط أسطولهم البحري المتبجح بعد هزيمته أمام سفن هيليوم المتفوقة ومقاتليها من الرجال الحُمر.

امتطى المحاربون الخُضر الأشداء، من قيعان البحر الأصفر الشاحب بالجزء السطحي من المريخ، حيوانات الثوات(٤) الجامحة

---

(٣) الأبناء الأوائل هم العرق الأسود في المريخ - *http://barsoom.wikia.com/wiki/Special:Search?query=First+Born+* . (المترجمة).

(٤) الثوات: حيوان مريخي يبلغ ارتفاعه عشرة أقدام، ولديه أربع أرجل على كل جانب، وذيله عريض مُسطح وحجمه عند الطرف أكبر منه عند المنبت، ويمتد مباشرة خلفه عندما يجري؛ وفمه مفتوح يقسم رأسه من أنفه إلى عنقه الطويل الضخم. وهو خالٍ تمامًا من الشعر، ولون بشرته هو الرمادي الذي تشوبه الزُرقة. أما بطنه فلونه أبيض، ويتدرج لون سيقانه بظلال من لون الكتفين فالوركين وصولًا إلى اللون الأصفر الزاهي عند أقدامه. والأقدام نفسها شديدة الامتلاء وبلا أظافر، مما يسهم أيضًا في تحركه دون ضوضاء؛ وهو الأمر الذي يُشكل، إضافة إلى تعدُّد سيقانه وهي سمة مميزة لحيوانات المريخ - *http://barsoom.wikia.com/wiki/Thoat*. (المترجمة).

عبر حدائق معبد إيسوس المقدسة؛ وجلس تارس تاركاس، جيداك[٥] ثارك، وهو أشدهم وأشرسهم، على عرش إيسوس حاكمًا على الأبناء الأوائل، بينما كان الحلفاء يقررون مصير الأمة المهزومة.

اتفق الجميع تقريبًا على أن أجلس على عرش الرجال السود القديم، حتى الأبناء الأوائل نفسهم كانوا يؤيدون ذلك؛ لكنني لم أستطع تلبية طلبهم. فلا يمكن أبدًا أن يوجد قلبي مع العِرق الذي ذاقت أميرتي وابني الإهانات على يديه.

وبناء على اقتراحي، أصبح زودار هو جيداك الأبناء الأوائل. فقد كان يشغل منصب داتور، أو أمير، إلى أن جردته إيسوس من رتبته؛ ولذا كانت صلاحيته لهذا المنصب الرفيع لا جدال فيها.

وهكذا أمكن ضمان السلام في وادي دور؛ إذ تفرق المحاربون الخُضر في قيعان بحارهم المقفرة، بينما عدنا -نحن أهل هيليوم- إلى بلدنا. وهنا في هيليوم، طُلِب مني مرة أخرى أن أجلس على العرش؛ فلم تصل أي كلمة من الزعماء المفقودين: جيداك هيليوم، أو تاردوس مورس (جد ديجاه ثوريس)، أو ابنه مورس كاجاك، أو جِد[٦] هيليوم (والد ديجاه ثوريس).

مضى أكثر من عام منذ خروج هؤلاء الزعماء لاستكشاف نصف الكرة الشمالي للمريخ بحثًا عن كارثوريس، وفي النهاية لم يكن أمام

---

(٥) جيداك: ما يعادل الإمبراطور
http://barsoom.wikia.com/wiki/Special:Search?query=Jeddak. (المترجمة).

(٦) جِد: الجِد هو لقب قائد مدينة أو جماعة - *http://barsoom.wikia.com/wiki/Jed.* (المترجمة).

شعبهم المكلوم سوى قبول الشائعات الغامضة حول وفاتهم باعتبارها حقيقة، تلك الشائعات التي تسربت من المنطقة المتجمدة في القطب.

رفضتُ العرش مرة أخرى؛ ذلك أنني لم أكن أعتقد أن أيًا من تاردوس مورس الجبار أو ابنه الذي لا يقل مهابة، قد مات.

قلتُ لنبلاء هيليوم المجتمعين: «فليحكمهم واحدٌ من دمهم إلى حين عودتهم»، وكنت أخاطب النبلاء وأنا أقف عند منصة الحقيقة بجوار عرش الحق في معبد الجزاء، من الموقع نفسه الذي وقفتُ فيه منذ عام عندما أعلن زات أراس حكم الإعدام ضدي.

خطوتُ خلال حديثي إلى الأمام، ووضعتُ يدي على كتف كارثوريس الذي كان يقف في صدارة دائرة النبلاء التي تحيط بي.

رفع النبلاء والناس أصواتهم معًا في هتاف طويل من الاستحسان. وانطلق عشرة آلاف سيف من غمده، وقدم مقاتلو هيليوم القديمة العظماء التحية لكارثوريس، جيداك هيليوم.

كان توليه للمنصب إما لمدى الحياة، وإما لحين عودة جده الأكبر، أو جده المباشر. وبعد أن انتهيتُ راضيًا من ترتيب هذا الواجب المهم لهيليوم، بدأتُ رحلتي في اليوم التالي إلى وادي دور؛ لكي أبقى قريبًا من معبد الشمس إلى أن يحين اليوم المصيري الذي يشهد فتح زنزانة السجن المدفونة فيه حبيبتي المفقودة.

تركتُ هور فاستوس وكانتوس كان، فضلًا عن المفوضين النبلاء الآخرين، مع كارثوريس في هيليوم؛ بغية أن يفيد من حكمتهم

وشجاعتهم وإخلاصهم في أداء المهام الشاقة التي انتقلت إليه. ولم يرافقني سوى وولا، كلبي المريخي.

انطلق في أعقابي ليلًا بهدوء حيواني الشرس المخلص. كان كبيرًا مثل فرس شتلاند، ورأسه بشعٌ وأنيابه مخيفة. كان مشهدًا رائعًا بحق، حيث تسلل ورائي على سيقانه العشر القصيرة ذات العضلات؛ لكنه بالنسبة لي كان تجسيدًا للحب والولاء.

رأيت الشيء الضبابي الذي اقتفى أثره، واتضح أنه الداتور(٧) الأسود ثوريد، من الأبناء الأوائل، الذي اكتسبت عداءه الأبدي عندما أسقطته ذلك اليوم بيدي العاريتين في فناء معبد إيسوس، وقيدته بعتاده الحربي أمام النبلاء من الرجال والنساء الذين كانوا قبلها بلحظة يمجدون بسالته.

وقد بدا قابلًا -مثله مثل العديد من زملائه- النظام الجديد بطيب خاطر، وأقسم الولاء لزودار، حاكمه الجديد. لكنني كنتُ أعرف أنه يكرهني، وكنت على يقين أن قلبه مملوءٌ بالحسد والكراهية لزودار. ولذا، بقيت أراقب تحركاته ذهابًا وإيابًا، إلى أن أصبحت مقتنعًا في النهاية أنه منشغل بنوع ما من الدسائس.

لاحظتُ عدة مرات أنه يغادر مدينة الأبناء الأوائل ذات الأسوار بعد حلول الظلام، متخذًا طريقه إلى وادي دور القاسي والمروع، حيث لا يوجد أي عمل شريف يمكن أن يؤديه أي رجل.

---

(٧) داتور: هو لقب الأمير بين المريخيين السود في وادي دور. http://barsoom.wikia.com/wiki/Dator. (المترجمة).

والليلة، تحرك بسرعة على طول حافة الغابة حتى تجاوز بصر المدينة أو صوتها، ثم استدار عند المرجة القرمزية متجهًا نحو شاطئ بحر كوراس المفقود.

تأرجحت أشعة القمر القريب منخفضة عبر الوادي، ولمست عتاده المرصع بالجواهر التي تبعث بألف ضوء مختلف، وبشرته الملساء ذات اللون الأبنوسي اللامع. أدار رأسه مرتين إلى الوراء نحو الغابة، كمَن يتحسس طريقة نحو أداء مهمة شريرة، مع شعوره بالاطمئنان الكامل من عدم وجود مَن يلاحقه.

لم أخاطر بتتبعه تحت ضوء القمر؛ فأفضل ما يناسب خططي ألَّا أقاطع مهمته. تمنيتُ أن يصل إلى وجهته مطمئنًا، وأن أعرف أين تقع وجهته هذه، وما المهمة التي تنتظر هذا الجوال الليلي.

ولذا بقيتُ مختبئًا حتى اختفى ثوريد وراء حافة الضفة المنحدرة بجوار البحر، على بُعد رُبع ميل. ثم أسرعت، يتبعني وولا، في العراء خلف الداتور الأسود.

كان صمت القبور يخيم على وادي الموت الغامض، يربض بعمق في عشه الدافئ رابضًا في المنطقة الغائرة بالقطب الجنوبي للكوكب الآخذ في الاحتضار. وعلى مسافة بعيدة، رفعت المنحدرات الذهبية وجوهها الحاجزة القوية نحو السماء التي تضيئُها النجوم؛ وتألقت معادنها ومجوهراتها الثمينة تحت ذلك الضوء الرائع لقمري المريخ الرائعين.

وكانت الغابات خلفي، مشذبةً ومقلمةً مثل المرجة المُنسقة

كالحديقة، بفِعل تغذية رجال النبات[٨] الغيلان عليها.

يمتد أمامي بحر كوراس المفقود، بينما يلمح بصري على مسافة أبعد شريط نهر إيس اللامع، نهر الغموض، الذي ينبع من أسفل المنحدرات الذهبية ليصب في بحر كوراس الذي ظل لعدد لا يُحصى من العصور ينقل المريخيين المخدوعين المستائين من العالم الخارجي عبر رحلة الحج الطوعي إلى هذه السماء الوهمية.

كان رجال النبات بأيديهم الماصة للدماء، والقرود البيضاء الوحشية التي تجعل وادي دور بشعًا خلال النهار، تختفي في مخابئها ليلًا.

لم يعُد هناك أي ثيرني مقدس[٩] يطل من الشرفة عند المنحدرات الذهبية فوق نهر إيس لاستدعاء زملائه بصرخته الغريبة لالتهام الضحايا القادمين عبر نهر إيس وحضنه البارد الواسع.

أزالت القوات البحرية لهليوم والأبناء الأوائل قلاع ومعابد الثيرن، بعدما رفضوا الاستسلام وقبول النظام الجديد الذي قد اقتلع دينهم المزيف من المريخ الذي طالت معاناته.

لقد ظلوا يحتفظون بقوتهم القديمة في عدد قليل من البلدان المنعزلة؛ لكن هيكادورهم[١٠] ماتاي شانج -الأب الثيرني- طُرِد من

(٨) رجال النبات: هم عِرق شبيه بمصاصي الدماء، يقتاتون على النباتات ودماء الحيوانات، يسكنون في وادي دور، ولونهم أزرق، ويسيرون على قدمين - http://barsoom.wikia.com/wiki/Plant_Men. (المترجمة).

(٩) الثيرنيون أو الثيرن المقدسون: هم عِرق مريخي أبيض البشرة وأصلع، يرتدون باروكات شقراء، ويتمتعون بقوى عقلية خارقة - http://barsoom.wikia.com/wiki/Thern. (المترجمة).

(١٠) هيكادور: لقب زعيم الثيرن المقدسين - http://barsoom.wikia.com/wiki/Hekkador. (المترجمة).

معبده. بذلنا محاولات مضنية للإمساك به؛ لكنه تمكن من الهرب مع عدد قليل من المخلصين له، واختبأ في مكان لم نعرفه.

اقتربتُ بحذر من حافة الهاوية المنخفضة المطلة على بحر كوراس المفقود، ورأيت ثوريد يندفع فوق حضن الماء المتلألئ في قارب صغير -أحد تلك المصنوعات الغريبة من العصر الذي لا يمكن تصوره، حيث اعتاد الثيرن المقدسون، ومعهم مجموعة الكهنة والثيرن الأقل مرتبة، على الانتشار على طول ضفاف نهر إيس؛ لتيسير رحلة ضحاياهم الطويلة.

توجد على الشاطئ عدة قوارب مماثلة، يضم كل منها عند أحد أطرافه سارية طويلة، ومجدافًا عند الطرف الآخر. وصل ثوريد إلى الشاطئ، وعندما غاب عن النظر وراء صخرة شاطئية قريبة، دفعت أحد القوارب إلى الماء، وناديت على وولا ليأتي معي، وابتعدت عن الشاطئ.

حملتني مطاردتي لثوريد على طول حافة البحر إلى مصب نهر إيس. كان القمر البعيد يقع بالقرب من الأفق، ويُلقي بظلال كثيفة أسفل المنحدرات عند أطراف الماء. أما ثوريا، القمر القريب، فقد غرُب ولن يرتفع مرة أخرى قبل أربع ساعات تقريبًا، ولذا كنت على يقين أن الظلام سيخفيني طوال ذلك الوقت على الأقل.

استمر المحارب الأسود يتحرك إلى أن وصل أمام مصب نهر إيس. استدار، دون أن يتردد للحظة، عبر النهر القاتم، وأخذ يجدف بثبات ضد التيار القوي.

تحركت خلفه ومعي وولا مقتربين منه. كان الرجل شديد العزم على إجبار قاربه على الحركة أعلى النهر؛ ليكشف ما إذا كانت هناك أعين وراءه، ثم انطلق إلى الشاطئ عندما انخفضت قوة التيار.

وصل الآن إلى مدخل كهف مظلم في مواجهة المنحدرات الذهبية، التي يصب النهر خلالها. ودفع بقاربه داخل الظلام الجهنمي.

بدت محاولة تتبعه ميؤوسًا منها، حيث لم أكن قادرًا على رؤية يدي عندما أرفعها أمام وجهي. وكنت على وشك التخلي عن مطاردته والعودة إلى مصب النهر انتظارًا لعودته، عندما أظهر منعطفٌ مفاجئٌ لمعانًا باهتًا في الأمام.

أصبح طريقي مرئيًا بوضوح مرة أخرى. ومع زيادة ضوء الصخر الفسفوري المطمور في قطع كبيرة بسقف الكهف المقوس تقريبًا، لم أجد أي صعوبة في متابعته.

إنها زيارتي الأولى إلى حضن نهر إيس، والأشياء التي رأيتها هناك ستعيش إلى الأبد في ذاكرتي.

كانت أشياء رهيبة، لكنها لا يمكن أن تقترب من تلك الظروف الرهيبة التي جعلتني ومعي تارس تاركاس، المحارب الأخضر العظيم، وزودار، الداتور الأسود، نجلب ضوء الحقيقة إلى العالم الخارجي ونوقف اندفاع الملايين المجنون إلى رحلة الحج الطوعي، التي كانوا يعتقدون أنها تنتهي بهم في أحد الأودية الجميلة المملوءة بالسلام والسعادة والحب.

وإلى الآن لا تزال الجزر المنخفضة الممتدة عبر المجرى الواسع تختنق بالهياكل العظمية والجثث نصف المُلتَهمة لأولئك الذين توقفوا عن إكمال رحلتهم، إما من خوفهم، وإما لصحوة مفاجئة أدركوا خلالها الحقيقة.

في ظل الرائحة الفظيعة لجزر الموت المخيفة هذه، كان المتعجرفون يصرخون ويهدرون ويقاتلون بين البقايا الممزقة في أعيادهم المروعة. وبينما يشتبكون مع بعضهم البعض للفوز بالجثث التي تضم عظامًا نظيفةً، كان الضعفاء غذاءً للأقوياء؛ أو يمسكون بأيدٍ تشبه المخالب الأجسادَ المتضخمة التي جرفها التيار.

لم يلق ثوريد بالًا على الإطلاق للأشياء التي تصرخ مهددةً أو متوسلةً، حسبما يوجهها مزاجها- من الواضح أنه كان معتادًا على المشاهد البشعة التي تحيط به. تابع طريقه أعلى النهر، ربما لمسافة ميل؛ ثم عبر إلى الضفة اليسرى، ووضع قاربه على نتوء منخفض يقع تقريبًا على نفس مستوى المياه.

لم أخاطر بمتابعته عبر التيار؛ لأنه كان سيراني بالتأكيد. ولذا وقفتُ بالقرب من الجدار المقابل، أسفل كتلة متدلية من الصخور التي تُلقي بظلال كثيفة. فمن هنا يمكنني مشاهدة ثوريد دون المخاطرة بأن يكتشف وجودي.

كان الرجل الأسود يقف على الحافة بجوار قاربه، ينظر إلى أعلى النهر كأنما يتوقع وصول شخص من هذا الاتجاه.

لاحظت خلال وجودي أسفل الصخور الداكنة أن تيارًا قويًا بدأ

يتدفق مباشرة نحو وسط النهر، بحيث أصبح من العسير أن أحافظ على قاربي في موقعه. توغلت أبعد في الظلال علَّني أجد دعامةً على الشط؛ لكني لم أجد شيئًا على الرغم من أنني مشيت لعدة ياردات. وعندما أدركتُ أنني سرعان ما سأصل إلى نقطة لا يمكنني منها رؤية الرجل الأسود، اضطررت إلى البقاء حيث كنت، متمسكًا بموقعي قدر ما أستطيع عن طريق التجديف بقوة ضد التيار الذي يتدفق تحت الكتلة الصخرية ورائي.

لم أستطع أن أتخيل ما قد يسبب هذا التدفق الجانبي القوي؛ ذلك أن المجرى الرئيس للنهر كان مرئيًا بوضوحٍ أمامي حيث جلست، ويمكنني رؤية تقاطعه المتموج والتيار الغامض الذي أثار فضولي.

وبينما أتأمل هذه الظاهرة، لفت انتباهي فجأة ثوريد الذي رفع راحة يديه إلى الأمام فوق رأسه مؤديًا التحية المريخية العامة، وبعدها بلحظة قال كلمة الترحيب البرسومية "كاور!"، بصوت منخفض وإن كان بنبرة متميزة.

أدرتُ بصريِ نحو أعلى النهر في اتجاه بصره. والآن، ظهر في نطاق مجال بصري المحدود قارب طويل يضم ستة رجال؛ يمسك خمسة منهم بالمجاديف، بينما يجلس السادس في مقعد الشرف.

كانت بشرتهم بيضاء، ويغطي الشَّعر الأصفر المتدفق المستعار رؤوسهم الصلعاء، وتلتف الأكاليل الذهبية الرائعة حول جباههم علامة على أنهم من الثيرن المقدسين.

وعندما توقفوا بجوار الحافة التي ينتظرهم ثوريد عندها، نهض

الرجل الذي يجلس عند مقدمة القارب وخطا نحو الشاطئ. وعندئذٍ رأيت أنه لم يكن سوى ماتاي شانج، الأب الثيرني الأعلى.

تعجبتُ من الود الواضح الذي تبادل به الرجلان التحايا، فرجال برسوم السود والبيض يتوارثون العداء- لم أعرف أبدًا من قبل أي لقاءٍ يجمع بينهما إلا معركة.

من الواضح أن الانتكاسات التي ألمت مؤخرًا بالشعبين أدت إلى تحالف بين هذين الشخصين -على الأقل ضد العدو المشترك-، والآن رأيت لماذا كان ثوريد يخرج في كثير من الأحيان إلى وادي دور ليلًا، وعرفتُ أن طبيعة تآمره ربما تستهدف توجيه ضربة لي أو لأصدقائي.

تمنيت أن أجد بقعة أقرب إلى الرجلين يمكنني منها الاستماع إلى حديثهما؛ لكن محاولة عبور النهر ليست واردةً الآن، ولذا بقيت كامنًا أرقبهم بهدوء، بما لا يتيح لهما معرفة مدى قربي منهما، وهزيمتي وقتلي بسهولة بقوتهما المتفوقة.

أشار ثوريد عدة مرات عبر النهر في اتجاهي، لكنني لم أعتقد للحظة أن إيماءاته تتعلق بي. دخل الآن هو وماتاي شانج إلى قارب الأخير، وأخذ القارب يتأرجح في النهر في اتجاهي.

ومع اقترابهما، أبعدتُ قاربي إلى أسفل الجدار المتدلي. واتضح أخيرًا أن قاربهم يتخذ المسار نفسه. قاد المجدفون الخمسة القارب الأكبر للأمام بسرعة ليس بمقدور طاقاتي مساواتها.

كنت أتوقع في كل لحظة أن أشعر بتحطم مقدمة قاربي على

الصخور الصلبة. لم يعُد الضوء القادم من النهر مرئيًا، لكني رأيت أمامي مسحة باهتة من إشعاع بعيد، والمياه أمامي لا تزال مفتوحة.

وأخيرًا، بزغ فجر الحقيقة: كنتُ أتبع نهرًا جوفيًا يصب في نهر إيس، في نفس البقعة التي أختبئ فيها.

اقترب المجدفون كثيرًا مني. غطَّى ضجيج المجاديف على صوت وجودي، لكن الضوء القادم المتزايد يمكن أن يكشفني في أي لحظة.

ليس لديَّ وقت أضيعه. ومهما كان الإجراء الذي سأتخذه، يجب أن أتخذه على الفور. قمت بأرجحة مقدمة قاربي نحو اليمين، ساعيًا نحو الجانب الصخري من النهر. وهناك استلقيتُ، بينما اقترب ماتاي شاتج وثوريد من منتصف الجدول، الذي كان أضيق كثيرًا من نهر إيس.

عندما اقتربا، سمعتُ صوت جدال ثوريد والأب الثيرني.

كان الداتور الأسود يقول: "لا أرغب سوى في الانتقام من جون كارتر، أمير هيليوم. أنا لا أنصب لك فخًا. فما الذي يمكنني أن أكسبه بخياناتك، وهم مَن دمروا أُمَّتي وبيتي؟".

أجاب الهيكادور: "لنتوقف هنا للحظة كي أسمع خططك، ثم نصل إلى فهم أفضل لواجباتنا والتزاماتنا".

وأصدر أمره إلى الـمُجدفين، فأحضروا القارب في اتجاه الشاطئ على مسافة لا تزيد على عشر خطوات خلف الموقع الذي أكمن فيه.

لو توقفوا أسفل موقعي، لكانوا رأوني بالتأكيد في هذا التوهج الخافت للضوء؛ لكنهم توقفوا أخيرًا في موقع يجعلني في مأمن من

الكشف، كأن أميالًا تفصل بيننا.

أثارت الكلمات القليلة التي سمعتها فضولي، وكنت متلهفًا إلى معرفة طريقة الانتقام مني التي يخطط لها ثوريد. ولم تطل فترة انتظاري. أصغيتُ باهتمام.

قال ثوريد: "ليس هناك أي التزامات أيها الأب الثيرني. ثوريد، داتور إيسوس، ليس له ثمن. عند إنجاز المهمة، يسعدني أن تعد لي استقبالًا جيدًا يليق بنسبي العريق ورتبتي النبيلة، في بلاط لا يزال مواليًا لعقيدتك القديمة؛ إذ لا يمكنني العودة إلى وادي دور أو أي مكان آخر يخضع لسلطة أمير هيليوم. على أنني لا أطلب ذلك حتى- بل سأترك الأمر وفقًا لرغبتك".

أجاب ماتاي شانج: "لك ما تريد يا داتور. وهذا ليس كل شيء؛ ستتمتع بالسُّلطة والثروات إذا استعدت لي ابنتي فايدور، ووضعت بين سلطتي ديجاه ثوريس، أميرة هيليوم".

"آه"، تابع بزمجرة خبيثة، "لكن الرجل القادم من كوكب الأرض يجب أن يعاني لما سببه من إهانات لمقدساتنا، يجب ألَّا يُلحق أي خسيس بالأميرة أي إيذاء. أريدها تحت سلطتي لأجبره على أن يشهد إذلال وإهانة المرأة الحمراء".

قال ثوريد: "سوف تشق طريقك معها قبل أن يمر يوم آخر، ماتاي شانج، ما إن تقول كلمتك".

أجاب ماتاي شانج: "لقد سمعت عن معبد الشمس يا داتور، لكنني

لم أسمع أبدًا عن إطلاق سراح سجنائه قبل انقضاء العام المخصص لسجنهم. كيف يمكنك إذنْ إنجاز المستحيل؟".

قال ثوريد: "يمكن الوصول إلى أي زنزانة في المعبد في أي وقت. لم يكن أحد يعرف الطريق سوى إيسوس؛ لكنها لم تكن لتكشف أبدًا أيًا من أسرارها أكثر من الضروري. وقد عثرت بالصدفة، بعد وفاتها، على مخطط قديم للمعبد، وهناك وجدت مستندًا شديد الوضوح يحدد أكثر الاتجاهات دقة للوصول إلى الزنازين في أي وقت. وقد عرفت أكثر من ذلك؛ عرفت أن العديد من الرجال كانوا يذهبون في الماضي إلى هناك بناء على طلب إيسوس، في مهمات دائمة لقتل وتعذيب السجناء. لكن أولئك الذين تعرفوا على ذلك الطريق السري، كان المعتاد أنهم يموتون في ظروف غامضة بمجرد عودتهم وتقديم تقاريرهم إلى إيسوس القاسية".

وأخيرًا قال ماتاي شانج: "فلنشرع إذنْ. يجب أن أثق بك، لكنك في الوقت نفسه يجب أن تثق بي، فنحن ستة وأنت شخص واحد".

أجاب ثوريد: "أنا لا أخاف، ولا حاجة لك للخوف. فكراهيتنا لعدو مشترك تكفي لضمان ولائنا لبعضنا البعض. وبعد أن ندمر أميرة هيليوم، سيظل هناك سبب أكبر للحفاظ على ولائنا- ما لم أكن قد أخطأت كثيرًا في انفعال سيدها".

تحدث ماتاي شانج مع المجدفين. وتحرك القارب في اتجاه أعلى الرافد.

منعتُ نفسي بصعوبة من الانقضاض على هذين المتآمرين

الخسيسين وذبحهما، فسرعان ما أدركتُ مدى تهور وجنون هذا الهجوم الذي كان يمكن أن يقضي على الرجل الوحيد الذي يمكن أن يقود الطريق إلى سجن ديجاه ثوريس قبل أن تدور السنة المريخ الطويلة في دائرتها اللا نهائية.

إذا كان عليه أن يقود ماتاي شانج إلى تلك البقعة المقدسة، إذنْ عليه أيضًا أن يقود جون كارتر، أمير هيليوم.

تأرجحتُ ببطء بمجداف صامت في أعقاب ذلك القارب الكبير.

* * *

(٢)

أسفل الجبال

مع تقدمنا أعلى النهر الذي يتجه أسفل المنحدرات الذهبية، منطلقًا من أحشاء جبال أوتز لتختلط مياهه بالمياه الداكنة بالمياه القاتمة لنهر إيس الغامض، تنامى التوهج الخافت الذي ظهر أمامنا وتحول تدريجيًا إلى تألق يلف كل شيء.

أخذ النهر يتسع إلى أن ظهر جانب بحيرة كبيرة ذات قبة محدبة، ومضاءة بصخور فسفورية لامعة، وتتناثر فوقها أشعة مشرقة من الماس والياقوت الأزرق والأحمر، وعدد لا حصر له من مجوهرات مجهولة في برسوم، مغروزة في الذهب النقي الذي يشكل الجزء الأكبر من هذه المنحدرات الرائعة.

خيم الظلام خارج تجويف البحيرة المضاء. ولم أستطع أن أخمن حتى ما يكمن وراء هذا الظلام.

كانت متابعة قارب الثيرني عبر المياه اللامعة بمثابة دعوة للكشف عن وجودي على الفور. لذا، وعلى الرغم من كراهيتي للسماح بمرور

ثوريد حتى ولو للحظة بعيدًا عن بصري، فقد اضطررت للانتظار في الظل إلى أن يغيب القارب الآخر بعيدًا عن بصري على بُعدٍ يقع في أقصى البحيرة.

وعندئذٍ بدأت أجدف فوق السطح اللامع في الاتجاه الذي اتخذوه.

بعد فترة وكأنها أبدية، وصلت إلى الظلال عند النهاية العلوية من البحيرة، ووجدت أن النهر ينبع من فتحة منخفضة، ثم يمر أسفل سطح يتطلب أن أجبر وولا على الاستلقاء فوق أرضية القارب، واحتجت أنا شخصيًّا إلى الانحناء مرتين قبل أن يقطع السطح المنخفض رأسي.

ارتفع السطح فورًا مرة أخرى على الجانب الآخر، لكن الطريق لم يعُد مُضاء ببراعة. انبعث بالأحرى مجرد توهج واهن من بقع صغيرة ومتناثرة في الصخر الفسفوري بالجدران والسطح.

جرى النهر أمامي مباشرة نحو تجويف أصغر من خلال ثلاث فتحات مقوسة منفصلة.

لم أتمكن من رؤية ثوريد والثيرن في أي مكان. تُرى في أي من هذه الفتحات السوداء اختفوا؟ لم تكن هناك وسيلة تساعدني على المعرفة، وبالتالي اخترت الفتحة التي تقع في المنتصف، وكانت احتمالات أن تقودني إلى الاتجاه الصحيح مماثلةً لاحتمالات الفتحات الأخرى.

يمر الطريق هنا عبر ظلام تام. كان الجدول ضيقًا إلى حد أنني كنت أرتطم باستمرار، خلال السواد، بجدار صخري تلو الآخر، وتصيبني جراح هنا وهناك على طول المسار الحجري للنهر.

سمعتُ الآن من بعيد هديرًا عميقًا وغاضبًا يتزايد مع تقدمي للأمام، ثم خرقت شدة غضبه الجنوني أذنيَّ وأنا أستدير حول منحنى حاد داخل امتداد المياه المضاءة بقتامة.

هدرت مياه النهر أمامي مباشرة، من أعلى إلى أسفل في شلال جبار يملأ الوادي الضيق من جانب إلى آخر، وارتفعت الآن فوقي عدة مئات من الأقدام. يا له من مشهد رائع لم يسبق أن رأيته.

لكن هذا الهدير الفظيع الذي يصم الآذان، هدير تلك المياه المتدفقة، احتجزه قبو صخري تحت الأرض! إن لم يغلق الشلال استمرار مروري تمامًا ويُبين لي أنني اتبعت مسارًا خاطئًا، أعتقد أنني كنت سأهرب على أي حال أمام هذا الاضطراب المجنون.

من المحال أن يكون ثوريد والشيرن قد ساروا في هذا الطريق. وباختياري لهذا المسار الخاطئ، فقدتُ أثرهم وفازوا بمسافة كبيرة، بحيث ربما لا أتمكن من العثور عليهم قبل فوات الأوان، هذا إن تمكنت أصلًا من العثور عليهم.

استغرقتُ عدة ساعات لشق طريقي لأعلى ضد التيار القوي إلى منطقة الشلالات، وسأحتاج عدة ساعات أخرى للهبوط على الرغم من أن الوتيرة ستكون أسرع كثيرًا.

تنهدتُ وأنا أحول مقدمة قاربي في اتجاه أسفل الجدول؛ وبضربات قوية بالمجداف، تحركت بسرعة متهورة عبر قناة مظلمة ومتعرجة إلى أن وصلت ثانية إلى التجويف الذي تتدفق منه فروع النهر الثلاثة.

لا تزال أمامي قناتان لم أستكشفهما. أيهما أختار؛ لا توجد أي وسيلة تساعدني على اتخاذ القناة التي من المحتمل أن تقودني إلى المتآمرين.

لا أذكر أنني عانيتُ في حياتي على الإطلاق من عذاب الحيرة هذا. يتوقف الكثير على الاختيار الصحيح، ويتوقف الكثير على التسرع.

ربما حددت الساعاتُ التي أضعتُها مصيرَ ديجاه ثوريس التي لا يضاهيها أحد، إن لم تكن قد ماتت بالفعل. والتضحية بساعات أخرى، وربما أيام، في استكشاف عقيم لدرب خادع آخر سيسفر دون شك عن كارثة.

حاولت عدة مرات في المدخل الأيمن، لكنني كنت أعود كأنما يحذرني حدس غريب بأنه ليس الطريق. وأخيرًا، مع اقتناعي بهذه الظاهرة المتكررة، دخلت إلى الممر الأيسر المقوس؛ على أنني نظرتُ إلى الخلف، بعد فترة من الشك، لألقي نظرة فراق على المياه الكئيبة التي تتدفق داكنة مانعة، أسفل الممر المقوس القاتم المنخفض على اليمين.

وعندما نظرتُ، رأيت قشرة إحدى الثمار الكبيرة النضرة لشجرة السورابوس(١١)، تتمايل فوق التيار وهي تخرج من جوف ذلك الظلام الجهنمي.

بالكاد منعتُ نفسي من الصياح فرحًا وهذا المبعوث الصامت عديم

(١١) شجر السورابوس: نوع من الشجر معروف في برسوم بثماره النضرة المحفوظة داخل ما يشبه قشرة الجوز - .http://barsoom.wikia.com/wiki/Sorapus (المترجمة).

الشعور يمر بي وهو يطفو متجهًا نحو إيس وكوراس، فقد أبلغني أن الرحالة المريخيين كانوا أعلى هذا الجدول تحديدًا، أي فوقي تمامًا.

فقد أكلوا هذه الثمار الرائعة، التي وضعتها الطبيعة داخل القشرة الصلبة لجوز السورابوس، ثم ألقوا القشر في البحر. فهي لا يمكن أن تأتي من أي جهة أخرى.

أبعدتُ على الفور أي تفكير في الممر الأيسر، وبعد لحظة كنتُ داخل الممر الأيمن. سرعان ما اتسع الجدول المائي، وأضاءت المناطق المتواترة من الصخر الفسفوري طريقي.

تحركتُ بسرعة، لكنني كنت مقتنعًا بأن مَن أتتبعهم يسبقونني بيوم تقريبًا. لم نأكل أنا أو وولا أي شيء منذ اليوم السابق؛ على أن الأمر لم يمثل أهمية كبيرة لوولا، فجميع حيوانات قيعان البحر الميت في المريخ قادرة عمليًا على البقاء لفترات مذهلة دون غذاء.

ولم أشعر أنا أيضًا بأي معاناة؛ إذ كانت مياه النهر حلوة وباردة؛ لأن الجثث المتحللة لم تلوثها مثلما لوثت نهر إيس. أما بالنسبة للغذاء، فمجرد التفكير في أنني أقترب من أميرتي الحبيبة جعلني أسمو فوق كل عوز مادي.

ومع مواصلة تحركي، أصبح النهر أضيق والتيار سريعًا ومضطربًا إلى حد صعوبة إجبار قاربي على التحرك لأعلى. لم أتجاوز مائة ياردة في الساعة عندما واجهت -عند منعطف- سلسلة من المنحدرات، كان معدل رغوة النهر وغليانه خلالها مذهلًا.

غاص قلبي داخلي. ثبت أن قشر جوز السورابوس مبعوث زائف، على أن حدسي كان صحيحًا؛ كان يجب أن أتبع القناة اليسرى.

لو أنني امرأة، لبكيتُ. رأيتُ على يميني دوامة كبيرة بطيئة الحركة، تدور إلى أسفل تحت الجانب المتدلي من الجرف. ولكي أُريح عضلاتي المتعبة قبل أن أعود بقاربي إلى الخلف، سمحتُ لقاربي أن ينجرف مع التيار.

أصابتني خيبة أمل. فالأمر يعني فقدان نصف يومٍ آخر لأعود من حيث أتيت، وأتخذ الممر الوحيد الذي لم أستكتشفه بعد. ما المصير الشيطاني الذي دفعني إلى اختيار طريقين خاطئين من بين ثلاثة طرق ممكنة؟

حملني تيار الدوامة الكسول ببطء بالقرب من محيط الدائرة المائية، ولمس قاربي مرتين الجانب الصخري من النهر في التجويف المظلم أسفل الجرف. واصطدم في مرة ثالثة بلطف كما حدث من قبل، لكن التلامس أسفر عن صوت مختلف، صوت كشط الخشب على الخشب.

وفي لحظة أصبحت في حالة تأهب، فلا يوجد خشب في هذا النهر المدفون إلا إذا كان رجلٌ قد أحضره. وبالتزامن تقريبًا مع إدراكي الأول للضوضاء، تحركت يدي عبر جانب القارب، وبعد ثانية شعرتُ بأصابعي تتلمس الحافة العليا لجانب قارب آخر.

جلست في صمت متوتر صارم كأنما تحولت إلى حجر، وأجهدت عيني في الظلام المطلق أمامي محاولًا اكتشاف ما إذا كان هناك أحد على القارب.

فمن الممكن تمامًا أن هناك رجلًا على متنه لا يزال يجهل بحضوري؛ ذلك أن القارب كان يحتك بلطف بأحد جوانب الصخور، بحيث إن لمسة قاربي الرقيقة للقارب الآخر ربما لم يلحظها أحد.

دققت النظر بقدر ما أمكنني، لكني عيني لم تستطع اختراق الظلام، ثم سمعت باهتمام صوت تنفس بالقرب مني؛ ولكن باستثناء ضجيج منحدرات النهر، واحتكاك القاربين برفق، والتفاف المياه على جانبيهما، لم أتمكن من تميز أي صوت. وكالعادة، فكرتُ سريعًا.

يوجد حبل ملفوف في قاع قاربي. أمسكته بهدوء شديد، وقمت بربط إحدى نهايتيه بسرعة بالحلقة البرونزية في مقدمة قاربي، وخطوت بحذر شديد إلى القارب الآخر بجواري. أمسكت الحبل بإحدى يدي، وأمسكت باليد الأخرى سيفي الطويل الحاد.

وقفت بلا حراك، ربما لدقيقة كاملة، بعد دخول القارب الغريب. اهتز قليلًا نتيجة وزني، ولكن احتكاك جانبه بجانب قاربي كان يبدو أكثر احتمالًا لتنبيه راكبيه، إن كان هناك مَن يركبه.

لم يكن هناك أي صوت، وبعد أن فتشت كل جزء من هذا القارب، وجدت أنه مهجور.

تلمست بيدي على طول سطح الصخور التي كان القارب يرسو عندها، واكتشفت حافة ضيقة، عرفت أنها قطعًا الطريق الذي اتخذه مَن جاؤوا قبلي. أقنعني حجم وبنية القارب الذي وجدته، أنهم ليسوا سوى ثوريد وجماعته.

ناديت وولا ليتبعني، وخرجت عند الحافة. وتحرك الحيوان الضخم المتوحش الشرس متسللًا خلفي برشاقة كالقط.

عندما مر بالقارب الذي كان يشغله ثوريد والثيرن، أصدر هديرًا منخفضًا لمرة واحدة؛ وعندما جاء بجواري فوق الحافة واستقرت يدي على رقبته، شعرت بعرفه القصير ينتصب غضبًا. أعتقد أنه شعر عن طريق التخاطر بوجود عدو مؤخرًا، إذ لم أبذل أي جهد لأنقل له طبيعة مسعانا ووضع مَن نتعقبهم.

يجب أن أصحح هذا الإغفال على الفور. وعلى طريقة المريخيين الخُضر مع حيواناتهم، تمكنت أن أنقل له -جزئيًا عن طريق توارد الخواطر الغريب والخارق في برسوم، وجزئيًا عن طريق الكلام- أننا على درب أولئك الذين شغلوا مؤخرًا القارب الذي مررنا به لتونا.

أشار أزيز وولا المنخفض، بما يشبه أزيز قط كبير، إلى أنه فهم الأمر، فأمرته أن يتبعني واستدرت يمينًا على طول الحافة. وما إن فعلت ذلك، حتى شعرت بأنيابه القوية تجذب عتادي الجلدي.

التفتُّ لأعرف سبب تصرفه، لكنه استمر يجذبني إلى الاتجاه المعاكس، ولم يتوقف إلا عندما استدرت وأشرت له أنني سوف أتبعه طوعًا.

لم يسبق أن أخطأ أبدًا في أي مطاردة، ولذا تحركت بحذر ولدي شعور بالأمان الكامل في أعقاب الوحش الضخم. تحرك خلال الظلام الدامس على طول الحافة الضيقة بجوار المنحدر الذي يغلي.

ومع تقدمنا، أخذنا الطريق من أسفل المنحدرات المتدلية إلى موقع يخيم عليه ضوء خافت، وعندئذٍ رأيت أن الدرب كان مشقوقًا عبر الصخور المنحوتة، ويتواصل على طول جانب النهر بما يتجاوز المتحدرات.

تابعنا النهر القاتم المظلم لساعات طوال داخل باطن المريخ. عرفت من الاتجاه والمسافة أننا قطعنا أسفل وادي دور، وربما تحت بحر أوميان أيضًا. لا يمكن أن يقع معبد الشمس الآن على مسافة أبعد كثيرًا. وعندما كان ذهني منشغلًا بهذه الفكرة، توقف وولا فجأة أمام مدخل ضيق مقوس عند الجرف على جانب الدرب. وسرعان ما جثم إلى الوراء بعيدًا عن المدخل، وفي الوقت نفسه تحولت عيناه نحوي.

لا يمكن أن تُعبر الكلمات بأوضح من ذلك عن وجود نوع من خطر على مقربة، ولذا شققت طريقي بهدوء إلى جانبه، ونظرت خلال الفتحة التي تقع على يميننا.

رأيتُ أمامي غرفة متوسطة الحجم، عرفت من تجهيزاتها أنها كانت في وقت ما غرفة للحراس. هناك رفوف للأسلحة، ومنابر مرتفعة قليلًا عليها أغطية النوم الحريرية والفراء للمحاربين. لكن الغرفة لا يشغلها الآن سوى اثنين من الثيرن، وهما مَن كانا ضمن المجموعة التي صاحبت ثوريد وماتاي شانج.

كانت تدور بين الرجلين محادثة جادة، وبدا من نبرتهما عدم إدراكهما على الإطلاق بأن هناك مَن يسمعهما.

قال أحدهما: «أود أن أخبرك أنني لا أثق في الرجل الأسود. فما من

ضرورة لتركنا هنا لحراسة الطريق. ماذا نحرس في هذا المسار السحيق الذي طواه النسيان؟ إنها مجرد حيلة لتقسيمنا عدديًّا. وسوف يجعل ماتاي شانج يترك عددًا آخر في مكان آخر بذريعة أو أخرى، ثم أخيرًا سيتقض علينا مع شركائه ويذبحوننا جميعًا».

أجاب الآخر: «أوافقك الرأي يا لاكور. فلا يمكن أن يوجد أي شيء البتة سوى الكراهية القاتلة بين الثيرن والأبناء الأوائل. وما رأيك حول مسألة الضوء المثيرة للسخرية؟ -'اتركوا الضوء يلمع بشدة ثلاث وحدات من الراديوم لمدة خمسين تالًا، واتركوه يلمع بشدة وحدة راديوم واحدة لمدة زات واحد، ثم لمدة ٢٥ تالًا بشدة تسع وحدات'[١٢]- تلك كانت كلماته، ولك أن تعتقد أن الكهل ماتاي شانج الحكيم يجب أن يستمع إلى مثل هذه الحماقة».

قال لاكور: «إنها سخافة بالفعل. ولن ينفتح أي شيء سوى الطريق نحو موتنا السريع جميعًا. عليه أن يقدم بعض إجابات لماتاي شانج عندما يسأله صراحة عما يجب أن يفعله عند الوصول إلى معبد الشمس، وعندئذ يجيب بسرعة من مخيلته. وأراهن بإكليل الهيكادور أنه لن يستطيع تكرار ما قاله بنفسه».

قال الثيرني الآخر: «دعنا لا نبقى هنا لفترة أطول يا لاكور. ربما إذا

---

(١٢) ورد في قصة «آلهة المريخ» أن يوم المريخ يزيد بمقدار ضئيل على ٢٤ ساعة و٣٧ دقيقة (بتوقيت كوكب الأرض). ويقسمه المريخيون إلى عشرة أجزاء متساوية تُسمى زود (أي أن دورة المريخ حول محوره تساوي ١٠ زود)، وينقسم الزود إلى خمسين فترة أقصر تُسمى زات (أي أن الزود يعادل ٥٠ زاتًا)، يتكون كل منها بدوره من ٢٠٠ فترة زمنية قصيرة تعادل تقريبًا الثانية في كوكب الأرض وتُسمى تال (أي ٢٠٠ تال يعادل ١ زات). (المترجمة).

أسرعنا خلفهم، نصل في الوقت المناسب لإنقاذ ماتاي شانج، وننتقم من الداتور الأسود. ما قولك؟».

أجاب لاكور: «لم يحدث أبدًا في حياتي الطويلة أن عصيتُ أمرًا واحدًا للأب الثيرني. سوف أبقى هنا إلى أن أتعفن، إذا لم يرجع ليأمرني بالذهاب إلى مكان آخر».

هز رفيق لاكور رأسه.

قال: «أنت أعلى مني في الرتبة، ولا يمكنني مخالفتك، رغم أنني لا زلت أعتقد أن استمرارنا هنا حماقة».

كنتُ أنا أيضًا أعتقد أن استمرارهم في هذا المكان حماقة، فقد عرفت من تصرفات وولا أن الدرب يمر خلال الغرفة التي يجلس فيها الثيرنيان كحراس. ليس لدي سبب للشعور بأي قدر من الحب لهذا العِرق من الشياطين الذي يؤله نفسه، على أنني كنت أود المرور من أي مكان ممكن دون الاعتداء عليهم.

كان الأمر يستحق المحاولة على أي حال؛ فالقتال قد يؤخرنا كثيرًا، أو حتى ينهي بحثي تمامًا، فقد سقط رجال أفضل مني أمام مقاتلين أقل قدرة من تلك التي يمتلكها المحاربان الثيرنيان الشرسان.

أشرت إلى وولا أن يتبعني، ثم خطوت فجأة إلى الغرفة أمام الرجلين. عند رؤيتي، انطلقت بسرعة سيوفهم الطويلة من جانب عتادهما. لكنني رفعت يدي في بادرة لضبط النفس.

قلت: «أنا أسعى خلف ثوريد، الداتور الأسود. فمعركتي معه،

وليست معكم. اتركوني أمر في سلام؛ وأعتقد أنني لا أخطئ بقولي إنه عدوكما بقدر ما هو عدوي، وليس لديكما أي سبب لحمايته».

أنزلا سيفيهما، وتكلم لاكور.

«أنا لا أعرف مَن أنت. بشرتك بيضاء مثل الثيرن، وشعرك أسود مثل الرجال الحُمر. وإذا كانت سلامة ثوريد هي فقط المُعرضة للخطر، يمكنك المرور ونرحب بك، بقدر ما يتعلق الأمر بنا».

«قل لنا مَن أنت، وما المهمة التي جلبتك إلى هذا العالم المجهول أسفل وادي دور، وعندئذٍ ربما يمكننا أن نسمح لك بالمرور لتقوم بالمهمة التي كنا نود القيام بها إن كانت أوامرنا تسمح».

فوجئت أن الرجلين لم يتعرفا عليَّ؛ إذ كنت أعتقد أنني معروفٌ تمامًا، إما عن طريق خبرة شخصية، أو بسُمعتي لكل ثيرني في برسوم التي تجعل هويتي واضحة على الفور على أي جزء من هذا الكوكب. ففي واقع الأمر، كنت الرجل الأبيض الوحيد في المريخ -باستثناء ابني كارثوريس- الذي لديه شعر أسود وعينان رماديتان.

قد يؤدي الكشف عن هويتي إلى التعجيل بالهجوم؛ فكل ثيرني في برسوم يعرف أنني سبب سقوط تفوقهم الروحي القديم. ومن ناحية أخرى، قد تكفي سُمعتي كمقاتل بالمرور عبر غرفة الرجلين إذا لم يكن في نيتهما الترحيب بمعركة حتى الموت.

وفي الحقيقة لم أحاول أن أخدع نفسي بهذه السفسطة؛ لأنني أعرف جيدًا أن على المريخ الذي يشبه ميدان الحرب لا يوجد سوى عدد قليل

من الجبناء، وأن لكل رجل -سواء كان أميرًا أو كاهنًا أو فلاحًا- أمجاد في الصراع المميت. ولذا أمسكت جيدًا بقبضة سيفي الطويل وأنا أرد على لاكور.

قلت له: «أعتقد أنك تدرك حكمة السماح لي بالمرور بسلام؛ لأنك لن تستفيد شيئًا من الموت دون جدوى في جوف برسوم الصخري لمجرد حماية عدو متوارث، مثل ثوريد، داتور الأبناء الأوائل. سوف تموت إذا اخترت منعي، وموتك تؤكده جثث العديد من أعظم محاربي برسوم الذين انتهت حياتهم بنصل سيفي؛ أنا جون كارتر، أمير هيليوم».

بدا للحظة أن الاسم أصاب الرجلين بالشلل، ولكن للحظة فقط؛ ثم اندفع أصغرهما سنًا نحوي شاهرًا سيفه وهو يتفوه بكلمات خسيسة.

كان يقف خلف رفيقه لاكور أثناء حديثنا. والآن، أمسك الرجل الأكبر سنًا بعتاد زميله قبل أن يتمكن من الاشتباك معي، وجذبه إلى الخلف.

«قف!»، أمره لاكور، «سيكون لدينا متسع من الوقت للقتال، إذا وجدنا من الحكمة أن نقاتل على الإطلاق. هناك أسباب لأن يتوق كل ثيرني في برسوم إلى سفك دماء هذا الكافر المدنس؛ ولكن دعنا نمزج الحكمة بالكراهية المبرَّرة. يود أمير هيليوم إنجاز مهمة كنا نرغب نحن أنفسنا منذ دقائق في القيام بها. فلنسمح له بالذهاب ليقتل الرجل الأسود. وعندما يعود، سنكون هنا لمنع طريقه إلى العالم الخارجي. وهكذا نتخلص من خصمين، دون أن نثير استياء الأب الثيرني».

لاحظت وهو يتحدث بريقًا ماكرًا في عينيه الشريرة. وفي حين أدركت منطقه الواضح، فقد أحسست -ربما لا شعوريًا- أن كلماته

تخفي بعض النوايا الشريرة. استدار الثيرني الآخر نحوه في مفاجأة واضحة؛ ولكن عندما همس لاكور بضع كلمات موجزة في أذنه، عاد إلى الوراء وأومأ بالموافقة على ما قاله قائده.

قال لاكور: «يمكنك المُضي يا جون كارتر؛ ولكن اعلم أنه إن لم يقتلك ثوريد، ستجد مَن ينتظرونك عند عودتك ليتأكدوا أنك لن تمر مرة أخرى لتصل إلى ضوء الشمس في العالم العلوي. اذهب!».

كان وولا يهدر ويزمجر بالقرب مني أثناء حديثنا. كان ينظر إلى وجهي بين الحين والآخر في أنين متوسل، كأنما يتسول الكلمة التي سوف تجعله ينطلق متهورًا نحو الرقبتين العاريتين أمامه. كما شعر وولا بالخسة أيضًا وراء سلاسة الكلمات.

انفتحت خلف الرجلين عدة بوابات في غرفة الحراسة، وأشار لاكور في اتجاه البوابة التي تقع في أقصى اليمين.

وقال: «هذا الطريق يؤدي إلى ثوريد».

لكنني عندما ناديت وولا ليتبعني، زام الوحش وتراجع للخلف، وأخيرًا ركض بسرعة إلى أول فتحة على اليسار ووقف ينبح بقوة، كأنما يحثني على متابعته على الطريق الصحيح.

التفتُّ بنظرة تساؤل نحو لاكور.

قلت: «هذا الوحش نادرًا ما يُخطئ. ومع أنني لا أشك في معرفتك يا ثيرني، أعتقد أن الأفضل هو الاستماع إلى صوت الغريزة التي يدعمها الحب والولاء».

ابتسمت بتجهم وأنا أتحدث، ربما يعرف دون أن أقولها صراحة أنني لا أثق فيه.

أجاب وهو يهز كتفيه: «كما تريد، ففي نهاية المطاف لن يغير ذلك من الأمر شيئًا».

استدرتُ وتابعت وولا إلى الممر الأيسر. كان ظهري تجاه خصومي، وأذناي في حالة تأهب؛ ولم أسمع أي صوت لمطاردة. أضاءت مصابيح الراديوم المتناثرة الممر إضاءة خافتة، فهذه هي وسيلة الإضاءة الشائعة في برسوم.

ربما استمر أداء هذه المصابيح نفسها لواجبها في هذه الغرف تحت الأرضية لسنوات طويلة؛ فهي لا تتطلب أي اهتمام، كما أن تركيبها المُعقد يجعلها لا تُطلِق سوى جزء ضئيل من مادتها، وتمتد لسنوات من اللمعان خلال أجيال.

مضينا في طريقنا لمسافة قصيرة، ثم بدأنا نمر بفتحات ممرات متشعبة، لكن وولا لم يتردد لمرة واحدة. وعند فتحة أحد هذه الممرات على يميني، سمعت صوتًا يعرفه جيدًا جون كارتر، رجل القتال، يوضح الكثير أكثر مما يمكن أن تُعبر به كلمات لغتي الأصلية - كان صوت قعقعة المعادن، معادن عتاد المحارب- وجاء من مسافة غير بعيدة، فوق الممر الذي يقع على يميني.

سمع وولا الصوت أيضًا، واندفع كالبرق مسرعًا ووقف يواجه خطر التهديد وعُرفه منتصب، وجميع صفوف أنيابه اللامعة تكشفها زمجرة شفاهه. أسكتُّه بإيماءة، وتنحينا جانبًا في ممر آخر على بُعد عدة خطوات.

انتظرنا هنا. لكنَّ انتظارنا لم يطل؛ فقد رأينا الآن ظل رجلين على أرضية الممر الرئيس، بعرض مدخل مكان اختبائنا. يتحركان الآن بحذر شديد، لم تتكرر القعقعة العَرَضية التي نبهتني.

وصلا الآن إلى موقع مقابل لموقعنا؛ ولم أندهش عندما تبينت أن الاثنين هما لاكور ورفيقه في الحراسة.

لقد سارا بهدوء شديد، وفي اليد اليمنى لكل منهما يلمع سيف طويل حاد. وقفا يتهامسان بالقرب من مدخل ملجئنا.

قال لاكور: «هل ابتعدنا عنهما فعلًا؟».

أجاب زميله: «إما هذا، وإما أن الوحش قاد الرجل إلى درب خاطئ؛ فالطريق الذي اتخذناه هو أقصر الطرق للوصول إلى هذه النقطة! مَن يدري؟ لكان جون كارتر قد وجد طريقًا قصيرًا للموت إذا اتخذ المسار الذي اقترحته له».

قال لاكور: «نعم، فأي قدرة على القتال لم تكن لتنقذه من الحجر اللوحي الدوَّار. لكان صعد فوقه بالتأكيد، وإذا كان للحفرة الواقعة أسفله قاع، وهو ما ينفيه ثوريد، لكان يهوي مسرعًا نحوها الآن. اللعنة على حيوانه الكالوت(١٣)؛ فقد حذره وأخذه إلى المسار الأكثر أمنًا!».

قال زميل لاكور: «لكنه سيواجه أخطارًا أخرى، ربما لا يتمكن من الهرب منها بسهولة، إذا نجح في الفرار من سيفينا القويين. وعلى سبيل المثال، ما فرصة أن يأتي بشكل غير متوقع إلى غرفة...».

---

(١٣) الكالوت: الكلب المريخي. (المترجمة).

كنت أودُّ أن أواصل الاستماع إلى تلك المحادثة كي آخذ حذري من المخاطر التي تنتظرني، لكن القدر تدخل؛ ففي هذه اللحظة تحديدًا من بين كل اللحظات الأخرى التي لم أكن لأود القيام بذلك... عطستُ.

❋ ❋ ❋

(٣)

معبد الشَّمس

ليس أمامي الآن سوى القتال. لم يكن بمقدوري أن أقفز وسيفي في يدي إلى الممر قبل الثيرنيين، فعطستي المفاجئة حذرتهما من وجودي، وكانا مستعدين لمواجهتي.

لم ينطق أحد بكلمة؛ فالكلمات تهدر الوقت، كما أن وجود الاثنين دليلٌ على غدرهما. فقد اتضحت خطتهما بجلاء؛ أن يتبعاني لمهاجمتي على حين غرة، لكنهما أدركا بالطبع أنني فهمت خطتهما.

اشتبكتُ معهما في لحظة. وعلى الرغم من كراهيتي لاسم الثيرن نفسه، يجب أن أعترف بكل إنصاف أنهم مبارزون أقوياء، وأن هذين الاثنين ليسا استثناء بين عِرقهما إلا في كونهما أكثر مهارة وشجاعة من المبارز المتوسط.

كنت مستمتعًا بالاشتباك أكثر من أي صراع آخر سابق. أنقذت صدري مرتين على الأقل من طعنة مميتة من فولاذ السيف الثاقب، وذلك بخفة الحركة الرائعة التي تتمتع بها عضلاتي كإنسان من كوكب الأرض في ظل ظروف نقص الجاذبية وضغط الهواء على المريخ.

على أنني اقتربتُ من تذوق الموت ذلك اليوم في الممر القاتم أسفل القطب الجنوبي للمريخ، فقد قام لاكور بخدعة لم أشهد مثلها في حياتي من قبل طوال مجمل خبرتي في القتال على الكوكبين.

كان الثيرني الآخر مشتبكًا معي في ذلك الوقت. وكنتُ أُجبره على التراجع إلى الخلف؛ حيث ألمسه بسن سيفي هنا وهناك إلى أن أخذ ينزف من عشرات الجروح، لكنني لم أتمكن من اختراق وضعه الدفاعي الرائع للوصول إلى نقطة ضعيفة للحظة تكفي لإرساله إلى أسلافه.

وعندئذٍ أخرج لاكور بسرعة حزامًا من عتاده؛ وعندما تراجعتُ خطوة لأتجنب هجومًا شرسًا، ضرب كاحلي الأيسر بأحد أطراف حزامه فأصابه بجرح، بينما قفز فجأة على الطرف الآخر وألقاني بشدة على ظهري.

ثم قفز الاثنان فوقي كفهدين، لكنهما لم يحسبا حساب وولا. وقبل أن يلمسني نصل أي سيف، هوى تجسيد لألف شيطان يزأر فوق جسدي الممدد وهجم عليهما كلبي المريخي الوفي.

تخيل -إن استطعتَ- دبًّا ضخمًا بعشر سيقان مسلحة بمخالب قوية، وفم كبير يشبه فم الضفدعة، ويمتد من الأذن إلى الأذن كاشفًا عن ثلاثة صفوف من أنياب بيضاء طويلة؛ ثم امنح هذا المخلوق الخيالي خفة حركة وضراوة نمر بنغالي نصف جائع، وقوة مجموعة من الثيران، وعندئذٍ سيتكون لديك تصور ضعيف عن وولا وهو يشتبك في معركة.

وقبل أن أتمكن من إبعاده، كان قد سحق لاكور إلى هلام بضربة واحدة من مخلب قوي، ومزق الثيرني الآخر حرفيًّا إلى شرائط؛ لكنني عندما

تحدثتُ إليه بشدة، تراجع خجلًا كأنما فعل شيئًا يستحق اللوم والعقاب.

لم يسمح لي قلبي أبدًا معاقبة وولا خلال السنوات الطوال التي مرت منذ يومي الأول على المريخ، عندما وضعه جِد الثاركيين الخُضر ليحرسني، وفزت بحبه وولائه بعد معاناته من قسوة سادته في حياته السابقة الذين لا يعرفون الحب. مع ذلك، أعتقد أنه قد يخضع لأي قسوة من جانبي، يا لها من عاطفة مدهشة يُكنُّها لي.

أوضح الإكليل في مركز الشريط الذهبي على جبين لاكور أنه ثيرني مقدس، بينما رفيقه الذي لا يرتدي زينة مماثلة كان ثيرنيًّا من مرتبة أقل، على أنني أدركت من عتاده أنه وصل إلى «الدورة التاسعة»، وهي أدنى بدرجة واحدة رتبة ثيرني مقدس.

وقفتُ للحظة أنظر إلى الخراب البشع الذي تسبب فيه وولا، وهنا تذكرت حادثة أخرى عندما تنكرت مرتديًا الشَّعر المستعار والإكليل والعتاد الذي يخص ساتور ثروج، الثيرني المقدس الذي قتلته ثوفيا البتارثية؛ والآن تبادر إلى ذهني أنه ربما يجب أن استخدم زخارف لاكور لنفس الغرض.

انتهيت خلال دقيقة من إزالة الشَّعر الأصفر المستعار من رأسه الأصلع، ونقلته مع الشريط الدائري إلى رأسي، فضلًا عن ارتداء عتاده.

لم يوافق وولا على تغييري لشكلي. أخذ يتشممني ويتذمر هادرًا. وعندما حادثته وربت على رأسه الضخم، أصبح متوافقًا مع التغيير. وهرولَ بناءً على أوامري نحو الممر في الاتجاه الذي كنَّا ذاهبين إليه عندما أعاق الثيرنيان تقدمنا.

أخذنا الآن نتحرك بحذر نتيجة للمحادثة التي سمعتُها. سرت بجوار وولا، حتى يمكننا استخدام أعيننا لنرى أي تهديد قد يظهر أمامنا فجأة، وقد حدث ما توقعتاه.

في الجزء السفلي من رحلتنا عبر الدرجات الضيقة، التف الممر بحدة مرة أخرى للخلف، ثم التف على الفور مرة أخرى في الاتجاه الأصلي، بحيث أصبح عند هذه النقطة على شكل حرف S، ساقه الأعلى ينفتح فجأة على غرفة كبيرة سيئة الإضاءة وأرضيتها مغطاة تمامًا بثعابين سامة وزواحف كريهة.

كانت محاولة عبور تلك الأرضية تعني الحكم بالموت الفوري، وشعرت للحظة بإحباط تام. ثم تبادر إلى ذهني أن ثوريد وماتاي شانج قد عبرا مع مجموعتهما من هنا، فمن المؤكد أن هناك طريقة.

لو لم يكن من حسن الحظ أنني استمعتُ مصادفة إلى جزء صغير من حديث الثيرن، لكنا تعثرنا خطوة أو خطوتين على الأقل في تلك الكتلة الهائلة من الدمار؛ فخطوة واحدة كانت تكفي تمامًا لموتنا.

كانت هذه الزواحف هي الوحيدة التي رأيتُها على الإطلاق في برسوم. لكنني عرفت من تشابهها مع البقايا المتحجرة للأنواع التي من المفترض أنها انقرضت، ورأيتها في متاحف هيليوم، أنها تضم العديد من أجناس الزواحف المعروفة في عصور ما قبل التاريخ، فضلًا عن الزواحف الأخرى غير الـمُكتشفة.

لم أشهد أبدًا من قبل تجمعًا أكثر بشاعة للوحوش. ومن العبث محاولة وصفهم لسكان كوكب الأرض، حيث الجوهر هو الشيء

الوحيد الذي يتقاسمونه مع أي مخلوق مألوف من الماضي أو الحاضر، حتى سمومهم أكثر خطرًا، بحيث إن مقارنتها بسموم زواحف كوكب الأرض تجعل أفعى الكوبرا دي كابيلو غير ضارة، كأنها دودة الأرض.

وخلال مراقبتهم لي، اندفعت المجموعة الأقرب من المدخل الذي نقف عنده، لكن صفًا من مصابيح الراديوم على طول عتبة غرفتهم جعلتهم يتوقفون فجأةً. ومن الواضح أنهم لا يجرؤون على عبور هذا الصف من الضوء.

كنتُ على يقين أنهم لن يغامروا بالخروج من الغرفة التي اكتشفتْ وجودهم فيها، على الرغم من أنني لم أُخمن ما ردعهم. على أن الحقيقة البسيطة أننا لم نجد أي زواحف في الممر الذي وصلنا من خلاله إلى هنا كانت تأكيدًا كافيًا أنهم لم يغامروا للذهاب إلى هناك.

أبعدتُ وولا عن طريق الأذى، ثم بدأت دراسة متأنية لمعرفة الحجم الذي يمكنني رؤيته من غرفة الزواحف من حيث أقف. وعندما اعتادت عيناي على الضوء الداخلي الخافت، بدأت ألمح تدريجيًا قاعةً منخفضةً في نهاية الشقة التي ينفتح منها عدد من المخارج.

اقتربتُ من العتبة بقدر ما تجرأتُ، وتابعتُ هذه القاعة بعينيّ، واكتشفت -بقدر ما أمكنني أن أرى- أنها تطوق الغرفة. ثم ألقيت نظرة فوقي، على طول الحافة العلوية من المدخل الذي أتينا منه، ولسعادتي رأيتُ إحدى نهايات القاعة على ارتفاع لا يزيد على قدم فوق رأسي. قفزت إليها في لحظة ودعوت وولا أن يتبعني.

لا يوجد هنا زواحف؛ فالطريق كان واضحًا على الجانب الآخر

من الغرفة اليشمة. وبعد لحظة هبطنا أنا ووولا إلى بر الأمان في الممر الخارجي.

وصلنا بعد أقل من عشر دقائق إلى شقة دائرية واسعة من الرخام الأبيض، وجدرانها مُطعمة بالذهب بكتابة هيروغليفية غريبة تخص الأبناء الأوائل.

من القبة العالية لهذه الشقة القوية، امتد عمود دائري ضخم إلى الأرضية. وقفت أشاهده، ورأيته يدور ببطء.

لقد وصلت إلى قاعدة معبد الشمس!

في مكان ما فوقي توجد ديجاه ثوريس، ومعها فايدور ابنه ماتاي شانج، وثوفيا البتارثية. لكن كيفية الوصول إليهن لا تزال لغزًا مُحيرًا، رغم عثوري على البقعة الضعيفة الوحيدة في سجنهن القوي.

درتُ ببطءٍ حول البئر الضخم باحثًا عن وسيلة دخول. وجدتُ في جزء من الطريق شعلة صغيرة من الراديوم تبعث ضوءًا خاطفًا، ففحصتها بفضول لأعرف سبب وجودها في هذه البقعة المجهولة التي يكاد يكون الوصول إليها مستحيلًا، وعثرت فجأةً على شعار العلبة المعدنية لجواهر بيت ثوريد.

فكرتُ في أنني على الطريق الصحيح، ووضعتُ قطعة الحلي في جيب الحقيبة المعلقة في عتادي، ثم واصلتُ البحث عن المدخل الذي يجب أن يوجد في مكان ما هنا. لم أحتجْ إلى أن أبحث طويلًا؛ إذ وصلت على الفور إلى باب صغير مُطعم بكياسة في قاعدة البئر، بحيث

ربما يمر عليه دون أن يلحظه أي مراقب أقل عناية أو أقل حذرًا.

وجدتُ بابًا، ربما يؤدي بي إلى داخل السجن، ولكن ما وسيلة فتحه؟ لا يوجد زر أو قفل. تحسست بعناية تكرارًا ومرارًا كل بوصة مربعة من سطحه، لكن أقصى ما أمكنني إيجاده هو ثقب صغير أعلى قليلًا على يمين مركز الباب، ثقب بدا ناتجًا من مجرد سوء الصُّنع أو نقص في المواد.

حاولتُ التحديق عبر هذه الفتحة الدقيقة، لكنني لم أستطع أن أحدد ما إذا كان عمقها مُجرد جزء من البوصة أو أنها تخترق الباب بالكامل، فلم يكن هناك أي ضوء يُظهر أبعد من ذلك. وضعت أُذني لاستمع، لكن جهودي لم تسفر مرة أخرى عن نتائج تُذكر.

خلال هذه التجارب، كان وولا يقف إلى جواري محدقًا بإمعان في الباب. وعندما وقع بصري عليه، تبادر إلى ذهني أن أختبر صحة فرضيتي بأن هذا المدخل كان وسيلة دخول المعبد التي استخدمها ثوريد، والداتور الأسود، والأب الثيرني ماتاي شانج.

ابتعدت فجأةً، وناديته ليتبعني. تردد للحظة، ثم قفز خلفي وهو يئن ويشد عتادي ليعود بي إلى الوراء. على أنني مشيت لمسافة قصيرة من الباب قبل أن أتركه يحدد الطريق لأرى بدقة ماذا سيفعل؛ ثم سمحت له أن يقودني أينما شاء.

عاد بي مباشرة إلى هذا المدخل المُحير، واتخذ مرةً أخرى وضعًا يواجه الحجر الأجوف، مع التحديق مباشرة في سطحه اللامع. حاولت لمدة ساعة حل لغز التركيبة التي قد تفتح الطريق أمامي.

تذكرتُ بعناية كل جزء من ظروف مطاردتي لثوريد، وخلُصت إلى استنتاج يتطابق واعتقادي الأصلي: أن ثوريد قد أتى عبر هذا الطريق دون أي مساعدة أخرى غير معرفته، وعبر من خلال الباب -الذي يمنع تقدمي- دون مساعدة من داخل. ولكن، كيف أنجز ذلك؟

تذكرتُ واقعة غرفة الغموض في المنحدرات الذهبية، عندما تمكنتُ من تحرير ثوفيا البتارثية من زنزانة الثيرن، وأنها أخذت مفتاحًا هزيلًا يشبه الإبرة من حلقة مفاتيح السجان الميت لفتح الباب الذي يؤدي للعودة إلى غرفة الغموض، حيث كان تارس تاركاس يقاتل للحفاظ على حياته في مواجهة أحد حيوانات الباناث[١٤] الضخمة. إن ثقب مفتاح ضئيل يتحداني الآن، قد فتح قفل مُعقد في ذلك الباب الآخر حينذاك.

ألقيتُ على عجل محتويات جيب حقيبتي على الأرض أمامي؛ علني أجد قطعة رفيعة من الفولاذ، وأقوم بابتكار مفتاح يتيح لي الدخول إلى سجن المعبد.

فحصتُ تلك المجموعة غير المتجانسة من الأشياء المختلفة التي توجد دائمًا في جيب حقيبة المحارب المريخي، ووقعت يدي على

---

(١٤) الباناث: حيوان مفترس شرس متعدد الأرجل، أصلع تقريبًا مثل جميع الحيوانات المريخية إلا من شعر كثيف خشن كبير كالأسد حول رقبته السميكة. جسده طويل ورشيق، ويعتمد على عشرة أرجل قوية؛ وفكاه الضخمان مجهزان بعدة صفوف من أنياب طويلة تشبه الإبرة، مثله مثل حيوانات الكالوت أو الكلاب المريخية؛ وفمه يصل إلى نقطة بعيدة خلف أذنيه الصغيرتين، بينما عيناه الخضراء هائلتان وجاحظتان وتضيقان لمسة الرعب الأخيرة إلى مظهره الفظيع - http://barsoom.wikia.com/wiki/Banth. (المترجمة).

شعلة الراديوم المتمقة للداتور الأسود.

كنت على وشك إلقاء الأشياء جانبًا على أساس أنها بلا قيمة في مأزقي الحالي، عندما وقعت عيني مصادفة على بضعة أحرف غريبة محفورة حديثًا بخشونة على ذهب الحقيبة الناعم.

دفعتني الفضول إلى فك شفرتها، لكن ما قرأته لم يحمل إلى ذهني أي معنى على الفور. كانت هناك ثلاث مجموعات من الأحرف، مجموعة أسفل الأخرى:

3 |—| 50 T

1 |—| 1 X

9 |—| 25 T

أثار الأمر فضولي لمجرد لحظة، ثم أبدلتُ الشعلة في جيب حقيبتي؛ وقبل أن أبعد أصابعي عنها، تذكرت المحادثة بين لاكور ورفيقه عندما كرر الثيرتي الأدنى مرتبة كلمات ثوريد ساخرًا: "وما رأيك حول مسألة الضوء المثيرة للسخرية؟ اتركوا الضوء يلمع بشدة ثلاث وحدات من الراديوم لمدة خمسين تالا" - آه، هذا هو السطر الأول T 50-3 على صندوق الشعلة المعدني؛ "واتركوه يلمع بشدة وحدة راديوم واحدة لمدة زات واحد" - وهذا هو السطر الثاني؛ "ثم لمدة ٢٥ تالًا بشدة تسع وحدات".

وهكذا، لديَّ الصيغة كاملة؛ ولكن، ماذا تعني؟

أعتقد أنني أعرف. أخذتُ عدسة مكبرة قوية من الأشياء المبعثرة

في جراب جيبي، وبدأت على الفور في فحص دقيق للرخام بحثًا عن ثقب الباب. كنت أود أن أصيح مبتهجًا بصوت عال عندما كشف فحصي الدقيق عن طبقة خارجية غير مرئية تقريبًا من جزيئات الإلكترونات المتفحمة التي سقطت من هذه المشاعل المريخية.

كان واضحًا أن مشاعل الراديوم ظلت تُستخدم لعدد لا يُحصى من العصور عند هذا الثقب، أما سبب استخدامها، فلا يمكن أن توجد سوى إجابة واحدة: أشعة الضوء تُحرك آلية القفل؛ وأنا، جون كارتر أمير هيليوم، أمسك في يدي بالتركيبة التي حفرها خصمي على جراب شعلته.

في سوار أسطواني من الذهب حول معصمي، كان يوجد الكرونومتر البارسومي، وهو أداة دقيقة تسجل التال والزات والزود للزمن في المريخ، بعرضهم أسفل بلورة قوية على غرار عداد المسافات في كوكب الأرض.

حددت توقيت عملياتي بعناية، ثم وجهت الشعلة نحو الثقب الصغير في الباب مع تنظيم شدة الضوء رافعة الإبهام على جانب الحقيبة.

سمحتُ لثلاث وحداتٍ من الضوء أن تلمع بالكامل لمدة خمسين تالًا في الثقب، ثم وحدة واحدة لمدة زات واحد، وتسع وحدات لمدة ٢٥ تالًا؛ التي كانت بمثابة أطول ٢٥ ثانية في حياتي. هل سينفتح القفل في نهاية هذه الفترات الزمنية التي تبدو بلا نهاية؟

ثلاثة وعشرون! أربعة وعشرون! خمسة وعشرون!

أغلقت الضوء فجأةً، وانتظرتُ لمدة ٧ ثالات، لم يظهر أي تأثير ملموس على آلية القفل. هل نظريتي خاطئة تمامًا؟

ماذا! هل أدى التوتر العصبي إلى هلوسة، أم أن الباب يتحرك فعلًا؟ غرق الحجر الصلب ببطء داخل الجدار بلا ضجيج- هذه ليست هلوسة.

أخذ الحجر ينزلق للخلف، وبعد مسافة عشر أقدام كشف عن وجود مدخل ضيق على اليمين يؤدي إلى ممر مظلم وضيق يوازي الجدار الخارجي. وبمجرد انكشاف المدخل، قفزت داخله ومعي وولا، ثم تراجع الباب بهدوء مرة أخرى إلى مكانه.

رأيت أسفل الممر، على بُعد، انعكاسًا خافتًا للضوء، واتخذنا طريقنا نحوه. ظهر مُنحنى حاد عند نقطة سطوع الضوء، ورأيت بعدها بمسافة صغيرة غرفة مضاءة ببراعة.

وهنا اكتشفنا سُلمًا حلزونيًا يقع في وسط الغرفة الدائرية.

عرفت على الفور أننا وصلنا إلى مركز قاعدة معبد الشمس- يقود المدرج الحلزوني إلى أعلى، مارًا بالجدران الداخلية لزنازين السجن. من المؤكد أن زنزانة ديجاه ثوريس تقع في مكان ما في الأعلى، ما لم يكن ثوريد وماتاي شانج قد نجحا بالفعل في سرقتها.

وبالكاد ما إن بدأنا نصعد المدرج، حتى أظهر وولا فجأة حالة من الهياج العنيف. أخذ يقفز جيئةً وذهابًا، ويعض ساقي وعتادي، حتى

ظننت أنه أُصيب بالجنون. وأخيرًا، عندما أبعدته عني وبدأت الصعود مرة أخرى، أمسك ذراع سيفي بين فكيه وأخذ يسحبني إلى الوراء.

لم يكن هناك أي قدر من التوبيخ أو الزجر يكفي لحمله على الابتعاد عني، كنت تحت رحمة قوته الغاشمة تمامًا، إلا إذا استخدمت خنجري ضده بيدي اليسرى. ولكن، سواء أُصيب أو لم يصب بالجنون، لا يطاوعني قلبي على غرز خنجري الحاد في جسد هذا الحيوان الوفي.

سحبني إلى الأسفل، إلى داخل الغرفة، وأخذني عبرها إلى الجانب المعاكس الذي دخلنا منه. وهنا وجدت مدخلًا آخر يقود إلى ممر يتجه مباشرة أسفل منحدر حاد. ودون لحظة تردد، جذبني وولا نحو هذا الممر الصخري.

توقف وولا الآن وأطلق سراحي، ووقف بيني وبين الطريق الذي أتينا منه وهو ينظر في وجهي كأنما يسألني ما إذا كنتُ سأتبعه طواعيةً الآن أم لا يزال عليه اللجوء إلى القوة.

نظرتُ بأسى إلى علامات أسنانه الضخمة على ذراعي العاري، وقررت أن أفعل ما يريد. فقبل كل شيء، يمكن الاعتماد على غريزته الغريبة أكثر من وجهة نظري كإنسان يخطئ.

وكان من الجيد أنني اضطرتُ إلى متابعته. وبعد مسافة قصيرة من الغرفة الدائرية، وصلنا فجأة إلى متاهة مضاءة ببراعة تتكون من ممرات يقسم بينها زجاج الكريستال.

اعتقدت في البداية أنها غرفة واسعة متصلة، وكانت جدران ممراتها المتعرجة شديدة الوضوح وشفافة. ولكن بعد أن أجهدت نفسي عدة مرات في محاولة المرور عبر الجدران الزجاجية الصلبة دون جدوى، بدأت أتحرك بحرص أكبر.

سرنا بضعة ياردات على طول الممر الذي منحنا الدخول إلى هذه المتاهة الغريبة، ثم زأر وولا زئيرًا مخيفًا، واندفع في الوقت نفسه ضد القسم الواضح على يسارنا.

كانت الأصداء المدوية لهذه الصرخات المخيفة لا تزال تتردد عبر الغرف تحت الأرضية، عندما رأيت الشيء الذي أذهل وحشي المُخلص.

على البُعد، ومن خلال عتمة سُمك العديد من ألواح البلور الفاصلة، كأنما هناك ضباب يجعلها تبدو غير واقعية وشبحية، تبينت أشكال ثمانية أشخاص؛ ثلاث نساء وخمسة رجال.

توقف الأشخاص الثمانية في اللحظة نفسها وهم ينظرون حولهم، فمن الواضح أن صرخة وولا العنيفة أذهلتهم. وفجأةً تحرك أحدهم، كانت امرأة، مدت ذراعيها نحوي. ومن هذه المسافة الكبيرة تمكنت من رؤية شفتيها تتحركان. كانت ديجاه ثوريس، أميرة هيليوم الشابة الجميلة دائمًا.

كانت معها ثوفيا البتارثية، وفايدور ابنه ماتاي شانج، وثوريد، والأب الثيرني، بالإضافة إلى مرافقيهم الثيرنيين الثلاثة الأقل رتبةً.

هز ثوريد قبضته في وجهي، ثم أمسك ثيرنيان بذراعَي ديجاه ثوريس وثوفيا بخشونة وأسرعا الخُطى؛ واختفوا خلال لحظة داخل ممر حجري يقع خلف المتاهة الزجاجية.

يقولون إن الحب أعمى؛ لكن حبًّا عظيمًا مثل حب ديجاه ثوريس الذي جعلها تعرفني حتى وأنا متنكر في ثياب ثيرني، وعبر المشهد الضبابي للمتاهة الكريستالية، يستحيل أن يكون أعمى.

* * *

وقال: «ستجد ماتاي شانج في فناء المعبد هناك». وعندما دخلت ومعي وولا، أغلق الزميل الباب بسرعة.

الضحكة الكريهة التي وصلت إلى أذني من خلال ألواح الباب الخشبية الثقيلة بعد صوت قفل الإغلاق، كانت أول تنبيه لي أن الأمور ليست كما يجب.

وجدتُ نفسي في غرفة دائرية صغيرة داخل الدعامة. انفتح باب أمامي، من المفترض أنه يؤدي إلى الفناء الداخلي. ترددت للحظة، فقد ثارت الآن كل شكوكي فجأةً، وإن كانت متأخرةً. هززتُ كتفي ثم فتحت الباب، وخرجتُ على ضوء وهج المشاعل الذي يضيء الفناء الداخلي.

رأيتُ أمامي مباشرةً برجًا ضخمًا بارتفاع ثلاثمائة قدم. كان على النمط المعماري البرسومي الحديث الذي يتسم بالجمال والغرابة، إذ كان سطحه منحوتًا بالكامل بنتوءات جريئة وتصميمات معقدة وخيالية. كان يرتفع ثلاثين قدمًا فوق الفناء، وتطل عليه شرفة واسعة، حيث يوجد ماتاي شانج ومعه ثوريد، وفايدور، وثوفيا، وديجاه ثوريس- وكانت الأخيرتان مكبلتين بالأصفاد الحديدية. كما وقف عدد من المحاربين الثيرن وراء هذا الجمع الصغير.

وما إن دخلت، حتى توجهت أعين كل مَن في الشرفة نحوي بالكامل.

شوهت ابتسامة قبيحة شفاه ماتاي شانج القاسية. وسخر مني ثوريد

توقف الرجال عن المباراة ونظروا نحوي، ولم تبد عليهم أي علامة تشكك. كما نظروا إلى وولا وهو يهدر في أعقابي.

قلت التحية المريخية: «كاور!»، ونهض المحاربون لتحيتي. واصلتُ قائلًا: «وجدتُ طريقي أخيرًا إلى هنا، قادمًا من المنحدرات الذهبية، وأسعى لمقابلة الهيكادور، ماتاي شانج، الأب الثيرني. أين يمكنني أن أجده؟».

قال أحد الحراس: «اتبعني»، واستدار ليقودني عبر الفناء الخارجي تجاه جدار ثان مدعوم.

لا أعرف لماذا لم تثر سهولة خداعهم الواضحة شكوكي، ما لم يكن إلا لأن ذهني كان لا يزال مملوءًا بتلك اللمحة العابرة لأميرتي الحبيبة وليس به مكان لشيء آخر. لكنني، على أي حال، سرت منشرحًا خلف الحارس نحو فكي الموت مباشرة.

عرفتُ لاحقًا أن جواسيس الثيرن كانوا على دراية بقدومي قبل وصولي بساعة إلى القلعة الخفية.

لقد تُرِكت البوابة مفتوحة جزئيًّا عن عمد لإغرائي، كما تدرب الحراس جيدًا على دورهم في المؤامرة. أما أنا، فقد اندفعت متهورًا -كتلميذ وليس كمحارب محنك- نحو الفخ.

في الجانب الآخر من الفناء الخارجي، يوجد باب ضيق في الزاوية التي صنعتها أحد الدعامات مع الجدار. وهنا أخرج مرشدي مفتاحًا وفتح الطريق إلى الداخل؛ ثم أشار لي بالدخول وهو يتراجع إلى الخلف.

خضنا ذلك كله، ووصلنا أخيرًا إلى طريق قادنا إلى ممر ضيق يزداد انحدارًا وصعوبة مع كل خطوة، حتى لاحت أمامنا قلعة قوية مدفونة تحت الجانب المتدلي من المنحدر.

هنا كان مكان الاختباء السري للأب الثيرني ماتاي شانج. هنا كان هيكادور العقيدة القديمة مُحاطًا بعدد قليل من الأتباع الأوفياء، بعد أن كان يخدمه ذات يوم الملايين من الخدم والأتباع، يلقي بكلمات روحانية أمام العشرات من أمم برسوم التي لا تزال تتشبث بعناد بعقيدته المزيفة التي فقدت مصداقيتها.

بدأ الظلام يهبط ونحن نقترب من مرأى جدران هذا المعقل الجبلي المنيع. وخشية أن يرانا أحد، تراجعت مع وولا خلف صخرة ناتئة من الجرانيت، إلى أجمة من أشجار منخفضة قوية أرجوانية اللون، تزدهر على جانبي أوتز القاحلين.

بقينا هنا إلى انتهى ذلك الانتقال السريع من ضوء النهار إلى الظلام، ثم تسللت مقتربًا من أسوار القلعة للبحث عن طريقة للدخول.

وجدنا البوابة ذات الحواجز الثلاثة مفتوحة جزئيًا؛ إما نتيجة للإهمال أو الثقة المفرطة في صعوبة الوصول إلى مكان الاختباء هذا. وقف وراءها حفنة من الحراس، يضحكون ويتحدثون عن إحدى مبارياتهم البرسومية الغامضة.

رأيتُ أن هؤلاء الحراس جميعًا لم يكونوا من بين المجموعة التي رافقت ثوريد وماتاي شانج؛ ولذا اعتمدت كليًا على تنكري ومشيت بجرأة من خلال البوابة نحو الحراس الثيرنيين.

وهو يضع يده المألوفة على كتف أميرتي. لكنها التفتت نحو هذا الوحش كالنمرة، وضربته ضربة قوية بالأغلال التي تُقيد معصمها.

كان يمكنه أن يرد لها الضربة لولا تدخُل ماتاي شانج، وعندئذ أدركت أن الرجلين ليسا صديقين؛ ذلك أن طريقة الثيرني كانت متعجرفة ومستبدة وهو يوضح لثوريد أن أميرة هيليوم من ممتلكات الأب الثيرني الشخصية. كما أن سلوك ثوريد تجاه الهيكادور الكهل لم يحمل على الإطلاق أي ود أو احترام.

وعندما هدأت المشاجرة التي وقعت في الشرفة، تحول ماتاي شانج تحوي مرة أخرى.

صاح: «يا رجل كوكب الأرض، أنت تستحق موتًا أكثر بشاعة مما يمكن أن تلحقه بك الآن قدرتنا التي ضعفت؛ لكن مرارة موتك الليلة ستكون مضاعفةً. عليك أن تعلم أن أرملتك ستصبح لمدة سنة مريخية زوجة ماتاي شانج، هيكادور الثيرن المقدسين. وسوف أهجرها في نهاية تلك الفترة، كما تعرف قانوننا. لكنها لن تحيا كالمعتاد حياة هادئة وكريمة ككاهنة في ضريح مقدس، بل ستصبح ديجاه ثوريس، أميرة هيليوم، ألعوبة نوابي- ربما لأبغض خصومك، ثوريد.. الداتور الأسود».

وعندما توقف عن الحديث، انتظر في صمت اندلاع غضبي الذي سيكون نكهة إضافية إلى انتقامه. لكنني لم أمنحه الرضى الذي يشتهيه.

وفي المقابل، قمتُ بعمل الشيء الوحيد من بين جميع الأشياء التي قد تثير غضبه وتزيد من كراهيته نحوي؛ فقد كنت أعرف أنني إذا مُت،

(٤)

البرج السِّري

ليست لديَّ رغبة في سرد الأحداث الرتيبة في تلك الأيام المملة التي قضيتُها مع وولا نستكشف طريقنا عبر المتاهة الزجاجية، من خلال الطرق المظلمة والملتوية التي تقع أسفل وادي دور والمنحدرات الذهبية إلى أن ظهرنا أخيرًا فوق جانب جبال أوتز، تمامًا فوق وادي الأرواح الضائعة، هؤلاء الناس البؤساء بحظهم العاثر، الذين لا يجرؤون على الاستمرار في حجهم إلى دور، أو العودة إلى أراضي العالم الخارجي المختلفة التي أتوا منها.

اقتفيت هنا أثر خاطفي ديجاه ثوريس على طول قاعدة الجبال، عبر الوديان الوعرة شديدة الانحدار بجوار منحدرات مروعة، وأحيانًا في الخارج عند الوادي، حيث تقاتلنا كثيرًا مع أفراد القبائل المختلفة التي تشكل سكان وادي اليأس هذا.

ستجد أيضًا ديجاه ثوريس طريقة لموتها قبل أن يلحقوا بها أي عذاب أو إهانات.

من بين قدس الأقداس جميعها التي يبجلها ويعبدها الثيرن، لا يوقرون أكثر من الشعر الأصفر المستعار الذي يغطي رؤوسهم الصلعاء، وبعده يأتي الإطار الذهبي الدائري والإكليل العظيم الذي تحدد أشعته المتألقة بلوغ الدورة العاشرة.

ولأنني أعرف ذلك، أزلت الشَّعر المستعار والإطار الدائري من رأسي وألقيتهما بإهمال على ممشى الفناء، ثمَّ مسحت قدمي فوق خُصل الشَّعر الأصفر. وعندما ارتفعت صيحات الغضب من الشرفة، بصقتُ على الإكليل المقدس.

استشاط ماتاي شانج غضبًا، على أنني رأيتُ على شفاه ثوريد ابتسامة مرحة قاتمة؛ فهذه الأشياء ليست مقدسة بالنسبة له. وحتى لا يتسلى كثيرًا بأفعالي، صحت قائلًا: «وهذا ما فعلته أيضًا بمقدسات إيسوس، إلهة الحياة الأبدية، قبل أن ألقي بها إلى الغوغاء، الذين كانوا يعبدونها ذات يوم، كي يمزقوها إربًا في معبدها».

وبهذا انتهت ابتسامة ثوريد؛ لأنه كان من أكبر أنصار إيسوس.

صرخ ثوريد: «علينا أن نضع حدًّا لهذا الكُفر!»، ثم استدار نحو الأب الثيرني.

نهض ماتاي شانج، ومال على حافة الشرفة، ثم أطلق صوت النداء الغريب الذي سمعته سابقًا ينطلق من شفاه الكهنة من شرفة صغيرة عند

سطح المنحدرات الذهبية المطلة على وادي دور، وهم ينادون القرود البيضاء المخيفة ورجال النبات البشعين للاحتفال بالضحايا القادمين عبر حضن نهر إيس الغامض في اتجاه مياه بحر كوراس المفقود التي ينتشر فيها السيليان[١٥]. صاح: «أطلقوا الموت!»، وعلى الفور انفتحت متأرجحة عشرات الأبواب في قاعدة البرج، واندفعت نحو الساحة عشرات من حيوانات البانث الكئيبة الرهيبة.

لم تكن هذه هي المرة الأولى التي أُواجه فيها أسد برسوم الشرس، لكنني لم أُواجه بمفردي من قبل العشرات منهم. وحتى مع مساعدة وولا الشرس، لا يمكن أن تسفر هذه المعركة غير المتكافئة إلا عن نتيجة واحدة.

ترددت الوحوش للحظة تحت وهج المشاعل الباهر. وبعد أن اعتادت أعينهم على الضوء، انقضوا علينا أنا ووولا، وهم يتقدمون بأعراقهم المنتصبة وزئيرهم الصادر من أعماق حناجرهم، وذيولهم القوية تتحرك ضاربة على جوانبهم السمراء المصفرة.

في الفترة القصيرة من الحياة التي تُركت لي، ألقيتُ نظرة وداع أخيرة إلى ديجاه ثوريس. كان تعبير وجهها الجميل ينمُّ عن الرعب. وعندما التقت أعيننا، مدَّت ذراعيها نحوي وحاولت، وهي تتعارك مع الحراس الذين أمسكوها الآن، أن تلقي بنفسها من الشرفة إلى الهوة في أسفل لتشاركني الموت. لكنها، عندما أوشكت حيوانات البانث على

---

(١٥) السيليان هو مخلوق مائي في بحر كوراس المفقود، وينشط ليلًا- *http://barsoom.wikia.com/wiki/Silian.* (المترجمة).

الانقضاض عليَّ، استدارت ودفنت وجهها العزيز بين ذراعيها.

وفجأةً استرعى انتباهي سلوك ثوفيا البتارثية. كانت الفتاة الجميلة تميل الآن على حافة الشرفة، وتتألق عيناها من الإثارة.

وعلى الرغم من أن حيوانات البانث كانت تقترب من الانقضاض فوقي، لم أتمكن من تحويل بصري بعيدًا عن ملامح الفتاة الحمراء؛ فقد كنتُ أعرف أن تعبير وجهها يمكن أن يعني أي شيء إلا الاستمتاع بالمأساة المروعة التي سرعان ما ستحدث أدنى الشرفة التي تقف عليها. هناك معنى خفي أعمق، حاولت أن أفهمه.

فكرت للحظة في الاعتماد على عضلاتي وخفة حركتي، كرجل من كوكب الأرض، للهروب من البانث والوصول إلى الشرفة -وهو ما كان يمكنني القيام به بسهولة-، لكنني لا أستطيع أن أهجر ولا الوفي وأتركه ليموت وحده تحت أنياب البانث القاسية الجائعة؛ فهذه ليست الطريقة في برسوم، كما أنها لم تكن أبدًا طريقة جون كارتر.

ثم أدركتُ سر إثارة ثوفيا؛ فمن بين شفتيها صدر صوت الخرير الذي سمعته مرة من قبل، سمعتُه في تلك الفترة داخل المنحدرات الذهبية عندما نادت على حيوانات البانث الشرسة لتتجمع حولها، وقادتهم كما تقود راعية الأغنام قطيعها الوديع غير المؤذي.

توقفت البانث في مساراتها مع سماع أول نغمة في هذا الصوت المريح، ورفعت رؤوسها الشرسة نحو مصدر النداء المألوف. وعندما اكتشفت وجود الفتاة الحمراء في الشرفة فوقها، أصدرت هديرًا ينم عن التقدير والترحاب.

انطلق الحراس لسحب ثوفيا بعيدًا، لكنها كانت قد ألقت -قبل أن ينجحوا في سحبها- وابلًا من الأوامر إلى الحيوانات المتوحشة، بحيث أخذت تتراجع متجهة نحو أوكارها.

صاحت ثوفيا، قبل أن يتمكن الحراس من إسكاتها: «لا تخشَهم الآن يا جون كارتر! فهذه البانث لن تُلحق بك الآن أو بوولا أي ضرر أبدًا».

كان هذا كل ما كنت مهتمًّا بمعرفته. لم يعُد هناك ما يمنعني من الوصول إلى الشرفة الآن، ركضت ثم قفزت قفزة هائلة بحيث أمسكت بيدي الحافة السفلية للشرفة.

وفي لحظة، ساد ارتباك شديد بين الجميع. انكمش ماتاي شانج وهو يتراجع إلى الوراء. وانطلق ثوريد نحوي وهو يمتشق سيفه.

استخدمت ديجاه ثوريس أغلالها الحديدية الثقيلة مرة أخرى لضربه. وعندئذ أمسكها ماتاي شانج من خصرها وجرها بعيدًا، وخرجا من باب يؤدي إلى داخل البرج.

تردد ثوريد للحظة، ثم انطلق في أعقابهما خشية أن يهرب الأب الثيرني مع أميرة هيليوم.

فايدور وحدها هي التي احتفظت بذهنها حاضرًا. أمرت اثنين من الحراس بإبعاد ثوفيا البتارثية، وأمرت الحراس الآخرين بالبقاء ومنعي من المتابعة. ثم التفتت نحوي.

وقالت: «جون كارتر، للمرة الأخيرة أقدم لكم حب فايدور، ابنه الهيكادور المقدس. إذا قبلت، ستعود أميرتك إلى بلاط جدها، وأنت ستعيش في سلام وسعادة. وإذا رفضت، ستلقى ديجاه ثوريس المصير الذي هدد به والدي. لم يعُد في إمكانك إنقاذها، فقد وصلوا بها الآن إلى مكان ليس في استطاعتك تتبعه. إذا رفضت، لن ينقذك أي شيء. فعلى الرغم من أن طريقك إلى آخر معاقل الثيرن المقدسين كان يسيرًا، فقد أصبح الآن مستحيلًا. فما قولك؟».

أجبتها: «فايدور، أنت تعرفين ردي»؛ ثم توجهت نحو الحرس صائحًا: «أفسحوا الطريق على الفور، سوف يسير جون كارتر أمير هيليوم!».

قلت ذلك، ثم قفزت فوق الدرابزين المنخفض الذي يحيط بالشرفة، وأنا أواجه أعدائي بسيفي الطويل.

كانوا ثلاثةً؛ ويبدو أن فايدور خمنت نتيجة المعركة؛ لأنها استدارت وهربت من الشرفة في اللحظة التي أدركت فيها موقفي من عرضِها.

لم ينتظر الحراس الثلاثة هجومي، بل هرعوا نحوي، الثلاثة في وقت واحد؛ وهو ما أعطاني ميزةً؛ لأنهم تعثروا في حيز الشرفة الضيق، بحيث سقط أولهم بنصل سيفي عند أول هجوم.

بقعة الدم الحمراء على نصل سيفي أيقظت بالكامل شهوة الدم القديمة للمحارب، التي لم تعتمل أبدًا بهذه القوة من قبل داخل صدري؛ فحلق النصل في الهواء بسرعة ودقة قاتلة ألقت الثيرنيين المتبقيين إلى مصيرهما البائس.

عندما وجد النصل الحديدي الحاد طريقه أخيرًا إلى قلب أحدهما، جرى الآخر هربًا. خمنت أن خطواته ستقوده إلى الطريق الذي اتخذه مَن أسعى إليهم، ولذا سمحتُ له بالابتعاد بقدر كاف يجعله يعتقد أنه في أمان من سيفي.

ركض عبر عدة غرف داخلية حتى وصل إلى مدرج حلزوني، اندفع نحوه وأنا أطارده عن قرب. وصلنا في نهايته العلوية إلى غرفة صغيرة، جدرانها فارغة باستثناء نافذة واحدة تطل على منحدرات أوتز وخلفها وادي الأرواح الضائعة.

وهنا مزق الحارس بشكل محموم ما كان يبدو أنه مجرد قطعة من الجدار الفارغ أمام النافذة الوحيدة. خمنت على الفور أنه مخرج سري من الغرفة، ولذا توقفت لأتيح له فرصة لإيجاد هذا المخرج؛ فلم أكن مهتمًا بقتل هذا الخادم المسكين، بل كل ما كنت أسعى إليه هو معرفة طريق واضح يصل بي إلى ديجاه ثوريس، أميرتي التي فقدتها منذ فترة طويلة.

حاول كثيرًا، لكن اللوح لم ينفتح سواء بالخداع أو بالقوة. وفي النهاية، استدار الحارس ليجدني في مواجهته.

قلت له وأنا أشير إلى مدخل المدرج الذي قادنا إلى هنا: «اذهب من هذا الطريق يا ثيرني، ليس لديَّ أي خِلاف معك، ولا أسعى إلى قتلك. اذهب!».

أجاب بأن هاجمني بسيفه فجأة، فتراجعت قبل اندفاعه الأول، ولم يكن أمامي سوى أن أمنحه ما يسعى إليه وبأسرع ما يمكن، حتى

لا أستغرق وقتًا طويلًا في هذه الغرفة بينما ماتاي شانج وثوريد يشقان طريقهما مع ديجاه ثوريس وثوفيا البتارثية.

كان الزميل مبارزًا ماهرًا، واسع الحيلة ومخادعًا. ويبدو أنه لم يسمع من قبل عن وجود شيء يُسمى ميثاق الشرف، فقد انتهك مرارًا وتكرارًا العشرات من قواعد برسوم القتالية التي يُفضل أي رجل شريف الموت على أن يتجاهلها.

ووصل به الأمر حتى إلى انتزاع شعره المستعار المقدس من رأسه وإلقائه في وجهي، ليعميني للحظة يتمكن خلالها من أن يطعنني في صدري غير المحمي.

على أنه لم يجدني عندما وجه طعنته، فقد قاتلت الثيرن من قبل وأعرفهم جيدًا. وعلى الرغم من أنني لم أشهد أيًا منهم يلجأ من قبل إلى مثل هذه الحيلة تحديدًا، فقد كنتُ أعرف أنهم أقل المقاتلين شرفًا وأكثرهم غدرًا على المريخ؛ لذا أحذر دومًا من حيلهم الجديدة والشيطانية عندما أواجه واحدًا من عِرقهم.

لكنه بالغ كثيرًا في خدعته؛ إذ سحب سيفه القصير وقذف به إلى جسدي، بينما اندفع في اللحظة نفسها يهاجمني بسيفه الطويل. على أن دائرة كاسحة واحدة من نصلي اصطدمت بسلاحه الطائر وقذفته بعيدًا ليرتطم مصلصلًا بالجدار، وعندئذٍ تجنبت اندفاعه العدائي المتهور، وأنا أغرز رأس نصلي بكامله في معدته خلال اندفاعه السريع.

اخترق سلاحي كله إلى مقبضه جسدَهُ؛ فسقط على الأرض ميتًا وهو يطلق صرخة مخيفة.

توقفتُ لبرهة كي أجذب سيفي من جثة خصمي الراحل، ثم انطلقت عبر الغرفة إلى الجدار الفارغ الذي حاول الثيرني المرور من خلاله. حاولت معرفة سر القفل، لكن جميع محاولاتي باءت بالفشل.

حاولت يائسًا استخدام القوة، لكنني شعرتُ أن الحجر البارد الصلب ربما يضحك الآن ساخرًا من محاولاتي الخائبة العقيمة. لكنني في الواقع كنت مستعدًا أن أقسم بأنني اقتنصتُ إيحاء ضعيفًا من الضحكات الساخرة القادمة من وراء هذا اللوح المثير للحيرة.

توقفتُ عن جهودي عديمة الفائدة وأنا في حالة اشمئزاز، وصعدت إلى النافذة الوحيدة الموجودة بالغرفة.

لم يكن في متحدرات أوز ووادي الأرواح الضائعة البعيد أي شيء يثير اهتمامي حينذاك؛ لكن الجدار المنحوت للبرج الذي يرتفع فوقي شاهقًا استحوذ على كل اهتمامي.

ففي مكان ما داخل تلك الكومة الضخمة توجد ديجاه ثوريس. رأيت فوقي بعض النوافذ. ربما هناك توجد الطريقة الوحيدة التي يمكن أن تأخذني إليها. كانت المخاطر كبيرة، لكنها ليست كبيرة عندما يكون مصير أروع امرأة في هذا العالم على المحك.

ألقيتُ نظرة إلى أسفل. تقع على بعد مائة قدم صخور خشنة من الجرانيت عند حافة هوة مخيفة يرتكز عليها البرج. وإذا انزلقت القدم لمرة واحدة فقط، أو فقدت الأصابع قبضتها لمجرد جزء من الثانية، يموت المرء على الفور إما على الصخور أو في قاع الهوة.

ولكن، لا توجد أي طريقة أخرى. هززت كتفي، وأعترف أنني كنت نصف مرتعش، ثم صعدت إلى العتبة الخارجية للنافذة، وبدأت تسلقي المحفوف بالمخاطر.

ومما أثار فزعي أنني وجدت، خلافًا للزخارف على معظم الأبنية في هيليوم، أن حواف المنحوتات كانت مستديرة عمومًا، ولذا كانت قبضتي عليها -في أحسن الأحوال- أكثر خطورة.

بدأتُ سلسلة من الأحجار الأسطوانية، التي يبلغ قطر كل منها حوالي ٦ بوصات، تتساقط من على ارتفاع خمسين قدمًا. يبدو أنها تطوق البرج على مسافات تبلغ كل منها حوالي ست أقدام؛ وكلما برز حجر أسطواني لحوالي أربع أو خمس بوصات وراء سطح الزخرفة الأخرى، أتاح أمامي طريقة سهلة نسبيًا للصعود إذا تمكنت من الوصول إليهم.

تسلقتُ نحوهم بمشقة عن طريق بعض النوافذ التي تقع أسفلهم، على أمل أن أجد مدخلًا إلى البرج خلال إحداها، ومن ثم أجد طريقًا أسهل لمواصلة بحثي.

كانت قبضتي تلين أحيانًا على الأسطح المستديرة للحواف المنحوتة، بحيث كان يمكن لأي عطس أو سعال، أو حتى عاصفة طفيفة من الرياح، أن تدفع بي إلى الأعماق أدناه.

لكني وصلتُ أخيرًا إلى موقع، حيث يمكن لأصابعي أن تتشبث بحافة أدنى نافذة. وكنت على وشك تنفس الصعداء عندما تناهت إلى سمعي أصوات، من أعلى عبر النافذة المفتوحة.

كان صوت ماتاي شانج: «لن يتمكن أبدًا من حل سر ذلك القفل. علينا أن نتحرك نحو حظيرة السفن الفضائية في الأعلى؛ كي نتمكن من الابتعاد نحو الجنوب قبل أن يجد طريقة أخرى- إذا تمكن أن يجدها أصلًا».

أجاب شخص آخر، تعرفتُ فيه على صوت ثوريد: «كل شيء يبدو ممكنًا بالنسبة لهذا الكالوت الخسيس».

قال ماتاي شانج: «فلنسرع إذنْ. ولكن لزيادة التأكيد، سأترك هنا شخصين ليقوما بدوريات حراسة في هذا المدرج. ويمكنهما اللحاق بنا في ما بعد إلى كاول بسفينة أخرى».

لم تصل أبدًا أصابعي الممدودة إلى حافة النافذة. فمع سماعي لأول صوت، سحبت يدي إلى الوراء وتشبث بموقعي المحفوف بالمخاطر، ملتصقًا بالجدار العمودي، لا أكاد أجرؤ على التنفس.

يا له من وضع رهيب، إن اكتشف ثوريد مكاني! عندئذ سيميل من النافذة ليدفعني برأس سيفه إلى موت أبدي.

خفتت الأصوات الآن؛ فواصلتُ صعودي الخطير الذي أخذ يزداد صعوبةً والتواءً؛ لأنني يجب أن أتفادى النوافذ خلال تسلقي.

أشار كلام ماتاي شانج عن التوجه نحو حظيرة الطائرات ،إلى أن وجهتي ليست سوى سطح البرج، ولذا تحركت نحو هذا الهدف البعيد.

أنجزتُ أخيرًا الجزء الأكثر صعوبةً وخطورةً من الرحلة، وغمرني شعور بالراحة وأصابعي تقترب من أدنى الأسطوانات الحجرية.

صحيح أن هذه النتوءات كانت شديدة البُعد عن بعضها البعض لتحقيق التوازن المرجو خلال التسلق، لكن نقطة الأمان كانت على الأقل في متناول يدي بحيث يمكنني التشبث في حالة وقوع حادث.

وعلى مسافة حوالي عشر أقدام تحت السطح، كان الجدار يميل قليلًا إلى الداخل، وربما لقدم واحدةٍ في الأقدام العشر الأخيرة. وهنا كان التسلق في الواقع أسهل بما لا يقاس، وأمسكت أصابعي بالإفريز.

وعندما وجهتُ عيني فوق مستوى قمة البرج، رأيت سفينةً فضائيةً تستعد للإقلاع.

كان على سطح السفينة ماتاي شاتج، وفايدور، وديجاه ثوريس، وثوفيا البتارثية، وعدد من المحاربين الثيرنيين؛ وبالقرب كان ثوريد يصعد على متن السفينة الفضائية.

كان يبعد عني بأقل من عشر خطوات في الاتجاه المعاكس. ويا له من قدر غريب قاس، جعله يلتفت عندما كانت عيناي تتصدران حافة السطح.

وعندما التقت عيناه بعينيَّ؛ أضاء وجهه الشرير بابتسامة خبيثة وهو يقفز نحوي، حيث كنت أتعجل بالتسلق لأجد موقع قدم آمن على السطح.

من المؤكد أن ديجاه ثوريس شاهدتني في اللحظة نفسها، إذ أطلقت صرخة تحذير دون جدوى، فقد كانت قدم ثوريد تتأرجح استعدادًا لركلة قوية استقرت الكامل على وجهي.

تمايلتُ مثل ثور جريح ملفوف، وتراجعت إلى الخلف على جانب البرج.



(٥)

على الطَّريق إلى كاول

إذا كان مصيري قاسيًا في بعض الأحيان، فهناك بالتأكيد نوع من العناية الإلهية الرحيمة التي تحرسني دائمًا.

مع سقوطي من البرج إلى الهاوية المروعة أدناه، اعتبرتُ نفسي ميتًا بالفعل؛ وبالقطع تصور ثوريد ذلك أيضًا؛ لأنه لم يكلف نفسه عناء النظر، وإنما استدار وصعد على الفور إلى السفينة الفضائية التي كانت تنتظره.

سقطتُ مسافة عشر أقدامٍ فقط، ثم شبكتْ حلقة من عتادي الجلدي القوي في إحدى نتوءات حجر أسطواني في سطح البرج. وعندما توقف سقوطي، لم أصدق المعجزة التي حمتني من موت فوري، وبقيت معلقًا للحظات والعرق البارد يتصبب من كل مسام جسدي.

وعندما نجحت في استعادة وضع جيد، ترددت في الصعود؛ فكيف لي أن أعرف ما إذا كان ثوريد لا يزال ينتظرني في الأعلى.

على أني أسمع الآن أزيز مراوح السفينة، وكلما تنامى خفوت صوتها أُدرك أن المجموعة تبتعد نحو الجنوب دون التأكد من مصيري.

اتخذت طريقي ثانيةً بحذر نحو السطح. ويجب أن أعترف أنني عندما رفعتُ عيني مرة أخرى فوق حافة السطح، كانت مشاعري مضطربة؛ ولراحتي لم يكن هناك أحد على مرمى البصر، وبعد لحظات كنت أقف بأمان على السطح الواسع.

لم يستغرق وصولي إلى حظيرة الطائرات وسحب السفينة الفضائية الوحيدة الأخرى أكثر من عدة ثوان. وما إن خرج المحاربان الثيرنيان اللذان تركهما ماتاي شانج لمنع أي طارئ من داخل البرج إلى السطح، حتى كنت أطير فوقهما ضاحكًا في سخرية.

انخفضت سريعًا إلى الفناء الداخلي، حيث رأيت وولا آخر مرة، ولسعادتي الشديدة وجدتُ الوحش الوفي لا يزال هناك.

كانت حيوانات البانث الضخمة، البالغ عددها ١٢ حيوانًا، ترقد أمام مدخل عرينها وهي تتطلع إليه وتهدر على نحو ينذر بالسوء، دون أن تخالف أوامر ثوفيا. وشكرتُ القَدَر الذي جعل ثوفيا حارسًا لتلك الحيوانات في المنحدرات الذهبية، ووهبها طبيعة طيبة ومتعاطفة بحيث فازت بولاء ومودة هذه الحيوانات الشرسة.

قفز وولا في فرح محموم عندما شاهدني. وما إن لمست سفينة الفضاء رصيف الفناء للحظة وجيزة، حتى انطلق إلى سطحها بجواري. وعندما اندفع وولا نحوي لإبداء مظاهر سعادته الشديدة، تسبب في ميل السفينة واصطدامها قليلًا بالجدار الصخري للفناء.

وفي وسط صراخ الحارسين الثيرنيين الغاضب، ارتفعنا عاليًا فوق آخر حصن من حصون الثيرن المقدسين، ثم أسرعنا على الفور نحو الشمال الشرقي ومدينة كاول، الوجهة التي سمعت ماتاي شانج يقول إنهم متجهون إليها.

لاحظت على بُعد أمامنا بقعة صغيرة، أدركت لاحقًا في فترة متأخرة من بعد ظهر اليوم أنها سفينة أخرى. لا يمكن إلا أن تكون السفينة التي تحمل حبي المفقود وأعدائي.

قطعتُ مسافةً كبيرةً بالسفينة ليلًا. ولأنني كنت أعرف أنهم ربما لمحوني ولن يُظهِروا أي أضواء بعد حلول الظلام، قمت بإعداد بوصلة السفينة نحو وجهتي، وهذه البوصلة هي آلة مريخية صغيرة رائعة، ما إن تضبطها نحو شيء أو وجهة، فإنها تشير إليه بغض النظر عن أي تغيير في موقعه.

مضينا سريعًا طوال تلك الليلة عبر الفراغ البرسومي، مررنا فوق تلال منخفضة وفوق قيعان البحر الميت، فوق مدن مهجورة منذ فترة طويلة ومراكز مزدحمة من السكان المريخيين الحُمر على خطوط مثل شريط من الأراضي المزروعة التي تحدها ممرات مائية تطوق هذا العالم، ويُطلق عليها رجال كوكب الأرض قنوات المريخ.

أظهر انبلاج الفجر أنني سبقت السفينة التي كانت أمامي. كان حجمها أكبر من حجم سفينتي، لكنها ليست سريعة؛ ومع ذلك قطعتُ مسافة هائلة منذ بدء الرحلة.

تبينتُ من تغيُّر الحياة النباتية أدناه أننا نقترب بسرعة من خط

الاستواء. أقتربُ الآن ممن أطاردهم، بما يكفي لاستخدام بندقية القوس. لكنني خشيت أن أطلق النار على السفينة التي تحمل ديجاه ثوريس، على الرغم من أنني لم أرها على سطح السفينة.

لم تردع وساوس من هذا النوع ثوريد. فعلى الرغم من صعوبة تصديقه أنني مَن أتبعهم بالفعل، فلم يشكك في ما شهدته عيناه. وهكذا، صوَّب بندقية قوية نحوي بيديه، وبعد لحظة انطلقت قذيفة راديوم متفجرة خطيرة فوق سطح سفينتي.

كانت طلقته التالية أكثر دقةً، ضربت مقدمة سفينتي وانفجرت في لحظة التلامس، وأحدثت فتحة واسعة في خزانات الطفو المقوسة، وعطلت المحرك.

سرعان ما سقط القوس بعد الطلقة، وبالكاد كان لديَّ وقت لربط وولا على سطح السفينة وشبك عتادي بالحافة العليا لحلقة السفينة قبل أن تصبح مؤخرة السفينة مُعلقة علويًا وهي تهوي نحو الأرض.

حالت خزانات الطفو القوية دون سقوطها بسرعة كبيرة؛ لكن ثوريد أخذ يطلق النار بسرعة في محاولة لتفجيرها، بحيث يدفعني نحو الموت خلال السقوط السريع الذي سيتبع على الفور نجاحه في إطلاق النار.

انهمرت الطلقات واحدة تلو الأخرى، لكنها بمعجزة لم تصبني أو تصب وولا، كما لم تثقب الخزانات. على أن هذا الحظ لا يمكن أن يستمر إلى الأبد. كنت متأكدًا أن ثوريد لن يتركني حيًا مرة أخرى، ولذا انتظرتُ انفجار القذيفة التالية، ثم وضعتُ يدي فوق رأسي بعد أن أفلتُّ

قبضتي، وتكومت متدليًا من عتادي كالجثة.

نجحت الحيلة، وتوقف ثوريد عن إطلاق النار. ولما بدأ صوت المراوح الطنانة يخفتُ، أدركتُ أنني أصبحتُ آمنًا مرةً أخرى.

سقطت السفينة المنكوبة على الأرض ببطء. وبعد أن حررتُ نفسي وولا من الحطام المتشابك، وجدتُ أننا عند حافة غابة طبيعية، وهذا شيء يندر أن تجده على كوكب المريخ الـمُحتَضِر، خارج وادي دور وبجوار بحر كوراس المفقود. لم أشهد لهذا مثيلًا من قبلُ على هذا الكوكب.

عرفتُ من الكتب والمسافرين بعض الأشياء عن أرض كاول غير المعروفة جيدًا، التي تقع على طول خط الاستواء، في منتصف الطريق تقريبًا حول الكوكب إلى شرق هيليوم.

وهي تضم منطقة غائرة من الحرارة المدارية الشديدة، وتسكنها أمة من الرجال الحُمر يختلفون قليلًا من حيث الأخلاق والعادات والمظهر عن باقي رجال برسوم الحُمر.

كنتُ أعرف أنهم من بين أناس العالم الخارجي الذين لا يزالون يتشبثون بعناد بدين الثيرن المقدسين الذي فقد مصداقيته، وبالتالي سوف يجد ماتاي شانج بينهم ترحيبًا وملاذ آمنًا؛ في حين لن يجد جون كارتر أفضل من موت خسيس على أيديهم.

ترجع عزلة الكاولين الكاملة تقريبًا إلى عدم وجود مجرى مائي يربط أراضيهم بأي أمة آخرى، فضلًا عن عدم حاجتهم إلى ممر مائي

نظرًا لأن الأراضي المنخفضة والمستنقعية التي تشمل منطقتهم بأكملها تزويها ذاتيًا محاصيلهم الاستوائية الوفيرة.

لا تُشجع التلال الوعرة والمناطق القاحلة من قاع البحر الميت، التي تمتد لمسافات كبيرة في جميع الاتجاهات، على التواصل معهم. ونظرًا لأنه لا يوجد عمليًا شيء على شاكلة التجارة الخارجية في برسوم المولعة بالحرب، فعندما تكتفي كل أمة ذاتيًا لا يُعرف سوى القليل بالفعل عن بلاط جيداك كاول وعن هذا العدد الكبير من الناس الغريبة، المثيرين للاهتمام، الذين يتولى الجيداك حكمهم.

كانت مجموعات الصيد تسافر أحيانًا إلى هذه البقعة النائية من العالم، لكن عداء المواطنين كثيرًا ما أسفر عن كوارث. وحتى رياضة صيد المخلوقات الغريبة والوحشية التي تحوم في معاقل غابة كاول في السنوات الأخيرة، ثبت أنها إغراء غير كافٍ حتى لأشجع المحاربين.

عرفتُ أين أنا، عندما وصلتُ إلى حافة أرض كاول. ولكن ليس لديَّ أي فكرة عن اتجاه بحثي عن ديجاه ثوريس، أو إلى أي مدى يجب أن أخترق داخل قلب هذه الغابة الكبيرة.

على أن الأمر كان مختلفًا بالنسبة إلى وولا.

فما إن فككت رباطه، حتى رفع رأسه عاليًا في الهواء وبدأ يحوم حول حافة الغابة، ثم توقف واستدار ليتأكد أنني أتبعه، وبعدها انطلق مباشرة إلى متاهة الأشجار في الاتجاه الذي كنا نسير فيه قبل أن تضع طلقات ثوريد نهاية لسفينتنا الفضائية.

وصيد الحشرات التي يتكون منها نظامه الغذائي.

كانت تنتشر أيضًا شجرة الكالوت، المثيرة للاشمئزاز. وهو نبات آكل للحوم، يبلغ في ضخامته شجرة المريمية التي تنتشر في سهولنا الغربية. ينتهي كل فرع بأكثر من فك قوي، معروف أنه يسحب ويلتهم الوحوش الضارية الكبيرة والهائلة.

كان أمامنا، أنا ووولا، العديد من الطرق الضيقة للهروب من هذه الوحوش الجشعة، كثيرة الأشجار.

منحتنا مساحات متباعدة من العشب الصارم فتراتٍ للراحة من مشقة عبور هذا المستنقع الرائع الظليل. وقررتُ أخيرًا إقامة مخيم فوق إحدى تلك المساحات لقضاء الليل، حيث أنذرني الكرونومتر أنه سيحل قريبًا.

نمت بوفرة حولنا العديد من أصناف الفاكهة. ونظرًا لأن الكالوت المريخي يتغذى على اللحوم والنباتات، لم يجد وولا أي صعوبة في صنع وجبة دسمة بعد أن جلبت له المؤن. وبعد أن أكلنا، استلقيتُ وظهري في مواجهة ظهر وولا الوفي، وذهبت في نوم عميق بلا أحلام.

اكتنف الظلام الدامس الغابة، ثم أيقظني هدير منخفض من وولا. سمعت حركةً خفيةً من أقدام ضخمة مبطنة، وكنت أرى بين الفينة والفينة بريقًا شريرًا من أعين خضراء تنظر نحونا. نهضت، وامتشقت سيفي الطويل، وانتظرت.

وفجأة انطلق زئير مروع عميق النبرة من حنجرة وحشية بجانبي

عثرنا في حوالي ظهر اليوم على طريق مرصوف بشكل جيد يتخذ نفس الاتجاه العام الذي نتبعه. كان كل شيء في هذا الطريق السريع يدل على أنه من صُنع مهندسين مهرة. وكنت واثقًا -من الدلائل التي تشير إلى العصور القديمة وكذلك من العلامات الواضحة على استخدامه اليومي- أنه يجب أن يؤدي إلى إحدى المدن الرئيسة في كاول.

وما إن دخلنا إلى هذا الطريق من أحد جوانبه، حتى ظهر وحش طائر ضخم تلو الآخر من الغابة؛ وعندما شاهدونا، غيروا وجهتهم يجنون نحونا.

تخيل -إن استطعتَ- أن دبورًا أجرد في كوكب الأرض أصبح بحجم ثور ضخم، عندئذٍ يُمكنك تكوين صورة باهتة للمظهر الشرس والصلابة الرهيبة التي يتمتع بها الوحش المُجنح الذي يحلّق فوقي مهاجمًا.

فكّان مخيفان من الأمام، ولدغات قوية مسمومة من الخلف، جعلت سيفي الطويلة الضئيل نسبيًا يبدو سلاحًا دفاعيًا يُرثى له. كما لا يمكنني أن آمل في الفرار من حركاته السريعة كالبرق، أو الاختباء من تلك الأعين الكثيرة التي تملأ وجهه وتغطي ثلاثة أرباع رأسه البشع، وتُتيح لهذا المخلوق النظر في جميع الاتجاهات في وقت واحد.

حتى وولا القوي الشرس كان عاجزًا كهرة صغيرة أمام هذا الشيء المخيف. كان الفرار عديم الفائدة، كما لم يسبق لي أبدًا أن أدرتُ ظهري عند الخطر؛ ولذا وقفتُ ثابتًا، وولا يزمجر إلى جانبي، وأملي الوحيد أن أموت كما عشت دائمًا؛ مقاتلًا.

تقريبًا. كم أنا أحمق؛ لأنني لم أجد مكانًا للإقامة أكثر أمانًا لنا بين فروع إحدى تلك الأشجار التي لا تُعد ولا تُحصى المحيطة بنا!

كان من اليسير نسبيًا في ضوء النهار أن أرفع وولا عاليًا بطريقة أو أخرى، لكن الأوان فات الآن. ليس أمامنا الآن سوى الثبات على الأرض، وأن نتجرع واقع الدواء المر. على أنني من هذا الضجيج البشع الذي هاجم آذاننا الآن، حيث يبدو أن الزئير الأول كان مجرد إشارة، أدركت أننا في وسط مئات، وربما آلاف، من ساكني غابة كاول الشرسين آكلي البشر.

استمر ضجيجهم الجهنمي لما تبقى من الليل؛ لكنني لم أستطع تخمين سبب عدم هجومهم علينا، ولستُ متأكدًا حتى يومنا هذا، ما لم يكن السبب يرجع إلى أنهم لم يجرؤوا على المجازفة نحو المروج القرمزية التي تنتشر في المستنقع.

ومع حلول الصباح، كانوا لا يزالون موجودين، يتجولون كأنهم في دائرة وإنما دائمًا خارج حافة المرجة. ويصعب تخيُّل مجموعة أكثر رعبًا من الوحوش الضارية المتعطشة للدماء.

بدؤوا يتجولون فرادى وفي أزواج نحو الغابة بعد شروق الشمس بفترة قصيرة. وعندما غادر آخرهم، استأنفت رحلتي ومعي وولا.

كنا نلمح، بين الفينة والأخرى، وحوشًا مروعة خلال النهار؛ ومن حسن الحظ أننا لم نبعد أبدًا عن جزيرة المرجة. وعندما يروننا، ينتهي بهم المطاف دائمًا عند حافة العشب الصلبة.

مشيتُ متعثرًا خلفه قدر استطاعتي، عبر منحدر حاد على حافة الغابة.

ارتفعت فوقنا قمم الأشجار الضخمة، وحجبت تمامًا أوراقها العريضة أدنى لمحة من السماء. كان من السهل أن أعرف لماذا لا يحتاج الكاوليين إلى أسطول بحري؛ فمدنهم الـمُختفية في وسط هذه الغابات الشاهقة يستحيل رؤيتها من أعلى، كما لا يمكن هبوط أي سفينة فضائية إلا إذا كانت صغيرة الحجم، وإلا تخاطر بوقوع حادث.

لا أتصور كيف يمكن أن يهبط ثوريد وماتاي شانج. لكنني عرفت لاحقًا أن هناك برج مراقبة صغيرًا يرتفع على مستوى قمة الغابة في كل مدينة في كاول لحراسة الكاوليين في النهار، وفي الليل ضد أي اقتراب سري لأسطول عدائي. لم يجد هيكادور الثيرن المقدسين أي صعوبة في الاقتراب من أي برج منها، ثم هبط مع مجموعته بأمان على الأرض.

عندما اقتربت ومعي وولا من قاع الانحدار، وجدنا الأرض لينة وطرية، حتى إننا كنا نحقق بصعوبة شديدة أي تقدم للأمام.

نمتْ متقاربةً حولنا أعشاب أرجوانية نحيلة، تعتليها أوراق حمراء وصفراء تشبه السرخس، على ارتفاع عدة أقدام فوق رأسي.

وتعلق عدد لا يحصى من الأزهار الزاحفة في حلقات رشيقة من شجرة إلى شجرة، وبينها عدة أصناف من نبات الزهرة القناصة المريخي(١٦)، الذي توجد في براعمه أعين وأيدٍ يستخدمها في رؤية

---

(١٦) نبات زاحف يشكل كرمة، توجد منه عدة أنواع في برسوم. ويوجد لأزهار هذا النبات أيد وأعين تستخدمها في رؤية واصطياد الحشرات الصغيرة التي يتكون منها غذاؤها - http://barsoom.wikia.com/wiki/Man-flower. (المترجمة).

كان حيوانه يسير برزانة عندما رأيته بداية. ولكن ما إن وقعت عينا الرجل الأحمر علينا، حتى أدت كلمة منه للثوات إلى أن يصل إلينا في لحظة. وجه المحارب حربته نحو المخلوق، وهاجم المحارب ودابته المخلوق بقوة وغرس حربته بحيث اخترقت جسد خصمنا.

تصلب المخلوق بقشعريرة تشنجية، وارتخى فكاه وأسقطني على الأرض، ثم دار مترنحًا وهوى برأسه على الطريق فوق وولا، الذين كان لا يزال متشبثًا بعناد برأس المخلوق الملطخ بالدماء.

تمكنت من الوقوف على قدمي، والرجل الأحمر يستدير نحونا. وجد وولا عدوه جثة هامدة بلا حياة، فأمرته أن يرخي قبضته ويتملص من تحت الجثة التي غطته تمامًا، وواجهنا معًا المحارب وهو يتطلع إلينا.

بدأتُ أشكر الغريب على مساعدته التي جاءت في الوقت المناسب، لكنه قاطعني.

سألني: «مَن أنت لتجرؤ على دخول أراضي كاول وتصطاد في غابة الجيداك الملكية؟».

وعندما لاحظ بشرتي البيضاء تحت طلاء الأوساخ والدماء التي غطتني، اتسعت عيناه وقال هامسًا بعد أن تغيرت نبرة صوته: «هل يمكن أن تكون من الثيرنيين المقدسين؟».

ربما خدعت الرجل لبعض الوقت، كما خدعت آخرين. لكنني ألقيت الشَّعر الأصفر المستعار والإكليل المقدس في حضور ماتاي شانج، وكنتُ أعرف أن الأمر لن يطول قبل أن يكتشف مُحدثي أنني

لست ثيرنيًا على الإطلاق.

أجبته: «أنا لست ثيرنيًا»، ثم خاطرت بالقول: «أنا جون كارتر، أمير هيليوم، وربما اسمي غير معروف لديكم».

إذا كانت عيناه اتسعتا عندما تصور أنني من الثيرنيين المقدسين، فقد جحظتا الآن عندما عرف أنني جون كارتر. قبضتُ على سيفي الطويل بقوة أكبر وأنا أتفوه بالكلمات التي كنت على يقين أنها قد تُعجل بالهجوم، لكنها لدهشته لم تُعجل بأي شيء من هذا النوع.

«جون كارتر، أمير هيليوم»، كرر ببطء كأنه لم يتمكن تمامًا من استيعاب حقيقة العبارة. «جون كارتر، أقوى محارب في برسوم!».

وعندئذٍ ترجل، ووضع يده على كتفي على طريقة أكثر تحية ودية على المريخ.

قال: «إن من واجبي، ويجب أن يكون من دواعي سروري، أن أقتلك يا جون كارتر. لكنني أُكِنُّ لك في أعماق قلبي إعجابًا شديدًا ببراعتك، وأعتقد أنك صادق ومخلص، بينما أتشكك في الثيرن ودينهم ولا أعتقد في صدقهم».

«إن الاشتباه في هرطقتي سوف يعني موتي الفوري في بلاط كولان تيث، جيداك كاول. لكني أود مساعدتك يا أمير، فإذا أردت أي شيء يمكنك أن تأمر توركار بار، دوار[17] طريق كاول».

---

(١٧) دوار: رتبة مريخية تعادل رتبة كابتن (نقيب) - http://barsoom.wikia.com/wiki/Dwar. (المترجمة).

بدت الحقيقة والصدق بوضوح على ملامح المحارب النبيل، ولذا لا يمكنني إلا أن أثق به، رغم أنه كان يجب أن يكون عدوي. فسّرت رتبته -كابتن طريق كاولين- حضوره في الوقت المناسب إلى قلب الغابة المتوحشة؛ فهناك دوريات بكل طريق عام في برسوم من بواسل المحاربين الذين ينتمون إلى الطبقة النبيلة، ولا توجد أي خدمة أكثر شرفًا من هذا الواجب الخطير في الأجزاء التي يندر تردد الناس عليها من مناطق الرجال الحُمر في برسوم.

قلت له، وأنا أشير إلى جثة المخلوق الذي كان المحارب يسحب رمحه الطويل من قلبه: «توركار بار قد وضع بالفعل دينًا عظيمًا من الامتنان على كتفي».

ابتسم الرجل الأحمر.

وقال: «كان من حسن الطالع أنني جئت في الوقت المناسب. فهذا الرمح المسموم الذي يثقب قلب هذا السيث(١٨) هو فقط ما يمكن أن يقتله بسرعة كافية لإنقاذ فريسته. تتسلح جميعًا -في هذا الجزء من كاول- برماح طويلة رؤوسها مدهونة بسم المخلوق الذي تستهدف قتله؛ لا يوجد أي فيروس آخر يؤثر بسرعة على الوحش أكثر من سمه نفسه».

واصل قائلًا: «انظر»، ثم سحب خنجره وشق الجثة في موضع يقع على مسافة قدم فوق جذر أنبوب اللدغ، حيث استخرج كيسين يضم

(١٨) سيث: حشرة مفترسة ضخمة موطنها منطقة كاول على المريخ، ويستخدم الرجال الحُمر في كاول أكياسها المسممة في الأسلحة - http://barsoom.wikia.com/wiki/Sith. (المترجمة).

كل منهما جالونًا كاملًا من السائل القاتل.

«وهكذا نحافظ على إمداداتنا؛ فحتى إن لم تكن لبعض الاستخدامات التجارية التي تحتاج إلى الفيروس، فهي ضرورية لإضافتها إلى مخزوننا الحالي؛ لأن السيث يكاد ينقرض. لا نعثر إلا لمامًا على هذه الحشرات. على أن كاول القديمة كانت تتعرض لاجتياحات من هذه الوحوش المخيفة التي تأتي عادة في قطعان من عشرين أو ثلاثين منها، تنقضُّ مندفعة من أعلى لأسفل إلى مدتنا، وتذهب وهي تحمل معها النساءَ والأطفال، وحتى المحاربين».

خلال حديثه، كنت أفكر في مدى أمان أن أخبر هذا الرجل بالمهمة التي أتت بي إلى أرضه، لكن كلماته التالية توقعت أن أفتح هذا الموضوع من جانبي، وجعلتني شاكرًا أنني لم أتسرع في هذا الحديث.

قال: «والآن بالنسبة لك يا جون كارتر. لن أسألك عن سبب مجيئك هنا، كما أنني لا أود أن أسمعه. إن لديَّ أعينًا وآذانًا وذكاء عاديًا، ورأيت صباح أمس المجموعة التي جاءت إلى مدينة كاول من الشمال في سفينة فضائية صغيرة. لكن هناك شيئًا واحدًا أطلبه منك، وهو: كلمة من جون كارتر أنه لن يفكر في القيام بأي تصرف سافر ضد أمة كاول أو جيداك كاول».

أجبته: «أعطيك كلمتي في هذا الشأن توركار بار».

قال: «وجهتي تمر على طول طريق كاول، بعيدًا عن مدينة كاول. لم أرَ أحدًا، وتحديدًا جون كارتر. وأنت لم ترَ توركار بار، ولم تسمع عنه من قبل. أتفهمني؟».

أجبتُ: «تمامًا».

وضع يده على كتفي.

وقال: «هذا الطريق يقود مباشرة إلى مدينة كاول. أتمنى لك حظًا سعيدًا»، ثم وثب إلى ظهر حيوانه الثوات، وهرول سريعًا دون أن يُلقي حتى نظرة إلى الوراء.

وعندما حلَّ الظلام، استطلعتُ عير الغابة القوية ومعي وولا السور العظيم الذي يحيط بمدينة كاول.

اجتزنا الطريق بأكمله دون أي سوء حظ أو مغامرة. وعلى الرغم من أن العدد القليل الذي صادفناه من الناس قد نظر إلى حيواني الكالوت الضخم بتعجب، فلم تخترق عين أي منهم الصبغة الحمراء التي كان دُهنت بها كل بوصة مربعة من جسدي.

بيد أن اجتياز البلد والدخول إلى مدينة كولان تيث التي تحميها الحراسة، كانا شيئين مختلفين تمامًا. لا يدخل أي شخص إلى مدينة مريخية دون أن يعطي تقريرًا مفصلاً ومُرضيًا عن نفسه، ولن أخدع نفسي بأن أتصور للحظة أن بإمكاني التغلب على فطنة ضباط الحرس الذين سأتقدم إليهم بطلبي عند أي من البوابات.

يبدو أن أملي الوحيد يكمن في دخول المدينة خلسة تحت جنح الظلام؛ وما إن أدخل، حتى أعتقد أن بإمكاني الثقة في ذكائي للاختباء في بعض الأحياء المزدحمة حيث تقل احتمالات كشفي.

وبهذه الفكرة في ذهني، درت حول السور الكبير مع استمرار

محاذاتي لحافة الغابة التي تبعد بمسافة عن السور حول المدينة كلها، بحيث لا يتمكن أي عدو من استخدام الأشجار كوسيلة للدخول.

حاولت قياس الحاجز عدة مرات عند نقاط مختلفة، ولكن حتى عضلاتي كإنسان من كوكب الأرض لم تستطع التغلب على السور الواقي المبني بذكاء. كان سطح السور يميل إلى ارتفاع ثلاثين قدمًا نحو الخارج، ثم يصبح عموديًا لمسافة متساوية تقريبًا، يميل في أعلاها مرة أخرى خمس عشرة قدمًا نحو القمة.

كما كان أملسًا! لا يمكن أن يزيد الزجاج المصقول ذلك. وفي النهاية، يجب أن أعترف أنني اكتشفت أخيرًا تحصينات برسومية لا أستطيع تجاوزها.

شعرت بالإحباط، فانسحبت إلى الغابة بجانب أحدى الطرق الرئيسة الواسعة التي تدخل المدينة من الشرق، واستلقيت للنوم وبجانبي وولا.

❊ ❊ ❊

(٦)

بطل في كاول

كان الوقت نهارًا عندما أيقظني صوت حركة خفية قريبة.

وعندما فتحت عينيَّ، تحرك وولا أيضًا ووقف يحدق عبر الأغصان المتدخلة نحو الطريق، وكان شعر رقبته منتصبًا بقوة.

لم أتمكن من رؤية أي شيء في البداية، ثم لمحتُ شيئًا أملسًا ولامعًا أخضر اللون يتحرك بين الغطاء النباتي بألوانه القرمزية والأرجوانية والصفراء.

أومأت إلى وولا أن يظل هادئًا في مكانه، وتسللت إلى الأمام للتحقق مما يحدث. رأيت من وراء جذع شجرة كبيرة طابورًا طويلًا من المحاربين الخُضر البشعين من قيعان البحر الميت يختبئون في الأدغال الكثيفة على جانب الطريق.

وبقدر ما أمكنني أن أرى، امتد طابور الدمار والموت الصامت بعيدًا عن مدينة كاول. لا يمكن أن يوجد سوى تفسير واحد. كان الرجال

الخُضر يتوقعون خروج مجموعة من قوات الرجال الحُمر من أقرب بوابة للمدينة، وكانوا يرقدون في كمين نصبوه لينطلقوا منه.

أنا لا أدين بالولاء لجيداك كاول، لكنه كان من نفس عِرق النبلاء الأحمر الذي تنتمي إليه أميرتي، ولن أقف مكتوف الأيدي لأرى أولئك الشياطين القساة القادمين من أماكن برسوم القاحلة يذبحون محاربيه.

عدتُ بحذر حيث تركت وولا، وأشرت له أن يتبعني صامتًا. اتخذت منعطفًا كبيرًا لتجنب الوقوع في أيدي الرجال الخُضر، وأخيرًا وصلت إلى السور الكبير.

تقع البوابة التي من المتوقع أن تخرج منها القوات على بُعد عدة ياردات على يميني، لكن الوصول إليها يتطلب أن أجتاز جناح المحاربين الخُضر الذي يقع على مرمى البصر. وخشية أن تُحبَط خطتي لتحذير الكاوليين، قررت الإسراع نحو اليسار، حيث توجد بوابة أخرى على بُعد ميل قد تتيح لي الدخول إلى المدينة.

كنت أعرف أن ما سأُخبرهم به هو جواز مرور رائع إلى كاول. ويجب أن أعترف أن حذري يرجع إلى رغبتي العارمة في دخول المدينة أكثر من تجنب أي مناوشات مع الرجال الخُضر. فبقدر ما أستمتع بالقتال، لا يمكنني أن أشبع رغبتي دائمًا، والآن أمامي أمور أكثر أهمية لشغل وقتي من إراقة دماء محاربين غرباء.

إذا نجحت في اجتياز سور المدينة، قد تتوفر فرصة -في ظل الارتباك والانفعال الذي سوف يلي حتمًا إعلاني عن غزو قوة من

المحاربين الخُضر- أن أجد طريقي داخل قصر الجيداك، حيث يقطن يقينًا ماتاي شانج ومجموعته.

ما إن سرت مائة خطوة في اتجاه البوابة البعيدة، حتى سمعت صوت سير القوات، وقعقعة الأسلحة المعدنية، وأنين حيوانات الثوات من داخل المدينة. وهنا أدركت أن الكاوليين يتحركون بالفعل نحو البوابة الأخرى.

لا يوجد وقت أضيعه. فالبوابة ستُفتح في لحظة أخرى ويمر خلالها رأس الطابور على الطريق العام الذي يحده الموت.

عدتُ إلى البوابة المصيرية، وجريتُ سريعًا على طول حافة الأرض الجرداء وأنا أقفز بقوة تلك القفزات التي كانت وراء شهرتي في برسوم. لا تُعد مسافة ثلاثين، خمسين، أو مائة قدم في القفزة شيئًا بالنسبة لعضلات رجل رياضي من كوكب الأرض على المريخ.

عندما مررت بجناح المحاربين الخُضر المنتظرين، رأوا عيني تتحول ناحيتهم. وفي لحظة، مع معرفتهم انكشاف سر وجودهم، نهض أقربهم مني في محاولة لقتلي قبل أن أصل إلى البوابة.

وفي اللحظة نفسها، تأرجحت البوابة الجبارة مفتوحة باتساع، وظهر رأس طابور الكاوليين. نجح عشرات المحاربين الخُضر في الوصول إلى نقطة تقع بيني وبين البوابة، ولكن لم تكن لديهم فكرة عمَّن قرروا احتجازه.

لم أقلل سرعتي مثقال ذرة وأنا أندفع بينهم. وعندما أخذوا

يتساقطون أمام نصلي، لم أستطع إلا أن أتذكر تلك الذكرى السعيدة للمعارك الأخرى عندما وقف تارس تاركاس، جيداك ثارك وأقوى رجال المريخ الخُضر، جنبا إلى جنب معي في أيام المريخ الحارة لنواجه معًا أعداءنا الذين تساقطوا حتى ارتفعت كومة الجثث أعلى من رأس رجل طويل القامة.

وعندما زاد ضغط عدد منهم، قبل بوابة كاول المنحوتة، قفزت فوق رؤوسهم وخططت تكتيكاتي على نحو مماثل لما استخدمته ضد رجال النبات البشعين في دور، وبالتالي كنت أصطدم برؤوس أعدائي وأنا أمر فوقها.

كان المحاربون الحُمر يهرعون من المدينة تجاهنا، وكان حشد الرجال الخُضر المتوحشين ينطلق من الغابة لملاقاتهم. وفي لحظة أصبحت في القلب من معركة شرسة ودموية كالمعارك التي خضتها سابقًا.

الكاوليون هم أكثر المقاتلين نُبلًا، بينما رجال خط الاستواء الخُضر لا يقل ولعهم بالحرب مثقال ذرة واحدة عن أبناء عمومتهم الباردين القساة من المنطقة المعتدلة. كانت هناك أوقات كثيرة يمكن أن ينسحب خلالها أي من الطرفين دون خزي، وبالتالي تنتهي الأعمال القتالية، لكن القتال كان يتجدد دائمًا من انغماسهم المجنون فيه. ولذا سرعان ما أدركت أن ما كان متصورًا أنه مناوشات تافهة قد ينتهي بإبادة كاملة لإحدى القوى على يد القوة الأخرى.

ومع استيقاظ روح المعركة داخلي، شاركت في المعمعة بقوة.

وتجلت ملاحظة الكاوليين لدوري القتالي في صيحات التصفيق الموجة لي.

إذا بدوتُ أحيانًا شديد الفخر بقدرتي القتالية، فيجب التذكُر دائمًا أن القتال هو مهنتي. إذا كانت مهنتك تركيب حدوات الخيول أو رسم الصور، ويمكنك القيام بواحدة أو أخرى أفضل من زملائك، فإنك أحمق إن لم تكن فخورًا بقدرتك. ولذا أشعر بالفخر لأن على الكوكبين -الأرض والمريخ- لم يعش من قبل مقاتل أعظم من جون كارتر، أمير هيليوم.

ولقد تفوقت على نفسي ذلك اليوم، بغية ترك انطباع على سكان كاول؛ لأنني كنت أرغب في الفوز بطريق نحو قلوبهم ومدينتهم. ولم أكن أود أن أصاب بخيبة أمل وألّا أحقق رغبتي.

قاتلنا طوال اليوم، اصطبغ الطريق بلون الدم الأحمر وسدته الجثث. ارتفع مد المعركة ذهابًا وإيابًا على طول الطريق الزلق، لكن بوابة كاول لم تتعرض ولا مرة واحدة لخطر فعلي.

كانت هناك فترات توقف، للتنفس قليلاً، أتاحت لي فرصة التحدث مع الرجال الحُمر الذين قاتلت إلى جوارهم. ثم وضع الجيداك كولان تيث بنفسه يده على كتفي وسألني عن اسمي.

أجبته: «دوتار سوجات»؛ وهو الاسم الذي منحني إياه الثاركيون منذ سنوات عديدة، ويتكون من لقبي أول اثنين قتلتهم من المحاربين، وهذه هو العُرف بينهم.

قال: «أنت محارب عظيم، دوتار سوجات. عندما ننتهي اليوم، سوف أتحدث معك ثانية في القاعة العامة الكبرى».

ثم اشتد القتال مرة أخرى وافترقنا بعد أن تحققت رغبتي. عدت إلى القتال بنشاط متجدد وروح فرحة، حاملًا سيفي الطويل إلى أن اكتفى آخر الرجال الخُضر من المعركة، وانسحبوا متجهين نحو قاع بحرهم البعيد.

لم أعرف أسباب هجوم القوات الحمراء ذلك اليوم إلا بعد انتهاء المعركة. يبدو أن كولان تيث كان يتوقع زيارة من جيداك الشمال العظيم- الحليف القوي والوحيد للكاوليين، وكانت رغبته أن يقابل ضيفه على مسافة تبعد رحلة يوم كامل من كاول.

لكن مسيرة المضيف للترحيب تأخرت حتى صباح اليوم التالي، عندما بدأت القوات تتحرك من كاول مرة أخرى. لم أُدعَ إلى حضرة كولان تيث بعد المعركة، لكنه أرسل أحد ضباطه ليجدني ويرافقني إلى مقره المريح في ذلك الجزء من القصر الموجود جانبًا والمخصص لضباط الحرس الملكي.

أمضيتُ هناك مع وولا ليلة مريحة، وصحوت منتعشًا بعد جهد الأيام القليلة الماضية الشاق. قاتل وولا معي خلال معركة اليوم السابق، وفيًا لغرائزه ومُدربًا ككلب حرب مريخي؛ فهذه الكلاب يمكن إيجاد أعداد كبيرة منها مع جحافل الرجال الخُضر الوحشية في قيعان البحر الميت.

لم يخرج أي منا سالمًا من المعركة، لكن مراهم برسوم العلاجية

الرائعة كانت تكفي لتحقيق الشفاء بين عشية وضحاها.

تناولت إفطاري مع عدد من ضباط كاول، ووجدتهم مضيفين مهذبين ومحبوبين مثلهم مثل نبلاء هيليوم المعروفين بحسن الخلق والتربية الممتازة. وما إن أنهينا وجبتنا، حتى وصل رسول من كولان تيث يستدعيني للمثول أمامه.

عندما دخلت الحضرة الملكية، نهض الجيداك وسار من المنصة التي تدعم عرشه العظيم متقدمًا لمقابلتي- وهي علامة تميُّز نادرًا ما تُمنح لغير حاكم زائر.

حيّاني قائلًا: «كاور، دوتار سوجات! لقد استدعيتُك لأبلغك شكر وامتنان شعب كاول؛ فلولا شجاعتك البطولية وجرأتك لتحذيرنا من الكمين، لكنا وقعنا بالتأكيد في الفخ المنصوب لنا. حدثني أكثر عن نفسك- من أي بلد أتيت، وما المهمة التي جئت من أجلها إلى بلاط كولان تيث».

قلت: «أنا من هاستور. وفي الحقيقة، لدي قصر صغير في تلك المدينة الجنوبية التي تقع داخل تلك المناطق النائية من هيليوم. ويرجع وجودي في أرض كاول جزئيًا إلى تعرضي لحادث؛ إذ تحطمت طائرتي عند الحافة الجنوبية لغابتكم العظيمة. وعندما كنت أسعى إلى الوصول لمدخل مدينة كاول، اكتشفت تلك الحشود الخضراء ترقد متربصة بقواتك».

على الرغم من سؤال كولان تيث عن المهمة التي جلبتني في طائرة إلى حافة غابته، فمن الجيد أنه لم يمارس أي ضغط كي أوضح المزيد،

إذ عندئذ كنت سأواجه في الواقع صعوبة في الإجابة.

خلال مقابلتي مع الجيداك، دخلت مجموعة أخرى إلى الغرفة من خلفي، ولذا لم أشهد وجوههم إلا عندما سار كولان تيث نحوهم لاستقبالهم، وأمرني أن أتبعه.

عندما استدرت نحوهم، سيطرت بصعوبة على ملامحي؛ إذ وقف خصومي الأساسيين- ماتاي شانج وثوريد، يستمعان إلى كلمات كولان تيث التي تمدحني.

كان الجيداك يقول: «أيها الهيكادور المقدس للثيرن المقدسين، أغدق دوتار سوجات ببركاتك؛ فهو الغريب الشجاع من هاستور البعيدة، التي أنقذت بطولته العجيبة وضراوته الرائعة كاول بالأمس».

خطا ماتاي شانج إلى الأمام، ووضع يده على كتفي. لم تظهر على ملامحه أدنى إشارة على أنه عرفني- من الواضح أن طريقة تنكري كانت مكتملة.

تحدث معي بلطف، ثم قدمني إلى ثوريد، الذي لم يعرفني أيضًا، ويبدو أنني خدعتهما تمامًا. وأخذ كولان تيث يحدثهم عن تفاصيل إنجازاتي في ميدان المعركة.

ويبدو أن الشيء الوحيد الذي أثار إعجابه هو خفة حركتي الملحوظة، فقد أخذ يكرر وصف طريقتي الرائعة في القفز على الخصم، وشق جمجمته بسيفي الطويل خلال قفزتي.

أعتقد أنني رأيت عينَي ثوريد تتسع قليلًا أثناء السرد، وفاجأته عدة

مرات وهو يحدق بإمعان في وجهي من خلال تضييق جفونه. هل بدأ يتشكك؟ ثم حكى كولان تيث عن حيوان الكالوت الوحشي الذي قاتل إلى جانبي، وبعدها رأيت الشك في عيون ماتاي شانج- أم أنني تخيلت ذلك؟

أعلن كولان تيث في نهاية اللقاء أنني سأرافقه على الطريق لمقابلة ضيفه الملكي. وخلال مغادرتي مع أحد ضباط المكلفين بشراء أغطية وركوبة مناسبين لي، بدا كل من ماتاي شانج وثوريد مخلصًا في الإعراب عن سروره بفرصة معرفتي. تنفست الصعداء وأنا أغادر الغرفة، مقتنعًا بأن مجرد الشعور بالإثم هو ما أثار اعتقادي بأن خصميَّ يشتبهان في هويتي الحقيقية.

ركبتُ بعد نصف ساعة خارجًا من بوابة المدينة مع الطابور الذي رافق كولان تيث على الطريق لمقابلة صديقه وحليفه. وعلى الرغم من أن عينيَّ وأذنيَّ كانتا مفتوحتين باتساع خلال مقابلتي مع الجيداك، وخلال سيري عبر ممرات القصر المختلفة، لم ألمح أو أسمع أي شيء عن ديجاه ثوريس أو ثوفيا البتارثية. كنت على يقين أنهما في مكان ما داخل هذا الصرح العظيم المتشعب، وكان يجب أن أجد طريقة للبقاء أثناء غياب كولان تيث لأبحث عنهما.

وصلنا، نحو ظهر اليوم، إلى رأس طابور من ذهبنا لمقابلتهم.

كانت قافلة رائعة تلك التي صاحبت الجيداك الزائر. امتدت لأميال على طول الطريق الأبيض الواسع إلى كاول. كانت القوات الراكبة، التي تلمع تحت أشعة الشمس بأغطيتها وزخارفها من الجواهر والجلود

المرصعة بالمعادن، تشكل طليعة القافلة، وبعدها جاءت ألف عربة فائقة الجمال عليها رسوم لحيوان الزيتيدار الضخم[١٩].

تحركت كل عربتين من هذه العربات المنخفضة لحمل السلع متجاورتين، وسارت على كل جانب منهما صفوف قوية من المحاربين الراكبين؛ فالعربات كانت تحمل نساء وأطفال البلاط الملكي، وركب شاب مريخي على ظهر كل زيتيدار وحشي. ذكّرني المشهد كله بأيامي الأولى في برسوم؛ منذ اثنين وعشرين عامًا عندما شاهدتُ للمرة الأولى ذلك المشهد الرائع لقافلة قبيلة خضراء من الثاركيين.

لم أشهد قط قبل اليوم حيوانات الزيتيدار في خدمة الرجل الأحمر. هذه الوحوش هي حيوانات مستودونية[٢٠] ضخمة تبلغ ارتفاعًا هائلًا، حتى بجوار الرجل الأخضر العملاق وحيواناته الثوات العملاقة؛ ولكن عند مقارنتها بالرجال الحُمر القصيرين نسبيًا وسلالة حيواناته الثوات، نجدها تتخذ أبعادًا عملاقة مروعة حقًا.

كانت الوحوش ترتدي أغطية مزخرفة بالجواهر وعلى كل منها سرج من الحرير المُبهج المطرز بتصاميم خيالية مع سلاسل من الماس، واللؤلؤ والياقوت، والزمرد، وعدد لا يُحصى من المجوهرات المريخية التي لا أعرف اسمها؛ بينما ارتفعت من كل عربة عشرات الحوامل التي ترفرف فوقها اللافتات والأعلام والرايات.

---

(١٩) الزيتيدار: حيوان مريخي يشبه الفيل، ويُعتبر من حيوانات الجر الثقيلة حيث يُستخدمه المريخيون غالبًا في حمل الأحمال الكبيرة لمسافات شاسعة وجر المركبات الضخمة – http://barsoom.wikia.com/wiki/Zitidar (المترجمة).

(٢٠) حيوان منقرض شبيه بالفيل. (المترجمة).

أمام العربات مباشرة، كان الجيداك الزائر يركب بمفرده فوق ثوات أبيض اللون -وهو مشهد آخر غير مألوف في برسوم-، وامتدت بعد العربات صفوف لا نهاية لها من حاملي الرماح والرماة والسيافين. كان بالفعل مشهدًا مهيبًا.

وباستثناء قعقعة العتاد والزخارف والأنين الذي يطلقه أحيانًا ثوات غاضب أو الهدير الأجش المنخفض من زيتيدار، كانت مسيرة الموكب صامتة تقريبًا؛ فحيوانات الثوات والزيتيدار بلا حوافر، وعجل العربات العريض مصنوع من مواد مرنة لا تُصدر أي صوت.

ويمكن بين الفينة والفينة سماع ضحكة امرأة مرحة أو ثرثرة الأطفال، فالمريخيون الحُمر شعب اجتماعي، محب للاستمتاع- على النقيض مباشرة من العرق المريخي الأخضر الذي يتسم بالبرود والكآبة.

استغرقت المظاهر والاحتفالات المتصلة بلقاء الجيداكين حوالي ساعة، ثم عدنا إلى طريقنا نحو «مدينة كاول»، التي وصلت إليها مقدمة الطابور قبل حلول الظلام، على الرغم من أن الحرس الخلفي قد غادر البوابة في الصباح المبكر اليوم.

ولحسن الحظ، كنت قريبًا من مقدمة الطابور. وبعد مأدبة كبيرة، حضرتها مع ضباط الحرس الملكي، كنت حرًا للبحث عن الراحة. امتد قدر كبير من النشاط والصخب حول القصر طوال الليل، مع استمرار وصول الضباط النبلاء من حاشية الجيداك الزائر، ولذا لم أجرؤ على محاولة البحث عن ديجاه ثوريس، وبالتالي عدت أدراجي إلى مقري بعد أن كنت متصورًا أن الوقت مناسب للبحث عنها.

خلال مروري عبر الممرات التي تقع بين قاعة المأدبة والشقق المخصصة لي، انتابني شعور مفاجئ أنني تحت المراقبة. لمحت وأنا أسرع بالعودة إلى مساراتي هيئة شخص يندفع إلى مدخل مفتوح بمجرد أن استدرت.

وعلى الرغم من أنني ركضت مسرعًا إلى الموقع الذي اختفى عنده الشخص الذي يتعقبني، فلم أعثر له على أي أثر. على أنني أكاد أن أقسم أنني رأيت في تلك اللمحة السريعة وجهًا أبيض تعلوه كتلة من الشَّعر الأصفر.

غدت هذه الواقعة تأملاتي إلى حد كبير. فإذا كانت النتيجة التي توصلت إليها بعد لمحتي الخاطفة لجاسوس صحيحة، فهذا يعني أن ماتاي شانج وثوريد يتشككان في هويتي؛ وإذا صح ذلك، فلن تنقذني حتى الخدمة التي قدمتها إلى كولان تيث؛ لأنه متعصب لعقيدته.

ولكن لم يحدث أبدًا أن حالت أي تخمينات غامضة أو مخاوف عقيمة عن المستقبل، تلقي بثقلها على ذهني، دون أن آخذ قسطًا من الراحة. فألقيت نفسي على حرير وفراء النوم، وخلدت إلى نوم فوري بلا أحلام.

غير مسموح لحيوانات الكالوت أن توجد داخل جدران القصر، ولذا كنت مضطرًا إلى إحالة وولا المسكين إلى مقرات الإسطبلات حيث يحتفظون بحيوانات الثوات الملكية. كان مقره مريحًا، بل فاخرًا، لكنني كنت على استعداد أن أفعل أي شيء ليبقى معي. ولو كان معي، لم يكن ما حدث تلك الليلة ليمر ببساطة.

لم أنم أكثر من ربع ساعة عندما أيقظني فجأة مرور شيء بارد وندي على جبهتي. نهضت واقفًا على الفور، ومددت يدي في الاتجاه الذي تصورته محاولًا الإمساك بمَن يفعل ذلك. للحظة لمست يدي لحمًا بشريًا. وعندما اندفعت للأمام عبر الظلام للإمساك بالزائر الليلي، تعثرت قدمي في حرير النوم، ثم وقعت منبطحًا على الأرض.

عندما وقفت وعثرت على الزر الذي يتحكم في الضوء، كان الزائر قد اختفى. لم يكشف بحثي الدقيق للغرفة عن أي شيء يوضح هوية أو مهمة الشخص الذي سعى نحوي سرًّا في عتمة الليل.

لا أصدق أن غرضه كان السرقة؛ حيث لا تعرف برسوم عمليًا اللصوص. ومع أن الاغتيال متنشر، لكن حتى هذا لم يكن الدافع وراء صديقي المتسلل؛ لأنه كان يمكنه قتلي بسهولة إن أراد.

نبذتُ كل التخمينات العقيمة، وكنت على وشك العودة إلى النوم عندما دخل عشرات الحراس الكاولين شقتي. كان الضابط المسؤول واحدًا من المضيفين اللطفاء في الصباح، لكن وجهه يخلو الآن من أي علامة على الصداقة.

وقال: «كولان تيث يأمر بالمثول أمامه، هيا!».



(٧)

حلفاء جدد

سرتُ ثانيةً، مُحاطًا بالحرس، عبر ممرات قصر كولان تيث، جيداك كاول، إلى قاعة عامة كبيرة تقع في وسط البناء الضخم.

عندما دخلت القاعة المضاءة ببراعة، والمملوءة بنبلاء كاول وضباط الجيداك الزائر، تحولت نحوي جميع الأنظار. كانت توجد ثلاثة عروش على المنصة الكبرى في نهاية القاعة، حيث جلس كولان تيث وضيفاه: ماتاي شانج، والجيداك الزائر.

سرنا عبر ممر المركز الواسع في ظل صمت قاتل، وتوقفنا أمام العروش.

«تفضل واعرض التهمة»، قال كولان وهو يستدير نحو أحد الذين وقفوا على يمينه بين النبلاء؛ وعندئذ تقدم ثوريد، الداتور الأسود للأبناء الأوائل، وواجهني.

الأخير عن شخصيته الحقيقية قد أدى بالفعل إلى إضعاف عقيدة كولان تيث، وأن الأمر لا يتطلب الكثير لتحويل الجيداك القوي إلى عدو صريح. لكن بذور الخرافة لا تزال قوية، فحتى الكاوليني العظيم لا يزال مترددًا في قطع الحبل النهائي الذي يربطه بعقيدته الدينية القديمة.

وكان ماتاي شانج يتمتع بحكمة كافية، بحيث بدا قابلًا لأوامر تابعه ووعد بجلب العبيدتين إلى القاعة العامة غدًا.

قال: «إنه الصباح تقريبًا الآن، وأكره أن أوقظ ابنتي، إلا إذا أردتم أن أصدر أوامري فورًا حتى ترون أن أمير هيليوم على خطأ»، وشدد على الكلمة الأخيرة في محاولة لإهانتي بحذق حتى لا أجد فرصة للهجوم.

كنت على وشك الاعتراض على أي تأخير، والمطالبة بإحضار أميرة هيليوم على الفور، لكن إصرار ثوفان ديهن جعل ذلك يبدو غير ضروري.

قال: «أود رؤية ابنتي على الفور، لكنني لن أصر على ذلك إذا أعطاني كولان تيث تأكيده بأنه لن يسمح لأحد بمغادرة القصر الليلة، ولن تُصاب ديجاه ثوريس أو ثوفيا البتارثية بأي ضرر من الآن، وحتى لحظة إحضارهما إلينا في هذه القاعة عند طلوع النهار».

أجاب جيداك كاول: «لن يغادر أحد القصر الليلة. وماتاي شانج، سيعطينا تأكيدًا بعدم إلحاق ضرر بالمرأتين؟».

وافق الثيرني بإيماءة. بعد بضع لحظات، أعلن كولان تيث نهاية اللقاء. رافقت ثوفان ديهن، جيداك بتارث، إلى شقته بناء على دعوته،

حيث جلسنا حتى طلوع النهار. كان يستمع إلى تقييمي لخبراتي على كوكبه، وإلى كل ما حدث لابنته خلال الوقت الذي كنا فيه معًا.

دخل والد ثوفيا قلبي، وشهدت تلك الليلة بداية الصداقة التي نمت بحيث أصبح الثاني بالنسبة لي بعد تارس تاركاس، الجيداك الثاركي الأخضر.

مع ظهور أولى خيوط الفجر على المريخ، حضر ميعوثون من عند كولان تيث لاستدعاءنا إلى القاعة العامة؛ حيث كان ثوفان تيث سيلتقي بابنته بعد سنوات من الانفصال، وكان شملي سيجتمع مع ابنة هيليوم الجليلة بعد انفصال لحوالي اثني عشر عامًا متصلة.

كان قلبي يخفق بقوة في صدري، حتى أنني نظرت حولي في حرج لشعوري أن كل من بالغرفة يسمع دقاته. وكانت ذراعاي تتوقان مرة أخرى إلى معانقة حبيبتي التي كان شبابها الأبدي وجمالها الأخاذ بمثابة تجليات خارجية لكمال روحها.

عاد أخيرًا الرسول الموفد لإحضار ماتاي شانج. مددت رقبتي لأسترق أول لمحة على مَن سيأتون بعده، لكن الرسول أتى بمفرده.

توقف أمام العرش وخاطب الجيداك بصوت مسموع بوضوح لكل مَن في القاعة.

قال على النمط المتبع في البلاط: «كولان تيث، أقوى جيداك»، ثم واصل: «رسولك يعود بمفرده؛ إذ عند وصوله إلى شقق الأب الثيرني وجدها فارغة، وكذلك الشقق التي تشغلها حاشيته».

إرجاء تسويتها إلى أن يخرج كلاكما خارج حدود سلطاتي. هل أنت مرتاح يا ثوفان ديهن؟».

أومأ جيداك بتارث بموافقته، لكن تجهمه القبيح تجاه ماتاي شانج كان يعني أنه يضمر له السوء.

«أمير هيليوم ليس مرتاحًا»، صحت بصوت عالٍ، مقتحمًا بوقاحة بدايات السلام؛ فلست مستعدًا لقبول السلام بالثمن المذكور.

«لقد نجوت من الموت بأشكال عديدة؛ كي أتابع ماتاي شانج وأصل إليه، ولست على استعداد لأن أُساق مثل ثوات عاجز إلى الذبح بعيدًا عن الهدف الذي فزت به ببراعة سيفي وقوة عضلاتي.

«كما أن ثوفان ديهن، جيداك بتارث، لن يكون راضيًا عندما يسمع ما سأقوله. هل تعرف لماذا اتبعت ماتاي شانج وثوريد، الداتور الأسود، من غابات وادي دور عبر نصف عالم، مارًا بصعوبات لا تُقهر؟

«هل تعتقد أن جون كارتر، أمير هيليوم، يمكن أن ينحدر إلى الاغتيال؟ هل كولان تيث بمثل هذا الحُمق ليصدق تلك الكذبة التي همس بها في أذنه الثيرني المقدس أو الداتور ثوريد؟

«أنا لم أتابع ماتاي شانج لأقتله، على الرغم من أن رب كوكيي يعرف أن يدي تشتهي الإمساك برقبته. لقد تابعته يا ثوفان ديهن؛ لأن معه سجينتين: زوجتي ديجاه ثوريس، أميرة هيليوم، وابنتك ثوفيا البتارثية.

«والآن، هل تعتقد أنني سأسمح لهم باقتيادي خارج جدران كاول ما لم ترافقني والدة ابني، واستعادتك لابنتك؟».

تحول ثوفان ديهن نحو كولان تيث، ولهيب الغضب يتطاير من عينيه. لكنه سيطر على نفسه ببراعة، محتفظًا بمستوى نبرات صوته وهو يتحدث.

وقال متسائلًا: «هل تعرف ذلك، كولان تيث؟ هل تعرف أن ابنتي سجينة في قصرك؟».

«كيف له أن يعرف»، قاطعه ماتاي شانج، وقد تحول لونه إلى الأبيض من الخوف أكثر من الغضب. «كيف له أن يعرف وهي كذبة».

كان بإمكاني قتله على الفور لما قاله. ولكن ما إن انطلقت نحوه، حتى وضع ثوفان يده الثقيلة على كتفي.

قال لي: «انتظر»، ثم توجه إلى كولان تيث قائلًا: «إنها ليست كذبة. فأنا أعرف أن أمير هيليوم لا يكذب أبدًا. أجبني، كولان تيث، لقد وجهت لك سؤالًا».

أجاب كولان تيث: «جاءت ثلاث نساء مع الأب الثيرني. ابنته فايدور، واثنتان قال إنهما عبيدتاها. فإذا كانتا ثوفيا البتارثية وديجاه ثوريس، فأنا لا أعرف- لم أرَ أيًا منهما. ولكن إذا كانتا هما، فسوف تعودان لكما غدًا».

كان ينظر مباشرةً، خلال حديثه، نحو ماتاي شانج؛ ليس كما ينظر المتدين إلى الكاهن الأعلى، وإنما كما ينظر حاكم إلى رجل يصدر له أمرًا.

من المؤكد أنه اتضح للأب الثيرني، كما اتضح لي، أن هذا الكشف

تحول لون كولان تيث إلى الأبيض.

انطلق تأوه منخفض من شفاه ثوفان ديهن الذين كان يقف بجواري، حيث لم يصعد إلى العرش بجانب مضيفه. ساد صمت الموت للحظة في القاعة العامة الكبيرة لكولان تيث، جيداك كاول. وكان هو مَن كسر الصمت.

نهض من عرشه ونزل من المنصة ووقف بجانب ثوفان ديهن. أخفت الدموع عينيه وهو يضع يديه على كتف صديقه.

قال: «أوه ثوفان ديهن، أن يحدث هذا في قصر أفضل صديق لك! لكنت انتزعت بيدي رقبة ماتاي شانج إن خمنت ما في قلبه الكريه. لقد ضعفت في الليلة الماضية عقيدتي التي اعتنقتها طوال حياتي، وهذا الصباح تحطمت؛ ولكن بعد فوات الأوان، بعد فوات الأوان.

«لانتزاع ابنتك، وكذا زوجة هذا المحارب الملكي، من براثن هؤلاء الشياطين، ليس عليك سوى استخدام جميع موارد أمتنا القوية، كاول كلها تحت تصرفك. ما الذي يمكن عمله؟ قل كلمتك!».

قلتُ مقترحًا: «لنعثر أولًا عن مَن يتحملون مسؤولية هروب ماتاي شانج وأتباعه. فلم يكن بإمكانهم الخروج دون مساعدة من حرس القصر. لنبحث عن المذنبين، ونجبرهم على إخبارنا بطريقة خروجهم والاتجاه الذي اتخذوه».

وقبل أن يصدر كولان تيث أوامره بالبدء في التحقيق، تقدم ضابط وسيم شاب ووجه حديثه إلى الجيداك.

قال: «كولان تيث، أقوى جيداك، أنا وحدي المسؤول عن هذا الخطأ الجسيم. أنا مَن أمرت حرس القصر في الليلة الماضية. كنت أؤدي مهام واجبي في أجزاء أخرى من القصر خلال لقاء الصباح الباكر، ولم أعرف شيئًا عن ما حدث. وبالتالي عندما استدعاني الأب الثيرني وأوضح لي أنها رغبتكم في أن يغادر المدينة مسرعًا هو ومجموعته بسبب وجود عدو مميت يسعى لقتل الهيكادور المقدس، لم أفعل سوى ما تعلمت من التدريب طوال حياتي أنه الشيء الصحيح»، أطعت مَن كنت أعتقد أنه حاكمنا جميعًا، أقوى حتى منك وأنت أقوى جيداك.

«إنني أتحمل وحدي العواقب والعقوبة؛ لأنني المذنب الوحيد. أما حرس القصر الآخرين الذين ساعدوا في فرارهم، فقد قاموا بذلك بناء على تعليماتي».

نظر كولان تيث نحوي أولًا ثم نحو ثوفان ديهن، كأنما ليسألنا حُكمنا على الرجل. لكن الخطأ كان مبررًا بوضوح، ولذا لم يكن أيًا منا راغبًا في رؤية الضابط الشاب يعاني لارتكاب خطأ يمكن أن يقع فيه أي شخص بسهولة.

سأله ثوفان ديهن: «كيف غادروا، وإلى أي اتجاه؟».

أجاب الضابط: «غادروا كما جاءوا، على سفينتهم الفضائية. وبعد مغادرتهم بفترة، رأيت أضواء السفينة تختفي تجاه الشمال».

وجه ثوفان ديهن سؤالًا إلى كولان تيث: «أين يمكن أن يعثر ماتاي شانج على ملجأ في الشمال؟».

أعشقها، ثم عرفت لاحقًا أنها اتخذت طريقها الطويل الأخير للحج الطوعي، بناء على نزوة مبهمة، إلى حضن إيس البارد الغامض، وتركتني بائسًا.

«ومنذ بضعة أشهر، سمعت بداية عن الحملة التي قادها جون كارتر ضد إيسوس والثيرن المقدسين. وتناهى إلى سمعي بعض الشائعات عن الفظائع التي ارتكبها الثيرن ضد مَن كانوا يصلون إلى إيس القوي.

«سمعت عن إطلاق سراح آلاف السجناء، وتجرأ عدد قليل منهم على محاولة العودة إلى بلدانهم رغم أوامر الموت الرهيب التي تصدر ضد كل مَن يعود من وادي دور.

«بقيت لفترة لا أصدق الهرطقات التي سمعتها، وصلّيت متمنيًا أن تكون ابنتي ثوفيا قد ماتت قبل أن ترتكب خطيئة العودة إلى العالم الخارجي. لكن حبي الأبوي أكد نفسه، وقلت إني أفضل اللعنة الأبدية على الانفصال عنها إن أمكن العثور عليها.

«ولذا أرسلتُ مبعوثين إلى هيليوم وإلى بلاط زودار، جيداك الأبناء الأوائل، وإليه هو الذي يحكم الآن أمة الثيرن التي تخلت عن دينها. وسمعت من الجميع نفس قصة الوحشية التي لا توصف، والفظائع التي ارتكبها الثيرن المقدسون ضد المساكين العُزل ضحايا دينهم.

«هناك العديدون الذين رأى ابنتي أو عرفها. وعرفت من الثيرنين الذين كانوا قريبين من ماتاي شانج قدر الإهانات التي وجهها لها هو شخصيًا. وسعدت عندما جئت إلى هنا لأجد أن ماتاي شانج ضيفك أيضًا؛ لأني أسعى له وإن استغرق ذلك عُمرًا.

«والأكثر من ذلك، أنني سمعت أيضًا عن عطف جون كارتر وشهامته مع ابنتي. قالوا لي كيف حارب من أجلها وأنقذها، وكيف أنه رفض بازدراء الهرب من الوارهونين الوحشيين في الجنوب، وأرسلها بأمان فوق حيوانه الثوات وواصل طريقه سيرًا على الأقدام لمواجهة المحاربين الخُضر.

«هل تتساءل الآن يا كولان تيث، لماذا أنا على استعداد لتعريض حياتي وسلام أمتي للخطر، أو حتى صداقتي بك التي أعتز بها أكثر من أي شيء آخر، لنصرة أمير هيليوم؟».

ظل كولان تيث صامتًا للحظة. وكان بإمكاني أن أرى، من تعبيرات وجهه، أنه في حيرة شديدة. ثم تحدث.

قال بنبرة ودية، وإن كانت حزينة: «ثوفان ديهن، مَن أنا لأحكم على زميلي؟ لا يزال الأب الثيرني مقدسًا في عيني، ولا لأزال أرى أن الدين الذي علمه لنا هو الدين الصحيح الوحيد. لكني إذا واجهت نفس المشكلة التي كدرتك، لا أشك أنني سأشعر بما تشعر وأفعل تمامًا ما قمت به.

«يمكنني أن أتصرف بقدر ما يتعلق الأمر بأمير هيليوم. أما بينك وبين ماتاي شانج، فإن مسعاي الوحيد هو الصلح بينكما. سوف يجري اصطحاب أمير هيليوم بأمان إلى حدود منطقتي بعد غروب الشمس، حيث يصبح حرًا في الذهاب إلى أين مكان؛ لكنه سيذوق ألم الموت إذا دخل مرة أخرى إلى أراضي كاول.

«وإذا كانت هناك مشاجرة بينك وبين الأب الثيرني، فإنني أطلب

يا له من موقف! ما فرصتي ضد أمة بأكملها؟ ما أملي في الرحمة على أيدي كولان تيث المتعصب ومستشاريه ماتاي شانج وثوريد.

ابتسم الرجل الأسود بخبث ابتسامة عريضة في وجهي.

وقال ساخرًا: «لن تهرب هذه المرة، يا رجل كوكب الأرض».

اقترب الحراس مني. غشي ضباب أحمر بصري. تدفقت دماء القتال ساخنة في عروقي، باعتباري فيرجيني المولد، كما شعرت بشهوة المعركة، بكل غضبها المجنون.

حملتني قفزة واحدة إلى جوار ثوريد، وتلاشت الابتسامة الشيطانية من وجهة الوسيم بعد أن أمسكت فمه كاملًا بقبضة يدي المُحكمة. وعندما استقرت عليه ضربتي الأمريكية القديمة، اندفع الداتور الأسود للوراء لحوالي عشر أقدام، وسقط متكومًا أسفل عرش كولان تيث وهو يمصق دمًا وأسنانًا من فمه المصاب.

ثم امتشقتُ سيفي، واستدرت وأنا على أهبة الاستعداد لمواجهة أمة كاملة.

في لحظة هاجمني الحرس. ولكن قبل توجيه أي ضربة، ارتفع صوت قوي أعلى من كل ضجيج صياح المحاربين، ووثب شخص عملاق من المنصة بجوار كولان تيث وألقى بنفسه وهو يمتشق سيفه الطويل بيني وبين خصومي.

لقد كان الجيداك الزائر.

صاح قائلًا: «توقفوا! إذا كانت صداقتي والسلام القديم بين شعبينا

لهما قيمة بالنسبة لك يا كولان تيث، عليك أن تأمر حراسك بإنزال السيوف؛ فأينما يحارب جون كارتر، أمير هليوم، أو ضد أي من كان، فسيحارب إلى جواره وحتى الموت ثوفان ديهن، جيداك بتارث».

توقف الصياح وهبطت السيوف، حيث تحولت بداية ألف عين مندهشة نحو ثوفان ديهن، ثم نحو كولان تيث متسائلة. في البداية، تحول وجه جيداك كاول إلى اللون الأبيض غضبًا، لكنه سيطر على نفسه قبل أن يتحدث، فجاءت نبرة صوته هادئة تليق بلقاء جيداكين عظيمين.

قال ببطء: «ثوفان ديهن، إن تدنيس العادات القديمة هو سلوك استفزازي كبير من جانب ضيف داخل قصر مضيفه. وحتى لا أنسى نفسي أنا أيضًا، كما فعل صديقي الملكي، فإنني أفضل البقاء صامتًا إلى أن يحظ جيداك بتارث باستحساني لتصرفه بأن يخبرني بالأسباب التي أثارته».

كان يمكنني أن أرى غضب جيداك بتارث وكأنه على وشك أن يلقي بمعادنه في وجه كولان تيث، لكنه سيطر على نفسه كما فعل مضيفه.

قال: «لا أحد يعرف أفضل من ثوفان ديهن القوانين التي تحكم سلوك الرجال في مناطق الأمم المجاورة. لكن ثوفان ديهن يدين بالولاء لقانون أعلى من تلك القوانين – قانون العرفان بالفضل. لا يدين أي رجل في برسوم بأكبر عرفان بالفضل لأحد أكثر من جون كارتر، أمير هيليوم».

ثم واصل قائلًا: «قبل سنوات يا كولان تيث، في زيارتك الأخيرة لي، تذكر أنك أُعجبت بسحر ورقة ابنتي الوحيدة ثوفيا. ورأيت كيف

قال مخاطبًا كولان تيث: «يا أنبل جيداك، اشتبهت منذ البداية في وجود هذا الغريب داخل قصرك. إن وصفك لبراعته الشيطانية يماثل براعة عدو الحقيقة اللدود في برسوم».

«وتجنبًا للخطأ، أرسلت كاهنًا من عبادتك المقدسة ليقوم بالاختبار الذي يمكن أن يخترق تنكره ويكشف عن حقيقته. وها هي النتيجة!»، ثم أشار ثوريد بأصبعه الصارم على جبهتي.

اتجهت كل الأعين نحو أصبع الاتهام- بقيت أنا وحدي في حيرة لتخمين العلامة القاتلة التي تستقر على جبيني.

خمن الضابط الواقف بجواري حيرتي. قطب كولان تيث حاجبيه واكفهر وجهه تهديدًا وهو ينظر نحوي، حيث أخرج النبيل مرآة صغيرة من جيب حقيبته ووضعها أمام وجهي.

كانت لمحة واحدة إلى الانعكاس الذي منحته المرآة كافيًا بالنسبة لي.

لقد تسلل الثيرني إلى غرفة نومي، مختفيًا في الظلام، ومد يده إلى جبيني ومسح جزءًا بحجم راحة اليد من صبغة تنكري الحمراء، وظهرت تحتها بشرتي البيضاء.

توقف ثوريد للحظة عن الكلام، أعتقد لتعزيز التأثير الدرامي لكشفه، ثم استأنف حديثه.

صاح: «إنه، يا كولان تيث، من دنَّس معابد آلهة المريخ، وانتهك أشخاص الثيرن المقدسين أنفسهم، وقلب العالم ضد دينهم العريق.

أمامكم وفي سلطتكم، يا جيداك كاول المدافع عن المقدسات، يقف جون كارتر أمير هيليوم!».

نظر كولان تيث إلى ماتاي شانج كأنما ليتثبت من هذه التهم، وأومأ الثيرني المقدس رأسه.

وقال: «إنه في الواقع عدو كافر. والآن تبعني إلى قلب قصرك، كولان تيث، لغرض وحيد هو اغتيالي. إنه...».

قلتُ صائحًا: «إنه يكذب! يجب أن تسمعني يا كولان تيث؛ لكي تعرف الحقيقة. استمع لأقول لك سبب متابعة جون كارتر لماتاي شانج إلى قلب قصرك. استمع إليّ، واستمع لهم أيضًا، ثم احكم ما إذا كانت أفعالي لا تزيد عن اتساقها مع فروسية وشرف برسوم الحقيقي وليست كأفعال هؤلاء المتعصبين الانتقاميين للعقائد الزائفة التي حررت كوكبكم منها».

«صمتًا!»، زأر الجيداك وهو يثب على قدميه ويضع يده على مقبض سيفه، «صمتًا أيها الكافر! لا يحتاج كولان تيث إلى السماح بتدنيس هواء القاعة العامة بالهرطقة التي تصدر من حلقك كي أحكم عليك».

«لقد أدنت نفسك بالفعل. ويبقى تحديد طريقة موتك. وحتى الخدمة التي قدمتها إلى مقاتلي كاول لن تفيدك؛ فلم تكن سوى حيلة خسيسة لتجد بمقتضاها وسيلة لتحظ برعايتي والوصول إلى هذا الرجل المقدس الذي تبغي قتله. خذوه إلى الحُفر!» أنهى كلامه وهو يخاطب ضابط الحرس.

وقف جيداك كاول لدقائق وهمَّ أن يحني رأسه، يبدو أنه كان يفكر بعمق. ثم أشرقت ملامحه بضوء مفاجئ. صاح: «عرفت! بالأمس فقط ألمح ماتاي شانج عن وجهته، فقد أخبرني بوجود عِرق مريخي يختلف عنا ويسكنون في الشمال. كما قال إن الثيرن المقدسين يعرفونهم وإنهم متدينون ومن أتباع العبادة القديمة. سوف يجد بينهم ملاذًا أبديًا للجوء، حيث لا يمكن أن يسعى إليه 'الزنادقة الكاذبون'. لقد ذهب ماتاي شانج إلى هناك».

قلت صائحًا: «لن نجد في كاول كلها سفينة فضائية تتبعهم».

أجاب ثوفان ديهن: «ليس هناك أقرب من بتارث».

صرخت قائلًا: «انتظروا! وراء الحافة الجنوبية لهذه الغابة الكبيرة يقع حطام سفينة الثيرن الفضائية التي أتت بي كل هذه المسافة إلى هنا. كولان تيث، إذا وفرت لي رجالًا للبحث عنها وصُنَّاعًا لمساعدتي، يمكنني إصلاحها في غضون يومين».

كنت أكثر من نصف متشكك في مدى صدق ارتداد جيداك كاول المفاجئ عن معتقداته القديمة، لكن حماسته في الموافقة على اقتراحي، والبعثة التي ضمت قوة من الضباط والرجال ووضعها تحت تصرفي تمامًا، قد أزالت بقايا شكوكي.

هبطت السفينة بعد يومين على الجزء العلوي من برج المراقبة، مستعدة للمغادرة. منحني ثوفان ديهن وكولان تيث موارد البلدين بالكامل- ملايين من المقاتلين تحت إمرتي. لكن السفينة لم تكن لتتسع لأكثر من راكب آخر معي، بالإضافة إلى وولا.

صعدت على متن السفينة، واتخذ ثوفان ديهن مكانة بجانبي. ألقيت نظرة تساؤل مندهش نحوه. نظر إلى أحد الضباط، الأعلى رتبه بين ضباطه الذين رافقوه إلى كاول، وقال: «أعهد إليك بمهمة إعادة حاشيتي إلى بتارث. وهناك، يتولى ابني الحُكم باقتدار في غيابي. لن يذهب أمير هيليوم بمفرده إلى أرض أعدائه. لقد تحدثت. الوداع!».

* * *

(٨)

خلال كهوف كاريون

قادتنا نهارًا وليلًا البوصلة التي تحدد وجهتنا نحو الشمال مباشرة، وراء السفينة الهاربة؛ تلك البوصلة التي بقيت على وضعها منذ أن ضبطتها منذ أن غادرت حصن الثيرن.

لاحظنا في فترة مبكرة من الليلة الثانية، أن الهواء أصبح أكثر برودة. وتأكدنا -من المسافة التي أتينا منها عند خط الاستواء- أننا نقترب سريعًا من المنطقة القطبية الشمالية.

توخيت الحذر، نظرًا لمعرفتي بالجهود التي بذلتها عدد لا يحصى من البعثات لاستكشاف تلك الأراضي المجهولة؛ فلم ترجع أبدًا أي سفينة تجاوزت بمسافة كبيرة الحاجز الجليدي الجبار الذي يشكل الحافة الجنوبية للمنطقة المتجمدة.

لا أحد يعرف ما حدث لتلك البعثات، إلا أنها اختفت إلى الأبد عن الأنظار عندما دخلت قتامة ذلك البلد القطبي الغامض.

لم تكن المسافة من الحاجز إلى القطب تستغرق أكثر من بضع ساعات تقطعها سفينة سريعة، ولذا افترضنا أن كارثة مخيفة كانت تنتظر مَن يصلون إلى «الأرض المحرمة»؛ وسُمي سكانها المريخيين من العالم الخارجي.

وهكذا، تحركت بمزيد من البطء خلال الاقتراب من الحاجز. كانت هدفي أن أتحرك بحذر نهارًا فوق كومة الجليد التي قد اكتشفها، قبل أن أقع في فخ، إذا كان يوجد حقًّا بلد مأهول بالسكان في القطب الشمالي؛ إذ كنت أتصور أنه لا توجد سوى بقعة قد يشعر فيها ماتاي شانج بالأمان من جون كارتر، أمير هيليوم.

كنا نحلق بسرعة بطيئة، لكن على بُعد عدة أقدام من سطح الأرض، ونتحسس حرفيًّا طريقنا عبر الظلام؛ فقد غَرُب القمران، وكان الليل أسود ومليدًا بالغيوم التي لا يمكن العثور عليها إلا في أقصى طرفي المريخ.

وفجأة ارتفع جدار أبيض شاهق في طريقنا مباشرة. وعلى الرغم من أنني أدرت دفة القيادة بشدة وعكست اتجاه محركنا، فقد فات الأوان لتجنب الاصطدام. مع تحطم مقزز، اصطدم الجزء الأكبر من سفينتنا بالعقبة التي لاحت في الأفق.

أخذت السفينة تتهاوى؛ حيث توقف المحرك، وانفجرت خزانات الطفو، وسقطنا نحو الأرض التي تبعد حوالي عشرين قدمًا.

لحسن الحظ لم يصب أحد منا بجراح. بدأنا نخرج من حطام السفينة، ورأينا القمر الأصغر يصعد من وراء الأفق. وجدنا أننا عند

سفح الحاجز الجليدي الجبار، حيث انتشرت رقع كبيرة من تلال الجرانيت التي تحول دون امتداده نحو الجنوب.

يا له من مصير! اكتملت الرحلة وسقطنا مُدَمَّرين على الجانب الخطأ من هذا الجدار الوعر الذي لا يمكن تسلقه، من الصخور والجليد!

نظرت إلى ثوفان ديهن، الذي هز رأسه بأسى.

أمضينا ما تبقى من الليل نرتجف في ما لدينا من قدر ضئيل لا يكفي من حرير وفراء النوم، على الجليد الذي يقع عند سفح الحاجز الجليدي.

استردت معنوياتي مع ضوء الصباح بعض تفاؤلها المعتاد، على الرغم من أنني كنت أعرف أن الطعام القليل المتوفر غير كاف.

سألني ثوفان ديهن: «ماذا سنفعل؟ كيف يمكننا اجتياز ما يستحيل اجتيازه؟».

فقلت: «علينا أولًا دحض هذه الاستحالة. لن أعترف باستحالة اجتيازه قبل أن أتعقب دائرته بأكملها وأعود مرة أخرى إلى هذه البقعة مهزومًا. كلما أسرعنا في البدء، كان أفضل؛ فلا أرى أي طريقة أخرى. سوف نستغرق أكثر من شهر في الترحال عبر الأميال المضجرة شديدة البرودة التي تنتظرنا».

عبرنا الطريق المتجمد الوعر، الذي يقع عند سفح الحاجز الجليدي، في خمسة أيام من البرد والمعاناة والحرمان. هاجمتنا نهارًا وليلًا مخلوقات شرسة مغطاة بالفراء. لم نكن أبدًا للحظة آمنين من

هجوم مفاجئ من بعض شياطين الشمال الضخمة.

كان الأبت(٢١) بمثابة عدونا الأكثر تماسكًا وخطورة.

هو مخلوق ضخم، مُغطى بفراء أبيض ولديه ستة أطراف؛ أربعة منها قصيرة وثقيلة، تحمله سريعًا على الثلوج والجليد، بينما يمتد الطرفان الآخران إلى الأمام من كتفيه على كل جانب من رقبته الطويلة القوية، وينتهيان بأيادٍ بيضاء عديمة الشَّعر يمسك بها فريسته.

أما رأسه وفمه، فهما أكثر شبهًا برأس وفم فرس النهر من أي حيوان آخر على كوكب الأرض، في ما عدا وجود قرنين قويين يمتدان بانحناء إلى أسفل قليلًا من جانبي عظام الفك السفلي نحو الأمام.

أثارت عيناه الضخمتان فضولي إلى حد كبير. فهما تمتدان في رقعتين بيضاويتين واسعتين من وسط الجزء العلوي من الجمجمة إلى أسفل جانبي الرأس، وصولًا إلى منبت القرنين؛ بحيث تنمو هذه الأسلحة بالفعل خارجة من الجزء السفلي للعينين التي تتكون كل منهما من عدة آلاف من الأعين البسيطة.

تبدو بِنية هذه العين ملحوظة في الوحوش التي تتردد على حقول الجليد والثلج الزاهية. وعلى الرغم من أنني وجدت بعد فحص دقيق للحيوانات العديدة التي قتلناها أن كل عين بسيطة مزودة بجفن خاص بها، وأن بمقدور الحيوان إغلاق أكبر عدد ممكن أعينه الضخمة حسب اختياره، فقد كنت على يقين أن الطبيعة قد سلحته بهذه الطريقة لأنه

---

(٢١) الأبت: مخلوق وحشي، يسكن القطب الشمالي في المريخ - *http://barsoom.wikia.com/wiki/Apt* (المترجمة).

يقضي فترة طويلة من حياته في تجاويف الظلام تحت الأرض.

واجهنا بعد فترة قصيرة أضخم حيوان أيت. بلغ طول المخلوق وهو واقف ثماني أقدام من عند الكتف، وكان أنيقًا ونظيفًا ولامعًا حتى أنني كدت أقسم أنه حصل على رعاية مؤخرًا.

وقف يتطلع إلينا ونحن نقترب منه، فقد وجدنا أنها مضيعة للوقت محاولة الهروب من الغضب الوحشي الأبدي الذي يبدو مسيطرًا على تلك المخلوقات الشيطانية، التي تجوب الشمال الموحش وتهاجم كل شيء حي يأتي في نطاق بصر أعينها الممتد.

حتى عندما تستلئ بطونهم بالكامل ويصبحون غير قادرين على أكل المزيد، فإنهم يقتلون لمجرد متعة القتل. ولذا عندما فشل هذا الأبت تحديدًا في هجومه، دار وهرول بعيدًا مع اقترابنا منه. اندهشت كثيرًا عندما لمحت لمعان طوق ذهبي حول عنقه.

لمحه ثوفان ديهن أيضًا؛ مما حمل لكلينا نفس رسالة الأمل. إن الرجل فقط هو مَن يستطيع وضع ذلك الطوق. ونظرًا لأن جميع أعراق المريخيين التي نعرفها لم تحاول أبدًا تدجين الأبت الشرس، فلا بد أنه ينتمي إلى شعب الشمال الذي نجهل حتى وجودهم- ربما ينتمي إلى عِرق الرجل الأصفر الأسطوري في برسوم؛ وهو العِرق الذي كان قويًا ذات يوم، ومن المفترض أنه انقرض، وإن كان الـمُنظِرون يعتقدون أحيانًا أنه لا يزال موجودًا في الشمال المتجمد.

وفي الوقت نفسه، بدأنا نتحرك على درب الوحش الضخم. فهم وولا رغبتنا سريعًا، ولذا لم يكن من الضروري محاولة الحفاظ على

مرأى الحيوان الذي أخرجته حركته السريعة على الأرض من مجال بصرنا.

كان أفضل جزء من ساعتين هو موازاة الدرب للحاجز، ثم انعطف فجأة نحو أكثر منطقة وعرة يتعذر اجتيازها رأيتها على الإطلاق.

كانت صخور الجرانيت الضخمة تسد الطريق من كل جهة، وتصدعات الجليد العميقة تهدد بابتلاعنا عند أقل زلة قدم. ومن الشمال، حمل نسيم خفيف إلى أنوفنا رائحة كريهة لا توصف كادت أن تخنقنا.

انشغلنا لمدة ساعتين أخريين في عبور بضع مئات من الياردات أسفل الحاجز.

درنا بعد ذلك حول زاوية بارزة من الجرانيت تشبه الجدار، ووجدنا أنفسنا في منطقة ملساء تمتد ٢-٣ إكرات قبل قاعدة كومة الجليد والصخور الشاهقة التي قد أعاقتنا لأيام، ورأينا أمامنا فتحة غائرة مظلمة لكهف.

كانت الرائحة الكريهة تنبعث من هذا المدخل الـمُنفر. وعندما لمح ثوفان ديهن المكان، توقف وهو يصيح هاتفًا في دهشة كبيرة: «يا لكل أسلافي! لقد عشتُ لأشهد حقيقة كهوف كاريون الأسطورية! إذا كانت هذه هي كهوف كاريون بالفعل، فقد وجدنا طريقًا لتجاوز الحاجز الجليدي. إن السجلات القديمة لمؤرخي برسوم الأوائل- وهي قديمة إلى حد أننا اعتبرناها أساطير لعصور- تُسجل نهاية الرجال الصُّفر نتيجة آثار الجحافل الخضراء المدمرة التي اجتاحت برسوم، حيث أدى

جفاف المحيطات الكبرى إلى خروج الأعراق المهيمنة من معاقلها. يحكون عن ترحال بقايا هذا العِرق الذي تميز بالقوة ذات يوم، سباق مرة واحدة قوية، وعن تعرضه للمضايقات في كل خطوة، إلى أن وجد أخيرًا طريقًا عبر الحاجز الجليدي في الشمال إلى أحد الوديان الخصبة في القطب. عند فتحة الممر تحت الأرضي الذي يؤدي إلى مأوى لجوئهم، دارت معركة قوية انتصر فيها الرجال الصُفر. وفي الكهوف التي كانت بمثابة مداخل إلى وطنهم الجديد، كدسوا جثث القتلى، من العِرقين الأصفر والأخضر، بحيث تُبعِد الرائحة الكريهة خصومهم من مواصلة مطاردتهم. ومنذ ذلك الحين، في تلك الفترة البعيدة، كان موتى هذه الأرض الأسطورية يُنقلون إلى كهوف كاريون؛ فقد يخدم موتهم وتحللهم بلدهم ويبعد عنها الأعداء الغزاة. وتقول الأسطورة إنهم كانوا ينقون إلى هنا أيضًا جميع نفايات الأمة- كل شيء يمكن أن يتعفن، بحيث يُضيف إلى الرائحة الكريهة التي تهاجم أنوفنا. والموت يختفي في كل خطوة بين الموتى المتعفنين؛ فهنا عرين مخلوقات الأبت الشرسة، بالإضافة إلى التكدس العفن للأجزاء التي لا يأكلونها من فرائسهم. إنه طريق مروع لتحقيق هدفنا، لكنه السبيل الوحيد».

سألته: «أأنت متأكد إذنْ أننا وجدنا الطريق إلى أرض الرجل الأصفر؟».

فأجاب: «أعتقد ذلك؛ ولا يدعم اعتقادي هذا سوى الأسطورة القديمة. ولكن انظر إلى أيِ مدى، حتى الآن، تتطابق كل تفصيلة مع القصة القديمة قِدم العالم لهجرة العرق الأصفر. نعم، أنا متأكد أننا

لتكشفنا الطريق إلى مكان اختبائهم القديم».

قلت: «دعنا نصلي أن يكون كلامك صحيحًا. وإن كان، ربما يمكننا هنا حل لغز اختفاء تاردوس مورس، جيداك هيليوم، وابنه مورس كاجاك؛ فلا توجد أي بقعة أخرى في برسوم لم تبحث فيها العديد من البعثات، هذا غير العدد الذي لا يُحصى من الجواسيس الذين يبحثون عنهما لما يقرب من عامين. آخر ما جاءنا منهم أنهم خرجوا يبحثون عن كارثوريس، ابني الشجاع، وراء الحاجز الجليدي».

اقتربنا ونحن نتحدث من مدخل الكهف. وعندما تجاوزنا عتبته، توقفت متعجبًا أن الرجال الخُضر القدماء، أعداء العِرق الأصفر، قد أوقفتهم أهوال ذلك الطريق المفزع.

تكومت عظام الرجال الموتى، على ارتفاع رجل، على أرضية الكهف الأول الواسعة، وفوق الكومة قطعة متعفنة من لحم متحلل. شقت مخلوقات الأبت خلال هذه الكومة دربًا بشعًا تجاه مدخل الكهف الثاني.

كان سقف هذه المساحة الأولى منخفضًا، مثل كل ما اجتزناه لاحقًا، بحيث كانت الروائح الكريهة محصورة ومكثفة إلى حد أنها بدت كشيء ملموس. يميل المرء هنا إلى امتشاق سيفه القصير وشق طريقه سريعًا بحثًا عن الهواء النقي في الخارج.

تساءل ثوفان ديهن، مختنقًا: «هل يمكن أن يتنفس الرجل هذا الهواء الملوث ويعيش؟».

فقلت: «أتصور ليس لفترة طويلة، لذا علينا أن نسرع. سوف أذهب أولًا، وأنت في الخلف، وولا بيننا. هيا»؛ ثم انطلقت نحو الأمام عبر كتل التعفن النتنة.

لم نقابل أي اعتراض مادي قبل أن ننتهي من المرور خلال سبعة كهوف ذات أحجام وأنواع مختلفة، وإن كانت تقل قوة ونوعية الرائحة النتنة. وفي الكهف الثامن، وصلنا إلى معقل لمخلوقات الأبت.

ضمت الغرفة دزينة كاملة من الوحوش الجبارة. كان بعضهم نائمًا، بينما كان البعض الآخر يمزق جثثًا جديدة لفرائس حديثة القتل، وهناك البعض الذين يتقاتلون وهم يمارسون الحب.

وهنا، في هذا الضوء الخافت لبيتهم تحت الأرض، اتضحت أهمية أعينهم الكبيرة؛ فهذه الكهوف الداخلية يلفها ظلام أبدي يقل قليلًا عن الظلام الدامس.

بدت -حتى بالنسبة لي- أن محاولة المرور وسط هذا القطيع الشرس هي ذروة الحماقة، فاقترحت على ثوفان ديهن أن يعود إلى العالم الخارجي مع وولا ويحاولان أن يجدا طريقهما إلى الحضارة ثم يعودان ثانية وبصحبتهما قوة كافية، ليس للتغلب على مخلوقات الأبت فقط، وإنما أيضًا لمواجهة أي عقبات أخرى تقع بيننا وبين هدفنا.

«وفي الوقت نفسه»، واصلت قائلًا: «قد اكتشفت بعض الوسائل لشق طريقي بمفردي إلى أرض الرجال الصُفر. وإذا فشلت، عندئذ نكون ضحينا بحياة واحدة فقط. أما إذا ذهبنا جميعًا وهلكنا، لن يوجد أحد ليوجه مجموعة الإغاثة نحو ديجاه ثوريس وابنتك».

أجاب ثوفان ديهن: «لن أذهب وأتركك هنا بمفردك يا جون كارتر، سواء فزت بالنصر أو انتهى بك الحال إلى الموت، سوف يبقى جيداك تارث إلى جانبك. لقد أنهيت حديثي».

عرفت من نبرة صوته أن الجدال معه سيكون بلا جدوى، فخاطرت بإرسال وولا مع كلمة مكتوبة على عجل، وضعتها في علبة معدنية صغيرة، وربطها حول عنقه. أمرت وولا الوفي أن يبحث عن كارثوريس في هيليوم. وعلى الرغم من أن أنه سيعبر نصف عالَم ويواجه عددًا لا يُحصى من الأخطار، فقد كنت أعرف أن هذه المهمة إذا كانت قابلة للتحقيق، فإن وولا سيفعلها.

كانت الطبيعة قد منحت وولا سرعة رائعة وقدرة على التحمل، فضلًا عن ضراوة مخيفة تجعله مؤهلًا لمواجهة أي عدو على الطريق؛ كما أن ذكاءه الشديد وغريزته العجيبة تستكمل المطلوب للنجاح في إنجاز مهمته.

استدار الوحش الكبير، مع عزوف واضح، ليتركني امتثالًا لأمري. وقبل أن يذهب، لم أستطع مقاومة رغبتي في لف ذراعي حول رقبته الكبيرة في عناق الفراق. أخذ وولا يحك في يدي، في مداعبة نهائي، ثم اندفع مسرعًا عبر كهوف كاريون متجهًا نحو العالم الخارجي.

في مذكرتي إلى كارثوريس، أعطيت اتجاهات واضحة لتحديد مواقع كهوف كاريون، مع تأكيدي على ضرورة دخول البلد عبر هذا الطريق، وعدم محاولة عبور الحاجز الجليدي تحت أي ظرف من الظروف عن طريق أسطول. قلت له إنني لا أستطيع حتى تخمين ما

الراقدة. كان الصوت الوحيد، غير تنفسنا، هو ضجيج أقدامنا عندما نرفعها من الأجساد المتحللة خلال زحفنا.

في منتصف الطريق عبر الغرفة، تحرك بقلق أحد الوحوش الجبارة في اللحظة نفسها التي كنت سأخطو فيها بقدمي من فوق رأسه.

انتظرت بهدوء، ووازنت نفسي على قدم واحدة؛ فلم أكن أجرؤ على القيام بأدنى حركة. كنت أحمل في يدي اليمنى سيفي القصير البتّار، ويقع رأسه على مسافة شبر أعلى الفراء السميك الذي يوجد أسفله قلب المخلوق الوحشي.

استرخى مخلوق الأبت أخيرًا، متنهدًا، كأنما انتهى من حلم مزعج، واستأنف تنفسه العادي ونومه العميق. وضعت قدمي بعد رأسه الشرسة، وبعد لحظة خطوت من فوقه.

تبعني ثوفان ديهن مباشرة، وبعد لحظة أخرى وجدنا أنفسنا أمام باب آخر لم تكن نعرف بوجوده.

تتكون كهوف كاريون من سلسلة تضم ٢٧ غرفة متصلة. ويبدو من مظهرها أنها تآكلت بفعل المياه الجارية في عصر عتيق، عندما وجد نهر جبار طريقه إلى الجنوب خلال هذا الشق المنفرد في حاجز الصخور والجليد الذي يطوق بلدة القطب.

اجتزت مع ثوفان ديهن الكهوف التسعة عشر المتبقية دون مغامرات أو أحداث مؤسفة.

عرفنا لاحقًا أنه يمكن العثور على جميع مخلوقات الأبت، التي تسكن كهوف كاريون، في غرفة واحدة مرة واحدة فقط في الشهر.

أما في الأوقات الأخرى، فهم يتجولون منفردين أو في أزواج داخل الكهوف وخارجها، بحيث يستحيل عمليًا لرجلين المرور خلال الغرف السبع والعشرين كاملة دون مقابلة مخلوق الأبت في كل غرفة تقريبًا. وهم ينامون مرة واحدة في الشهر لمدة يوم كامل، ومن حسن حظنا أننا دخلنا مصادفة في أحد هذه الأيام.

خرجنا بعد الكهف الأخير إلى بلد مقفر، من الثلوج والجليد، لكننا وجدنا دربًا ملحوظًا بوضوح يؤدي إلى الشمال. امتلأ الطريق بصخور متناثرة، كما كان الحال عند جنوب الحاجز، بحيث لم نتمكن في أي وقت إلا من رؤية مسافة قصيرة أمامنا.

وصلنا بعد بضع ساعات إلى صخرة ضخمة عند منحدر حاد يؤدي إلى واد في أسفل.

رأينا أمامنا مباشرة نصف دزينة من الرجال يتسمون بالشراسة، ولحاهم سوداء، وبشرتهم بلون الليمون الناضج.

هتف ثوفان ديهن: «رجال برسوم الصُّفر!». فعلى الرغم من أنه يراهم الآن، فقد وجد أنه بالكاد ما يمكنه تصديق أن هذا العِرق الذي كنا نتوقع العثور عليه مختفيًا في هذه الأرض النائية التي يتعذر الوصول إليها، موجود بالفعل.

تراجعنا خلف صخرة متاخمة لمشاهدة تصرفات هذه المجموعة

يكمن وراء الكهف الثامن؛ لكنني على يقين أن والدته موجودة في مكان ما على الجانب الآخر من الحاجز الجليدي تحت سيطرة ماتاي شانج، وربما أيضًا جده وجده الأكبر، إذا كانوا في قيد الحياة.

علاوةً على ذلك، نصحته بأن يطلب من كولان تيث وابن ثوفان ديهن إمداده بمحاربين وسفن، بحيث تتمتع الحملة بما يكفي من قوة تضمن نجاحها من أول ضربة.

وأنهيت رسالتي قائلًا: «إذا كان هناك وقت، أحضر تارس تاركاس معك؛ فإذا قُدِر لي أن أعيش حتى تصل، فليس لدي من متعة أكبر من القتال ثانية إلى جانب صديقي القديم».

بعد أن تركنا وولا، اختبأت مع ثوفان ديهن في الكهف السابع. ناقشنا ورفضنا العديد من الخطط لعبور الغرفة الثامنة. رأينا من حيث نقف أن القتال بين مخلوقات الأبت يقل تدريجيًا، وأن العديدين الذين كانوا يأكلون قد توقفوا واستلقوا للنوم.

أصبح واضحًا الآن أن جميع الوحوش الشرسة قد تخلد إلى النوم في سلام، ما يمنحنا قريبًا فرصة محفوفة بالمخاطر للعبور من خلال مخبئهم.

تمددت المخلوقات الوحشية، واحدًا تلو الآخر، فوق التحلل الفقاعي الذي غطى كتلة العظام على أرضية وكرِهم، لكن واحدًا منهم فقط ظل مستيقظًا. كان هذا الكائن الضخم يتجول قلقًا، يتشمم رفاقه وقمامة الكهف البغيضة.

كما كان يتوقف من حين لآخر لإنعام النظر تجاه أول مخارج الغرفة، ثم المخرج الآخر. ينم سلوكه كله على أنه يعمل كحارس.

اضطررنا أخيرًا إلى الاعتقاد بأنه لن ينام ما دام شاغلو هذا الوكر نائمين، ولذا دارت في أذهاننا خطط قد تتيح لنا خداعه. وأخيرًا اقترحت خطة على ثوفان ديهن. ونظرًا لأنها بدت جيدة، مثل باقي الخطط التي ناقشناها، فقد قررنا اختبارها.

تحقيقًا لهذه الغاية، اقترب ثوفان ديهن من جدار الكهف، بجوار مدخل الغرفة الثامنة. بينما أظهرت أنا نفسي عمدًا لمخلوق الأبت الحارس عندما نظر نحو تراجعنا. عندئذ قفزت إلى الجانب المقابل للمدخل، مسطحًا جسدي بالقرب من الجدار.

تحرك الوحش الضخم دون صوت بسرعة نحو الكهف السابع، ليرى مَن هذا الدخيل الذي تسلل برعونة كل هذه المسافة إلى داخل حدود مسكنه.

وعندما حشر رأسه خلال الفتحة الضيقة التي تربط الكهفين، كان سيف طويل ثقيل ينتظره على كل جانب. وقبل أن تُتاح له فرصة إصدار حتى هدير واحد، تدحرج رأسه المقطوع تحت أقدامنا.

نظرنا بسرعة داخل الغرفة الثامنة- لم يتحرك أي من مخلوقات الأبت. تسللنا فوق جثة الوحش الضخمة التي سدت المدخل، ودخلنا بحذر إلى الوكر المحظور المحفوف بالمخاطر.

شققنا طريقنا، مثل القواقع، بصمت وحذر بين الكائنات الضخمة

الصغيرة، التي وقفت محتشدة عند سفح صخرة ضخمة أخرى، وكانت ظهورهم نحونا.

كان أحدهم ينعم النظر حول حافة كتلة من الجرانيت، مشاهدًا أحد الذين اقتربوا من الجانب الآخر.

والآن، جاء الشيء الذين يحدقون نحوه في نطاق رؤيتي، وكان رجلًا أصفر آخر. كانوا جميعًا يرتدون فراء رائعًا- يرتدي الستة فراء الأورلوك[٢٢] الأسود المقلم بالأصفر، بينما كان الرجل الذي جاء بمفرده يرتدي متألقًا جلد الأبت الأبيض.

كان كل رجل أصفر مسلحًا بسيفين، يتدلى من خلف كل منهما رمح قصير؛ بينما يتدلى من ذراعه اليسرى دروع على شكل فنجان، لا يزيد حجمها عن طبق العشاء، وتتجه جوانبها المقعرة إلى الخارج نحو الخصم.

تبدو أدوات ضعيفة وغير مجدية للسلامة ضد حتى المبارز العادي، لكني عرفت لاحقًا الغرض منها وكيف يستخدمها الرجل الأصفر ببراعة مذهلة.

لفت انتباهي على الفور أحد السيوف التي يحملها كل محارب. أُسمِّيه سيفًا، لكنه في الواقع نصل حاد ينتهي بخُطاف كامل.

وكان طول السيف الآخر يماثل تقريبًا طول السيف المزود بخُطاف،

---

(٢٢) أورلوك: هو وحش شرس يشبه الفيل، يوجد على وجه الحصر تقريبًا في مناطق أقصى شمال المريخ - *http://barsoom.wikia.com/wiki/Orluk*. (المترجمة).

ويقع في مكان ما يماثل المسافة بين سيفي الطويل وسيفي القصير. كان هذا السيف مستقيمًا وذا حدين. وبالإضافة إلى الأسلحة التي ذكرتها، كان كل رجل يحمل خنجرًا في عتاده.

عندما اقترب الرجل الذي يرتدي الفراء الأبيض، امتشق الرجال سيوفهم بحزم- الأداة ذات الخُطاف في اليد اليسرى، والسيف المستقيم في اليد اليمنى، بينما ثُبِّت الدرع الصغير بقوة على سوار معدني فوق معصم اليد اليسرى.

ونظرًا لأن المحارب المنفرد جاء من الجهة المقابلة، أسرع الستة نحوه وهم يطلقون صرخات وحشية لا تشبه سوى صرخة الحرب الوحشية التي تطلقها قبائل الأباتش في الجنوب الغربي الأمريكي.

سحب المحارب المنفرد سيفيه على الفور. وعندما انقض عليه المحاربون الستة، شاهدتُ قتالًا رائعًا يحب المرء مشاهدته.

حاول المقاتلون الإمساك بعدوهم باستخدام الخُطافات الحادة، لكن درعه السريع كالبرق اندفع قبل انطلاق سلاح الهجوم وبداخل تجويفه الخطاف.

ما إن تمكن المحارب المنفرد باستخدام خطافه من الإمساك بأحد خصوم، حتى أغمد سيفه.

لكن الاحتمالات لم تكن متكافئةً على الإطلاق. فعلى الرغم من أن المقاتل المنفرد كان أفضلهم وأشجعهم بقدر كبير، فقد رأيتُ أنها ليست سوى مسألة وقت قبل أن يجد الخمسة الباقون ثغرة خلال وضعه

الدفاعي الرائع وإسقاطه.

أتعاطف دائمًا مع الجانب الأضعف. ومع أنني لا أعرف أي شيء عن سبب المشكلة، فلا يمكنني الوقوف مكتوف اليدين وأرى رجلًا شجاعًا يُذبح لأن عدد خصومه أكبر.

لم أهتم كثيرًا -في واقع الأمر- للبحث عن ذريعة؛ فحبي للقتال الجيد لا يجعلني في حاجة إلى أي سبب آخر للمشاركة في قتال يجري على قدم وساق.

وهكذا، وقبل أن يعرف ثوفان ديهن ما كنت على وشك القيام به، شاهدني أقف إلى جانب الرجل الأصفر الذي يرتدي ملابس بيضاء، أقاتل معه كالمجنون ضد خصومه الخمسة.

❊ ❊ ❊

(٩)

مع الرِّجال الصُّفر

لم يطل الوقت قبل أن ينضم معي ثوفان ديهن. وعلى الرغم من أننا وجدنا التعامل مع سلاح الخُطاف غريبًا ووحشيًّا، سرعان ما قتل ثلاثتنا محاربي اللحى السوداء الخمسة الذين واجهونا.

بعد انتهاء المعركة، استدار نحونا زميلنا الجديد وأخرج الدرع من معصمه. لم أعرف أهمية هذا التصرف، لكنني خمنتُ أنه ليس سوى أحد أشكال التعبير عن امتنانه لي.

علمت بعد ذلك أن هذا التصرف يرمز إلى أن الرجل يعرض حياته في مقابل الفضل العظيم الذي قُدِم له. وكان رفضي الفوري هو ما توقعه مني.

قال الرجل الأصفر: «إذن اقبلْ من تالو، أمير مارينتينا، هذا الرمز تعبيرًا عن امتناني»، وأخرج من أسفل أحد أكمامه الواسعة سوارًا ووضعه على ذراعي، وفعل الشيء نفسه مع ثوفان ديهن.

سألنا عن أسمائنا، ومن أي مكان أتينا. كان يبدو على دراية كبيرة بجغرافيا العالم الخارجي. وعندما أخبرته أنني من هيليوم، رفع حواجبه.

وقال: «آه، تبحثون عن حاكمكم ورفيقه؟».

سألته: «هل تعرفهما؟».

«لا أعرف سوى أن عمي أمسك بهما. عمي هو سالينسوس أوول، جيداك كل الجيداك، وحاكم أوكار، أرض رجال برسوم الصُّفر. أما عن مصيرهم، فلا أعرف شيئًا؛ لأنني في حالة حرب مع عمي، الذي يريد سحق سلطتي في إمارة مارينتينا. إن أولئك الذين أنقذتموني منهم، من محاربيه الذين أرسلهم للبحث عني وقتلي؛ فهم يعرفون أنني كثيرًا ما أحضر بمفردي لصيد وقتل مخلوق الأبت المقدس الذي يقدسه كثيرًا سالينسوس أوول. يكرهني سالينسوس أوول جزئيًا؛ لأنني أكره الدين الذي يعتنقه؛ لكنه يخشى غاليًا سلطتي المتنامية، حيث الفصيل العظيم الذي نشأ في جميع أنحاء أوكار سيسعد لرؤيتي حاكم أوكار وجيداك كل الجيداك بدلًا منه. إنه حاكم قاس ومستبد، يكرهه الجميع. ولولا خوفهم الشديد منه، لجمعت جيشًا بين عشية وضحاها للقضاء على القليلين الموالين له. أما شعبي فهو مخلص لي، ولم يدفع ووادي مارينتينا الصغير أي ضريبة لبلاط سالينسوس أوول لمدة سنة. وهو لا يستطيع إجبارنا؛ إذ يمكن لدزينة رجال أن تغلق الطريق الضيق إلى مارينتينا ضد مليون. والآن، عن شؤونكم.. كيف يمكنني مساعدتكما؟ قصري تحت تصرفكم، إن رغبتم في منحي شرف المجيء إلى مارينتينا».

فقلتُ: «عندما ننتهي من مهمتنا، سيسعدنا قبول دعوتك. أما

الآن، يمكنك مساعدتنا بإرشادنا إلى بلاط سالينسوس أوول، واقتراح بعض الوسائل التي تُيسر لنا دخول المدينة والقصر، أو أي مكان آخر يحتجزون فيه أصدقاءنا».

حدق تالو بأسف إلى وجوهنا الملساء، وبشرة ثوفان ديهن الحمراء، وبشرتي البيضاء.

وقال: «يجب أن تأتوا أولًا إلى مارينتينا؛ فيجب تغيير مظهركما كثيرًا قبل أن تأملا في دخول أي مدينة في أوكار. يجب أن توجد لديكما وجوه صفراء ولحى سوداء، كما يجب ألّا تثير ملابسكما وأغطيتكما المزخرفة الشكوك. يوجد في قصري شخص يمكن أن يجعل مظهركما مثل الرجال الصُّفر تمامًا، مثل سالينسوس أوول نفسه».

بدا رأيه حكيمًا. ونظرًا لعدم وجود أي وسيلة أخرى لضمان دخولنا بنجاح إلى كادابرا عاصمة أوكار، ذهبنا مع تالو أمير مارينتينا إلى بلدته الصغيرة التي تحيط بها الصخور.

كان الطريق من أسوأ الرحلات التي شهدتها. وما من عجب أن مارينتينا، التي لا توجد فيها حيوانات الثوات أو السفن الفضائية، لا تخشى من أي غزو. وصلنا أخيرًا إلى وجهتنا، وشاهدتها بداية من ارتفاع طفيف على بُعد نصف ميل من المدينة.

تقع المدينة في حضن واد عميق، وهي مبنية من الخرسانة المريخية، وكان كل شارع وميدان وساحة مفتوحة مسقوفًا بالزجاج. يوجد الثلج والجليد في كل مكان، ما عدا فوق الغطاء الكريستالي المستدير الذي يغطي المدينة بأكملها.

رأيت كيف قاوم هؤلاء الناس قسوة القطب الشمالي، ويعيشون في رفاهية وراحة وسط أرض من الجليد الأبدي. كانت مدنهم عبارة عن مدافئ حقيقية، وهنا يجب أن أعرب عن احترامي وإعجابي بالمهارات العلمية والهندسية غير المحدودة لهذه الأمة المدفونة.

ما إن دخلنا المدينة، حتى ألقى تالو بغطاء الفراء الخارجي الذي يرتديه، وفعلنا نفس الشيء. رأيتُ أن ملابسه تختلف قليلًا عن ملابس الأعراق الحمراء في برسوم. كان عاريًا، باستثناء عتاده المصنوع من الجلد وتغطيه الجواهر والمعادن السميكة؛ فلا يمكن للمرء أن يشعر بالراحة وهو يرتدي ملابس في ذلك الجو الحار والرطب.

بقينا ضيوفًا عند الأمير تالو لمدة ثلاثة أيام، أحاطنا خلالها بكل اهتمام ومجاملة في إطار سلطته. وأرانا كل ما يثير الاهتمام في مدينته العظيمة.

تحافظ محطة الجو في مارينتينا على الحياة إلى أجل غير مسمى في مدن القطب الشمالي، بعدما بدأت تنقرض أشكال الحياة كافةً على ما يتبقى من المريخ، الآخذ في الاحتضار نتيجة لعدم التزود بالهواء، إذا توقف المحطة المركزية الكبيرة مرة أخرى عن العمل- كما حدث بالفعل عند وقوع ذلك الحادث الذي لا يُنسى، حيث منحني فرصة استعادة الحياة والسعادة في العالم الغريب الذي أحبه كثيرًا.

أخذنا لنرى نظام التدفئة الذي يُخزن أشعة الشمس في خزانات كبيرة تحت المدينة، ومدى قلة القدر الضروري المطلوب للحفاظ على حرارة الصيف الأبدي للحديقة المجيدة في جنة القطب الشمالي هذه.

كانت الطرق الواسعة، المكونة من طبقة عشبية مجدولة مع بذور النباتات الصفراء من قيعان البحر الميت، تحمل بصمت حركة مركبات أرضية خفيفة متجددة الهواء؛ وهي الشكل الوحيد للنقل الاصطناعي الـمُستخدم في شمال الحاجز الجليدي العملاق.

وقد صُنِعت الإطارات العريضة لهذه المركبات المتفردة من حقائب غازية تشبه المطاط، مملوءة بالشعاع البرسومي الثامن، أو شعاع الدفع- هذا الاكتشاف المريخي الرائع الذي أتاح لأساطيل كبيرة من السفن الفضائية الجبارة أن تجعل الرجل الأحمر من الخارجي في العالم متفوقًا. فهذا الشعاع يدفع الضوء المتأصل في الكوكب أو المنعكس منه إلى الفضاء، ويعطي المركبة الفضائية المريخية عند احتجازه طفوها الهوائي.

تحتوي المركبات الأرضية في مارينتينا على قدر كاف فقط من الطفو على عجلاتها التي تشبه عجلات السيارات، وذلك لإعطاء المركبات قوة السحب اللازمة لتوجيهها. وعلى الرغم من أن العجلات الخلفية مرتبطة بالمحرك وتساعد في قيادة الآلة، فإن مروحة صغيرة في المؤخرة تقوم بالجزء الأكبر من هذا العمل.

لا أعرف إحساسًا أكثر روعة من ركوب إحدى هذه المركبات الفاخرة، الخفيفة والهوائية كالريش، على طريق طحلبي ناعم كطرق مارينتينا. إنها تتحرك دون ضجة على الإطلاق بين حدود المرجة القرمزية، تحت قوس أشجار رائع يضم أزهارًا عجيبة من أصناف عديدة تتميز بها الحياة النباتية في برسوم.

مع حلول نهاية اليوم الثالث، أتى حلاق البلاط الملكي -لا أجد أي تسمية أخرى لوصفه غير تسميتنا في كوكب الأرض- وأجرى تغييرًا ملحوظًا في مظهري ومظهر ثوفان ديهن، بحيث لا تتعرف علينا حتى زوجاتنا. أصبحت بشرتنا بنفس اللون الليموني لبشرته، كما تمكن من لصق لحى وشوارب سوداء كبيرة على وجوهنا الملساء. وساعدت أغطية محاربي أوكار المزخرفة في التنكر؛ أما عن ملبسنا خارج المدن الدافئة، فقد أعطى كلًا منا رداء من فراء الأورلوك الأسود المقلم بالأصفر.

أعطانا تالو توجيهات دقيقة للرحلة إلى كادابرا عاصمة أمة أوكار، وهو الاسم العِرقي للرجال الصُّفر. وقد رافقنا هذا الصديق الجيد في جزء من الطريق، ووعد بمساعدتنا بأي شكل من الأشكال يجده ممكنًا، ثم ودعنا.

قبل أن نفترق، وضع في إصبعي خاتمًا غريب الصنع، من حجر أسود لا يصدأ، يبدو أكثر شبهًا بقطعة من الفحم الحجري منه كجوهرة برسومية لا تقدر بثمن.

قال: «كان هناك ثلاثة آخرون مقطوعون من الحجر الأصلي الموجود في حوزتي. يرتدي هذه الخواتم الثلاثة نبلاء أثق فيهم تمامًا، وقد أرسلتهم جميعًا في بعثات سرية إلى بلاط سالينسوس أوول. إذا اقتربت في إطار خمسين قدمًا من أي من هؤلاء الثلاثة، ستشعر بوخز سريع في الإصبع الذي ترتدي فيه هذا الخاتم. وسيشعر الشخص الآخر الذي يرتدي الخاتم بنفس الإحساس. ويرجع السبب إلى حدوث تأثير

كهربائي في اللحظة التي تقع فيها الجوهرتان، المقطوعتان من نفس الحجر الأصلي، داخل دائرة نصف قطرها هو قوة كل منهما. وستعرف بهذه الطريقة أنه صديق، يمكنك الاعتماد عليه إن احتجت إلى مساعدة. ولا تتردد إذا طلب شخص آخر يرتدي أحد هذه الجواهر مساعدتك. وإذا كنت مهددًا بالموت، عليك أن تبتلع الخاتم حتى لا يقع في أيدي الأعداء. حافظ عليه بحياتك يا جون كارتر، فربما في يوم ما سيعني أكثر من الحياة بالنسبة لك».

غادر صديقنا إلى مارينتينا بعد هذا التحذير. ولينا وجوهنا في اتجاه مدينة كادابرا وبلاط سالينسوس أوول، جيداك كل الجيداك.

في ذلك المساء، وقع سور مدينة كادابرا وأسطحها الزجاجية على مرمى البصر. تقع المدينة في منخفض قصير قرب القطب، وتحيط بها التلال الصخرية المغطاة بالجليد. رأينا -خلال ممر مدخلنا إلى الوادي- مشهدًا رائعًا لهذه المدينة الشمالية العظيمة. كانت قبابها الكريستالية تلمع في ضوء الشمس الرائعة المشرقة فوق الجدار الخارجي المغطى بالصقيع، الذي يلف مجمل محيطها البالغ مائة ميل.

تُفتح البوابات الكبيرة على فترات منتظمة، لتتيح الدخول إلى المدينة. ولكن حتى من المسافة التي نظرنا منها إلى البناء الضخم، كان واضحًا أن جميع البوابات مغلقة. لذا، وبناءً على اقتراح تالو، أجلنا محاولة دخول المدينة حتى صباح اليوم التالي.

وجدنا -كما قال- العديد من الكهوف في منحدرات التلال حولنا، وتسللنا ليلًا إلى أحدها. أشعرتنا ملابسنا الدافئة، من جلد الأورلوك

بالراحة التامة؛ فنمنا نومًا عميقًا، واستيقظنا بعد وقت قصير من طلوع النهار في صباح اليوم التالي.

كانت المدينة تموج بالحركة، ورأينا من البوابات العديدة مجموعات الرجال الصُّقر. اتبعنا بدقة كافة تفاصيل توجيهات صديقنا الطيب من مارينتينا، فبقينا مختفين لعدة ساعات إلى أن مرت مجموعة تضم حوالي نصف دزينة من المحاربين على الدرب الذي يقع أسفل مكان اختبائنا، ودخلت إلى التلال عن طريق الممر الذي عبرناه مساء أمس.

وبعد أن انتظرنا وقتًا كافيًا يضمن ابتعادهم عن مرأى كهفنا، تسللنا أنا وثوفان ديهن خارج الكهف وتابعناهم، ثم لحقنا بهم عندما دخلوا إلى التلال.

عندما وصلنا إليهم تقريبًا، ناديت زعيمهم بصوت عال؛ فتوقفت المجموعة كلها واستدارت نحونا. وهنا أتى الاختبار الحاسم؛ إذا نجحنا في خداع هؤلاء الرجال، سيكون الباقي سهلًا نسبيًا.

مع اقترابي منهم قلت: «كاور!».

أجاب الضابط المسؤول عن المجموعة: «كاور!».

«نحن من إيلال»، واصلت كلامي، ذاكرًا اسم أبعد مدينة في أوكار، كما ليس لديها سوى علاقات محدودة، إن وجدت، مع كادابرا، «وصلنا بالأمس فقط، وأخبرنا كابتن البوابة صباح اليوم أنكم خارجون لاصطياد الأورلوك، وهي رياضة غير موجودة في منطقتنا. وقد أسرعنا وراءكم

على أمل أن تسمحوا لنا بمرافقتكم».

نجحنا في خداع الضابط تمامًا، وسمح لنا بلطف أن نمضي معهم. ثبتت صحة تخمين احتمال خروجهم لصيد الأورلوك؛ فقد أخبرتنا تالو أن الاحتمال عشرة إلى واحد لأي بعثة تغادر كادابرا من خلال الطريق الذي دخلنا منه إلى الوادي؛ لأنه يؤدي مباشرة إلى السهول الواسعة التي يتردد عليها هذا الوحش الجارح الشبيه بالفيل.

بقدر ما يتعلق الأمر بالصيد، كان اليوم فاشلًا؛ فلم نرَ أي أورلوك. على أن ذلك كان من حسن حظنا؛ فقد تكدر الرجال الصُّفر من سوء حظهم لدرجة أنهم قرروا عدم دخول المدينة من نفس البوابة التي خرجوا منها في الصباح، إذ يبدو أنهم تفاخروا كثيرًا أمام كابتن البوابة حول مهاراتهم في هذه الرياضة الخطرة.

ولذلك، اقتربنا من كادابرا عند نقطة تبعد عدة أميال عن موقع خروج المجموعة في الصباح، وبالتالي تخففنا من عبء مواجهة خطر أسئلة كابتن البوابة المحرجة وتقديم تفسيرات؛ لأننا سبق وقلنا للمجموعة أنه وجهنا إليهم تحديدًا.

اقتربنا جدًّا من المدينة، وجذب انتباهي رمح أسود طويل يرتفع برأسه عدة مئات من الأقدام في الهواء، ممَّا بدا كتلة متشابكة من القمامة المعدنية أو الحطام، تغيها الثلوج الآن جزئيًا.

لم أجرؤ على المجازفة بالسؤال خشية إثارة شكوك حول جهلي الواضح بشيء يجب أن أعرفه كرجل أصفر. لكنني عرفتُ قبل وصولنا

إلى بوابة المدينة الغرض من هذا الرمح القاتم، ومعنى الأشياء المتراكمة أسفله.

وصلنا إلى البوابة تقريبًا، ونادى أحد أفراد المجموعة على زملائه وهو يشير في الوقت نفسه نحو الأفق الجنوبي البعيد. نظرت في اتجاه إشارته، فرأيت هيكل سفينة فضائية كبيرة يقترب سريعًا فوق قمة التلال المطوقة.

تمتم القائد لنفسه: «لا يزال هناك حمقى آخرون يحاولون حل أسرار الشمال المحظور. ألن يتوقف فضولهم القاتل؟».

أجاب أحد المحاربين: «لنأمل ألَّا يتوقف، وإلا ماذا سنفعل بالنسبة للعبيد والرياضة؟».

«صحيح؛ ولكن يا لهم من وحوش غبية تستمر في المجيء إلى منطقة لم يرجع منها أبدًا كل مَن جاء إليها».

قال أحد الرجال: «دعونا نتلكأ لنشاهد نهاية هذه السفينة».

نظر الضابط نحو المدينة.

وقال: «لقد رآها حارس المناوبة؛ يمكننا البقاء، فقد يحتاجون إلينا».

نظرت نحو المدينة، فرأيت عدة مئات من المحاربين يخرجون من البوابة الأقرب. كانوا يتحركون على مهل، كأنما لا توجد حاجة للتسرع- نعم، ما من حاجة للتسرع، كما عرفت الآن.

أدرت بصري مرة أخرى نحو السفينة الفضائية، وكانت تتحرك

بسرعة نحو المدينة. وعندما اقتربت بقدر كاف، فوجئت أن مراوحها تعطلت.

اتجهت نحو الرمح القاتم مباشرة. وفي آخر لحظة رأيت ريش المروحة الكبير يتحرك في اتجاه يجعلها تنقلب، كأنما تجذبها قوة جبارة يتعذر مقاومتها.

ساد هرج ومرج شديد على سطحها، حيث كان الرجال يركضون هنا وهناك نحو المدافع ويستعدون لإطلاق طائرات صغيرة تحمل كل منها راكبًا واحدًا، التي يُعد أسطولها جزءًا من معدات كل سفينة حربية في المريخ. أسرعت السفينة في اقترابها من الرمح الأسود. كانت على وشك الاصطدام، وعندئذ رأيت الإشارة المألوفة تنطلق لإرسال زوارق أصغر في قطيع كبير من على سطح السفينة الأم.

وعلى الفور، ارتفعت مائة طائرة صغيرة من السطح، مثل سرب من الذباب الضخم. لكن السفينة الحربية لم تكن واضحة لهم، بل تحولت نحو الرمح، متحركة أيضًا بسرعة مخيفة نحو نفس النهاية الحتمية التي تتهدد السفينة الأكبر.

وحدث الاصطدام. سقط الرجال من السفينة في جميع الاتجاهات، في حين انحنت السفينة واندفعت لتغطس متكومة في كومة الخردة عند قاعدة الرمح.

وسقط معها وابل الطائرات الصغيرة، بعد أن اصطدم كل منها بعنف مع الرمح الصلب.

لاحظت أن الطائرات المحطمة تكومت عند جانب الرمح، وأن سقوطها لم يكن بالسرعة المتوقعة. وفجأةً اكتشفتُ سر الرمح، واكتشفتُ بالتالي تفسير السبب الذي حال دون عودة أي سفينة تجاوزت الحاجز الجليدي.

كان الرمح مغناطيسًا قويًا، وما إن تدخل سفينة إلى دائرة نصف قطرها جاذبيته القوية -ولأن فولاذ الألومنيوم يدخل إلى حد كبير في بنية جميع سفن برسوم- لا يمكن لأي قوة على الأرض أن تمنع هذه النهاية التي شهدناها الآن.

عرفت لاحقًا أن الرمح يرتكز مباشرة على القطب المغناطيسي لكوكب المريخ. لكنني لا أعرف ما إذا كان ذلك يضيف بأي شكل إلى قوة جاذبيته التي لا يمكن التنبؤ بها؛ فأنا رجل قتال، ولستُ عالِمًا.

هنا، أخيرًا، كان تفسير طول غياب تاردوس مورس ومورس كاجاك. لقد خاطر هذان المحاربان المقدامان الشجاعان على مواجهة أسرار وأخطار الشمال المتجمد بحثًا عن كارثوريس، الذي أحنت غيبته الطويلة رأس والدته الجميلة ديجاه ثوريس، أميرة هيليوم، حزنًا عليه.

في لحظة استقرار الطائرات الأخيرة عند قاعدة الرمح، تدفق المحاربين الصُّفر بلحاهم السوداء نحو كتلة الحطام وأمسكوا مَن لم يُصبْ منهم بأذى باعتبارهم سجناء، وكانوا أحيانًا يقتلون بطعنة سيف الجرحى الذين يظهرون استياء عند الاستهزاء بهم أو إهانتهم.

اشتبك بشجاعة عدد قليل من الرجال الحُمر غير المصابين مع خصومهم القساة. على أن الجزء الأكبر منهم بدا غارقًا في رعب الكارثة

التي ألمت بهم، فخضعوا بضعف إلى السلاسل الذهبية التي تكبلهم.

عادت المجموعة إلى المدينة بعد احتجاز آخر السجناء. وجدنا عند البوابة مجموعة من مخلوقات الأبت الشرسة التي ترتدي أطواقًا ذهبية، ويسير كل منها بين اثنين من المحاربين يسوقونه بسلاسل قوية من نفس معدن الطوق.

وخلف البوابة مباشرة، أطلق المرافقون القطيع الرهيب كله. وعندما تدافع القطيع نحو الرمح الأسود القاتم، لم أكن في حاجة لأن أسأل عن مهمتهم. لو لم يكن يوجد داخل مدينة كادابرا القاسية مَن يحتاجون إلى المساعدة أكثر من الموتى والمُحتضرين المساكين هناك في البرد فوق هياكل ألف طائرة متحنية ومحطمة، لما كنت قاومت رغبتي في التعجيل بالعودة والاشتباك مع تلك المخلوقات البشعة التي أحضروها لتمزيقهم والتهامهم.

ليس بإمكاني سوى أن أتبع المحاربين الصُّفر، مع انحناء رأسي، والشعور بالامتنان للفرصة التي منحتني أنا وثوفان ديهن هذا الدخول اليسير إلى عاصمة سالينسوس أوول.

ما إن دخلنا من البوابات، حتى لم نجد صعوبة في مراوغة أصدقاء الصياح، الآن وجدنا أنفسنا في دار ضيافة مريخية.



(١٠)

في الحيس

وجدتُ أن دور الضيافة العامة في برسوم لا تختلف كثيرًا. لا توجد خصوصية إلا للمتزوجين.

يذهب الرجال الذين ليست معهم زوجاتهم إلى غرفة كبيرة، أرضيتها عادة من الرخام الأبيض أو الزجاج الثقيل، ودائمًا نظيفة. يوجد هنا العديد من المنصات الصغيرة المرتفعة مخصصة لحرير وفراء النوم للضيف، وإذا لم تكن أمتعتك نظيفة، يمكنك الحصول على منتجات جديدة بتكلفة رمزية.

ما إن توضع أمتعة الرجل على إحدى تلك المنصات، حتى يُعتبر ضيفًا على الدار، وتظل المنصة تخصه إلى أن يغادر. لن يعتدي أي شخص على ممتلكاته أو ينتهك حرمتها؛ فلا يوجد لصوص على المريخ.

ونظرًا لأن الاغتيال هو الشيء الوحيد الذي يمكن الخوف منه، يوفر أصحاب دار الضيافة حراسًا مسلحين، يتجولون ذهابًا وإيابًا خلال غرف النوم ليلًا ونهارًا. ويدل عادة عدد الحراس وبهاء أغطيتهم المزخرفة على مكانة الفندق.

لا تُقدم هذه الدور وجباتٍ، وإنما يوجد بجوارها عمومًا مكان عام لتناول الطعام. أما الحمامات، فهي ترتبط بغرف النوم، ومطلوب من كل ضيف الاستحمام يوميًا أو مغادرة الفندق.

ويضم الطابق الثاني أو الثالث عادة غرفة نوم كبيرة للضيوف النساء غير المتزوجات، لكن تجهيزاتها لا تختلف ماديًا عن الغرفة التي يشغلها الرجال. ويبقى الحراس الذين يحرسون النساء في الممر خارج غرفة النوم، بينما تتجول الإماء ذهابًا وإيابًا بين النائمات لإبلاغ المحاربين إذا دعت الضرورة وجودهم.

فُوجئت بملاحظة أن جميع حراس فندقنا من الرجال الحُمر. وبسؤال أحدهم عرفت أنهم كانوا عبيدًا اشتراهم مُلاك الفنادق من الحكومة. كان الرجل المُكلف بالمرور على غرفتي هو قائد سلاح البحرية في أحد أمم المريخ العظيمة، لكن مصيره حمل سفينته الرئيسة عبر الحاجز الجليدي داخل دائرة يبلغ نصف قطرها قوة الرمح المغناطيسية، والآن هو عبد منذ عدة سنوات شاقة عند الرجال الصُّفر.

وقد أخبرني أن الأمراء والجِد وحتى الجيداك من العالم الخارجي، هم مَن بين خدم العِرق الأصفر. وعندما سألته إن كان سمع عن مصير مورس كاجاك أو تاردوس مورس، هز رأسه قائلًا إنه لم يسمع أبدًا عن

كونهم سجناء هنا، على الرغم من أنه يعرف جيدًا سمعتهما وشهرتهما في العالم الخارجي.

لم يكن سمع أي شائعات عن قدوم الأب الثيرني والداتور الأسود للأبناء الأوائل، بل سارع إلى توضيح أنه لا يعرف سوى القليل مما يحدث داخل القصر. استطعت أن أرى قدرًا ليس بقليل عن تعجبه بفضول رجل أصفر حول بعض السجناء الحُمر وراء الحاجز الجليدي، وأنني شديد الجهل بعادات وظروف عِرقي.

وفي واقع الأمر، كنت قد نسيت تنكري عندما اكتشفت رجلًا أحمر يتقدم أمام منصة نومي. لكن تعاظم تعبير اندهاشه السابق حذرني في الوقت المناسب؛ فلم تكن لدي نية للكشف عن هويتي دون جدوى، إلا إذا كان ذلك سيأتي بفائدة، ولم أتصور بعد كيف يمكن أن يخدمني هذا الزميل المسكين، رغم أن ذهني كان مشغولًا بأنني قد أكون لاحقًا الوسيلة التي تخدمه وتخدم آلاف السجناء الآخرين الذين يقدمون خدماتهم لأسيادهم القساة في كادابرا.

ناقشت مع ثوفان ديهن خططنا ونحن نجلس سويًا بين حرير وفراء النوم تلك الليلة، وسط مئات الرجال الصُّفر الذين يشغلون الشقة معنا. تكلمنا بهمسات منخفضة، ولم نُثِرْ أي شكوك؛ لأن الصوت الخفيض هو الشيء الوحيد المطلوب في مكان عام للنوم.

خلدنا أخيرًا إلى النوم بعد أن حددنا كل ما يمكن اعتباره تكهنات إلى أن تتاح لنا فرصة استكشاف المدينة ومحاولة تنفيذ الخطة التي اقترحها تالو.

تناولنا إفطارنا صباح اليوم التالي، ثم انطلقنا لنرى كادابرا. من خلال كرم أمير مارينتينا، الذي زودنا أيضًا بالعملة المالية المستخدمة في أوكار، اشترينا مركبة أرضية أنيقة. ونظرًا لأننا تعلمنا قيادة تلك المركبات في مارينتينا، فقد أمضينا يومًا سارًا ومفيدًا في استكشاف المدينة. وفي فترة متأخرة من بعد الظهيرة، في التوقيت الذي أخبرنا تالو أننا سنجد المسؤولين الحكوميين في مكاتبهم، توقفنا أمام مبنى رائع في الساحة المقابلة للأراضي الملكية والقصر.

مشينا هنا بجرأة متجاوزين الحارس المسلح عند الباب، ليقابلنا عبد أحمر يسألنا عما نريد.

قلت: «قل لسيدك سوراف إن اثنين من محاربي إيلال يرغبون في الانضمام إلى الخدمة ضمن حراس القصر».

قال لنا تالو إن سوراف هو قائد قوات القصر، وإن رجال المدن البعيدة في أوكار -لا سيما إيلال- هم أقل احتمالًا من حيث التلوث بجرثومة الدسائس التي أصابت لسنوات أسرة سالينسوس أوول، وإنه واثق من أننا ستكون موضع ترحيب بعد الإجابة على بعض الأسئلة.

وقد زودنا بالمعلومات العامة التي يعتقد أنها ضرورية لنجاحنا في المقابلة مع سوراف، وبعدها سنخضع لاختبار آخر أمام سالينسوس أوول؛ ليحدد مدى لياقتنا البدنية وقدرتنا كمحاربين.

على أن خبرتنا القليلة مع السيف الخطافي الغريب لدى الرجل الأصفر ودرعه الذي يشبه الكوب، جعلتنا نتشكك في إمكانية النجاح في هذا الاختبار النهائي. ولكن أمامنا فرصة البقاء في قصر سالينسوس

أوول لعدة أيام بعد أن يقبلنا سوراف وقبل أن يجد جيداك كل الجيداك وقتًا لاختبارنا النهائي.

انتظرنا عدة دقائق في غرفة الانتظار، استدعونا بعدها إلى مكتب سوراف الخاص. استقبلنا بلطف ضابط شرس المظهر ذو لحية سوداء، وسألنا عن أسمائنا ومواقعنا في مدينتنا. وعندما حصل على الردود التي يبدو أنها أشعرته بالرضى، وجَّه إلينا بعض الأسئلة التي توقعها تالو وعلمنا كيف نجيب عنها.

لم تستمر المقابلة أكثر من عشر دقائق، حيث استدعى سوراف معاونًا وأصدر له تعليمات بأن يسجلنا بشكل صحيح، ثم يرافقنا إلى جزء مخصص في القصر للمتقدمين من أجل الانتماء إلى حرس القصر.

أخذنا المعاون إلى مكتبه الخاص أولًا، حيث تولى أخذ قياساتنا وأوزاننا، كما التقط لنا صورًا بجهاز مبتكر لهذا الغرض. تُستنسخ على الفور خمس نسخ في خمسة مكاتب حكومية مختلفة، يقع اثنان منها في مدن أخرى تبعد عدة أميال. ثم قادنا عبر حديقة القصر إلى غرفة حراسة القصر الرئيسة، حيث سلمنا إلى الموظف المسؤول.

أعاد هذا الشخص سؤالنا ثانية بإيجاز، وأخيرًا أرسل معنا جنديًا ليرشدنا إلى أماكن إقامتنا. وجدناها في الطابق الثاني من القصر، في برج شبه منفصل عند الجزء الخلفي من الصرح الضخم.

وعندما سألنا مرشدنا عن سبب إقامتنا في مكان بعيد جدًا عن غرفة الحراسة، أجاب أن قدامى الحراس اعتادوا خلق مشاجرات مع المتقدمين الجُدد، مما أسفر عن العديد من الوفيات، ولذا كان يصعب

الحفاظ على الحارس في كامل قوته في ظل سيادة هذه العادة. ولهذا السبب، أبعد سالينسوس أوول هذا المقر وخصصه للمتقدمين، حيث تُغلق عليهم الأبواب بشكل آمن ضد خطر هجمات أفراد الحرس.

أوقفتْ فجأةً هذه المعلومات البغيضة جميع خططنا المدروسة جيدًا؛ لأنها تعني أننا عمليًا سجناء في قصر سالينسوس أوول إلى أن يحين الوقت الذي يراه مناسبًا لاختبار كفاءتنا النهائي.

كنا نأمل في إنجاز الكثير خلال هذه الفترة في سعينا من أجل ديجاه ثوريس وثوفيا البتارثية. شعرنا بأسى غير محدود ونحن نسمع صوت إغلاق القفل الكبير خلف مرشدنا بعد أن قادنا إلى غرفنا.

التفتُّ إلى ثوفان ديهن وعلى وجهي علامات ساخرة. هز رفيقي رأسه مكتئبًا، وسار إلى أحد النوافذ في الجانب الآخر من الشقة.

وما إن نظر خلال النافذة، حتى ناداني بنبرة خفية تنم عن الإثارة والمفاجأة. وفي لحظة، كنت بجانبه.

قال ثوفان ديهن: «انظر!»، مشيرًا إلى الساحة أدناه.

تابعت بعيني الاتجاه الذي يشير إليه، ورأيت امرأتين تتحركان جيئةً وذهابًا في حديقة مُسيجة.

عرفتهما على الفور؛ إنهما ديجاه ثوريس وثوفيا البتارثية!

إنهما من تعقبت أثرهما من قطب إلى آخر، أي بقدر طول العالم. ولا يفصلني عنهما الآن سوى عشر أقدام وعدة قضبان معدنية.

جذبت انتباههما بصيحة عالية. وعندما نظرت ديجاه ثوريس إلى

أعلى والتقت أعيننا، أشرت بعلامة الحب التي يشير بها رجال برسوم إلى نسائهم.

لدهشتي وفزعي، رفعت رأسها عاليًا وبدت نظرة ازدراء تام على ملامحها الجميلة، ثم استدارت وأعطتني ظهرها. إن جسدي مغطى بندوب آلاف الصراعات، لكنني لم أعانِ أبدًا في حياتي الطويلة من ألم مثل هذا الألم الذي شعرتُ به عندما نفذت نظرتها الفولاذية إلى قلبي.

ابتعدت متأوهًا، ودفنت وجهي في ذراعي. سمعت ثوفان ديهن ينادي على ثوفيا بصوت عال. لكن صيحة اندهاشه المتعجب دلت أن ابنته أيضًا قد صدته.

قال لي صائحًا: «لن تستمعا حتى. فقد وضعتا أيديهما على آذانهما وسارتا إلى الطرف الآخر من الحديقة. هل سمعت عن مثل هذا السلوك المجنون من قبل يا جون كارتر؟ من المؤكد أنهما مسحورتان».

استجمعت شجاعتي للعودة إلى النافذة. فأنا أحبها حتى ولو صدتني، ولا يمكنني منع عيني من التمتع بهيئتها ووجهها الجميل. لكنها عندما شاهدتني، استدارت مرة أخرى.

كدت أُجن من تصرفاتها الغريبة، وبدا مذهلًا أيضًا رفض ثوفيا لوالدها. هل يمكن أن أميرتي لا تزال تتشبث بالعقيدة البشعة التي أنقذت العالم منها؟ وهل يمكن أنها نظرت نحوي بتقزز واحتقار؛ لأنني عُدت من وادي دور، أو لأنني دنست معابد وأشخاص الثيرنيين المقدسين؟

ما من شيء آخر يمكن أن أعزو إليه تصرفها الغريب؛ لكن ذلك

يبدو مستحيلًا؛ لأن حب ديجاه ثوريس لجون كارتر كان حبًّا كبيرًا ورائعًا، أكبر بكثير من أي تمييز عنصري، أو عقيدة، أو دين.

وعندما كنت أحدق بأسى في الجزء الخلفي من رأسها الملكي المتكبر، فُتحت بوابة في الطرف الآخر من الحديقة ودخل رجل، ثم دس شيئًا في يد الحارس الأصفر وراء البوابة. لم تكن المسافة بعيدة، فرأيت المال الذي أعطاه له.

عرفتُ على الفور أن هذا الوافد الجديد تمكن من دخول الحديقة عن طريق الرشوة. التفت الرجل ناحية المرأتين؛ ولم يكن سوى ثوريد، داتور الأبناء الأوائل الأسود.

اقترب منهما قبل أن يتحدث. استدارت المرأتان عند سماع صوته، ورأيت ديجاه ثوريس تبتعد عنه.

بدت على وجهها نظرة تقزز عندما اقترب منها وبدأ يتحدث. لم أستطع سماع كلماته، لكن إجاباتها جاءت واضحة.

قالت: «يمكن دائمًا أن تموت حفيدة تاردوس مورس، لكنها لا يمكن أن تعيش أبدًا بالثمن الذي تطلبه».

ثم شاهدت الوغد الأسود يتحنى على ركبتيه بجوارها، متذللًا ومتوسلًا لها. لم أسمع سوى جزء فقط مما قاله. فعلى الرغم من أنه كان يعاني بوضوح من ضغط العاطفة والإثارة، فقد كان واضحًا بالقدر نفسه أنه لا يجرؤ على رفع صوته خوفًا من انكشافه.

سمعته يقول: «سوف أنقذك من ماتاي شانج. فأنتِ تعرفين المصير

الذي ينتظركِ على يديه. ألا تفضلين اختياري بدلًا منه؟».

أجابت ديجاه ثوريس: «لن أختار أيًا منكما، حتى إن كنتُ حرةً في أن أختار. لكني لست حرة، كما تعلم جيدًا».

قال: «أنتِ حرة! فقد مات جون كارتر، أمير هيليوم».

أجابت بسخرية وازدراء: «أعرف أفضل من ذلك. ولكن حتى إذا مات ويجب اختيار رفيق آخر، فسيكون رجل النبات أو القرد الأبيض الكبير أفضل من ماتاي شانج أو منك أيها الكالوت الأسود».

وفجأةً فقد الوحش الخبيث قدرته على التحكم في نفسه؛ إذ قفز وهو يقسم بخسة ناحية المرأة النحيلة، وأمسك رقبتها الرقيقة بمخالبه الغاشمة. صرخت ثوفيا وانطلقت لمساعدة زميلتها السجينة. وفي اللحظة نفسها مسني الجنون، وحطمت القضبان التي امتدت عبر نافذتي، اقتلعتها من تجاويفها كما لو أنها أسلاك نحاسية.

ألقيت نفسي من خلال الفتحة ووصلت إلى الحديقة على بعد مائة قدم من حيث يقف الأسود محاولًا قتل ديجاه ثوريس خنقًا، فانقضضت عليه بقفزة واحدة. لم أنطق بكلمة وأنا أمزق أصابعه الدنسة وأبعدها عن تلك الرقبة الجميلة، ولم أصدر صوتًا وأنا أقذف به لمسافة عشرين قدمًا.

استشاط ثوريد غضبًا وهو يقف على قدميه، وهاجمني كثور مجنون.

صرخ قائلًا: «أيها الرجل الأصفر، أنت لا تعرف على مَن وضعت

يدك الخسيسة. لكنك ستعرف جيدًا مما سأفعله بك، ماذا يعني أن يسيء شخص إلى أحد الأبناء الأوائل».

ثم هاجمني وصولًا إلى رقبتي. ففعلت هنا في حديقة قصر سالينسوس أوول ما فعلته تحديدًا ذلك اليوم في فناء معبد إيسوس. تجنبت ذراعيه الممدودتين، وعندما اندفع نحوي، لكمتُ جانب فكه بقوة بيدي اليُمنى الرائعة.

وحدث له الآن ما حدث تحديدًا في تلك المناسبة الأخرى. دار، وسقطت ركبتاه تحته، وتكوم على الأرض أمام قدمي. ثم سمعت صوتًا خلفي.

كان صوتًا عميقًا ينم عن السلطة، من علامات صوت الحاكم. وعندما استدرت، واجهت هيئة متألقة لرجل أصفر عملاق. ولم أكن في حاجة للسؤال كي أعرف أنه سالينسوس أوول. وقف على يمينه ماتاي شانج، وخلفهما مجموعة من الحرس.

قال صائحًا: «مَن أنت؟ وماذا يعني هذا التسلل داخل حرم النساء في الحديقة؟ لا أذكر وجهك. كيف جئت إلى هنا؟».

لولا كلماته الأخيرة، لكنت نسيتُ تمامًا تنكري، وأبلغته بصراحة أنني جون كارتر أمير هيليوم؛ لكن سؤاله ذكّرني بنفسي. أشرت إلى القضبان المزاحة من النافذة العلوية.

وقلت: «أنا متقدم جديد للانضمام إلى حرس القصر، ومن نافذة غرفة البرج المحتجز فيها انتظار لاختبار اللياقة البدنية النهائي، رأيت

هذا المتوحش يهاجم هذه المرأة. لا يمكنني أن أقف مكتوف الأيدي أيها الجيداك، وأرى هذا يحدث داخل أراضي القصر، ومع ذلك أتصور أنني مناسب لخدمة وحراسة شخصكم الملكي».

تركت بوضوح انطباعًا لدى حاكم أوكار بكلماتي العادلة. وعندما التفت نحو ديجاه ثوريس وثوفيا البتارثية، وأكدت كلتاهما كلامي، تحول مكفهرًا نحو ثوريد.

رأيت لمعة قبيحة في عيني ماتاي شانج الشريرة عندما كانت ديجاه ثوريس تروي ما حدث بينها وبين ثوريد. وعندما وصلت إلى الجزء الذي يتناول تدخلي ضد داتور الأبناء الأوائل كان امتنانها واضحًا، على الرغم من أنني رأيت في عينيها شيئًا يثير حيرتها.

لم أتعجب من موقفها تجاهي أمام الآخرين؛ لكن إنكارها لي عندما كانت مع ثوفيا بمفردهما في الحديقة لا يزال يشعرني بمرارة.

عندما بدأ الاختبار، ألقيت نظرة سريعة على ثوريد، وأذهلني أنه ينظر نحوي بعينين واسعتين وبتعجب، وفجأة انفجر ضاحكًا في وجهي.

تحول سالينسوس أوول بعد لحظة تجاه الأسود.

وسأله بصوت عميق ورهيب: «ماذا تقول تفسيرًا لهذه الاتهامات؟ أتجرؤ أن تطمح في المرأة التي اختارها الأب الثيرني- المرأة التي تصلح حتى أن تكون رفيقة صالحة لجيداك كل الجيداك نفسه؟».

ثم استدار الطاغية أسود اللحية، وألقى نظرة جشع مفاجئة على ديجاه ثوريس، كأنما بعبارته هذه برزت فكرة جديدة ورغبة جديدة

داخل عقله وصدره.

كان ثوريد على وشك الرد وهو يشير بإصبعه نحوي بابتسامة خبيثة على وجهه، عندما ألجمت لسانه كلمات سالينسوس أوول وتعبيرات وجهه.

تسللت نظرة ماكرة إلى عينيه، وعرفت من تعبير وجهه أن كلماته التالية لم تكن تلك التي كان ينوي قولها.

قال: «يا أقوى جيداك، لم يقل الرجل والمرأة الحقيقة. لقد جاء الرجل إلى الحديقة لمساعدتهم على الهرب. كنت في الخلف وسمعت حديثهما، وعندما دخلت، صرخت المرأة وهاجمني الرجل وكاد أن يقتلني».

«ماذا تعرف عن هذا الرجل؟ إنه شخص غريب عنك، وأجرؤ على القول إنك ستجده عدوًا وجاسوسًا. قدمه إلى المحاكمة، سالينسوس أوول، بدلًا من صديقك وضيفك ثوريد، داتور الأبناء الأوائل».

بدت الحيرة على وجه سالينسوس أوول. استدار ناحيتي مرة أخرى، ثم نظر إلى ديجاه ثوريس. بعدها اقترب منه ثوريد وهمس شيئًا في أذنه: «ماذا؟ لا أعرف».

تحول الحاكم الأصفر إلى أحد ضباطه.

وقال له آمرًا: «تأكد من حبس هذا الرجل بشكل آمن إلى أن يتوفر لنا الوقت لفحص هذه القضية بعمق. ونظرًا لأن القضبان وحدها ليست كافية لكبح جماحه، أضف السلاسل».

غادر الحديقة وأخذ معه ديجاه ثوريس، يده على كتفها. غادر أيضًا ثوريد وماتاي شانج، وعند وصولهما البوابة، استدار الأسود وضحك مرة أخرى بصوت عال في وجهي.

ما معنى هذا التغيير المفاجئ تجاهي؟ هل يشك في هويتي الحقيقية؟ أعتقد أن الأمر كذلك، وربما كشفتني الخدعة والضربة التي أسقطته أرضًا للمرة الثانية.

امتلأ قلبي بالحزن والمرارة والحراس يقتادونني بعيدًا؛ فقد أُضيف الآن إلى الخصمين القساة، اللذين يطاردونها منذ فترة طويلة، خصم آخر أقوى. فأنا لست مغفلًا كي لا ألاحظ الحب المفاجئ الذي وُلد تجاه ديجاه ثوريس في قلب الوحش الرهيب سالينسوس أوول، جيداك كل الجيداك، حاكم أوكار.



(١١)

حفرة الوفرة الخادعة

لم أمكث طويلًا داخل سجن سالينسوس أوول. خلال الوقت القصير الذي أمضيته هناك، مكبلًا بسلاسل من الذهب، كثيرًا ما تساءلت عن مصير ثوفان ديهن جيداك بتارث.

لقد تبعني رفيقي الشجاع إلى الحديقة عندما هاجمت ثوريد. وعندما غادر سالينسوس أوول الحديقة ومعه ديجاه ثوريس والآخرون، تاركًا ثوفيا البتارثية، بقي ثوفان ديهن أيضًا في الحديقة مع ابنته دون أن يلاحظه أحد؛ لأن رداءه كان يماثل رداء الحراس.

المرة الأخيرة التي رأيته فيها، عندما كان يقف في انتظار المحاربين الذين اصطحبوني لإغلاق البوابة وراءهم؛ ربما انفرد مع ثوفيا. هل تمكنا من الهرب؟ أشك في ذلك، وإن كنت أتمنى من كل قلبي أن يكون ذلك صحيحًا.

جلب اليوم الثالث من حبسي عشرات المحاربين لمرافقتي إلى القاعة العامة، ليحاكمني سالينسوس أوول نفسه. ازدحمت القاعة بعدد كبير من النبلاء، من بينهم رأيت ثوريد، لكن ماتاي شانج لم يكن هناك.

جلست ديجاه ثوريس، تشع جمالًا كعادتها، على عرش صغير بجوار سالينسوس أوول. مزق تعبير اليأس الحزين على وجهها العزيز أعماق قلبي.

كان موقعها إلى جانب جيداك كل الجيداك نذير سوء لها ولي. وفي اللحظة التي رأيتها هناك، رسخ في ذهني عزمي الأكيد على ألّا أغادر هذه القاعة حيًّا وأتركها في براثن هذا الطاغية الجبار.

لقد قتلت رجالًا أفضل من سالينسوس أوول، قتلتهم بيدي العاريتين، وأقسم الآن أمام نفسي أنني سأقتله إذا وجدت أنها الطريقة الوحيدة لإنقاذ أميرة هيليوم. ولا يهمني إذا كان ذلك يعني موتي الفوري، إلا أنه سيمنعني من بذل مزيد من الجهد من أجل ديجاه ثوريس؛ ولهذا السبب وحده اخترت طريقة أخرى. فحتى إذا قتلت سالينسوس أوول، لن يُعيد قتله زوجتي الحبيبة إلى شعبها. عقدت العزم على انتظار النتيجة النهائية للمحاكمة، بحيث أعرف كل ما يمكنني عن نوايا حاكم أوكار، ثم أتصرف تبعًا لذلك.

ما إن وقفت أمام سالينسوس أوول، حتى وجدته يستدعي ثوريد أيضًا.

قال: «داتور ثوريد، قدمتَ طلبًا غريبًا. لكني قررت الموافقة، بناء على رغبتك ووعدك أنه لمصلحتي. قلت لي إن إعلانًا معينًا سيكون

وسيلة إدانة هذا السجين، ويفتح الطريق في الوقت نفسه إلى تحقيق أمنيتي العزيزة».

أومأ ثوريد.

واصل سالينسوس أوول: «إذنْ سأصدر الإعلان هنا أمام جميع النبلاء. لم تجلس ملكة بجانبي على العرش منذ سنة، ويناسبني الآن أن أتزوج المرأة التي يسبقها صيتها بأنها أجمل امرأة على برسوم. وهو إعلان لا يمكن بصدق أن يرفضه أحد.

«يا نبلاء أوكار، أشهروا سيوفكم وقدموا تحيتكم إلى ديجاه ثوريس، أميرة هيليوم وملكة أوكار مستقبلًا؛ التي ستصبح في نهاية الأيام العشرة المخصصة زوجة سالينسوس أوول».

رفع النبلاء سيوفهم عاليًا، وفقًا للعرف القديم في أوكار عندما يعلن الجيداك عن نيته في الزواج. وعندئذ وقفت ديجاه ثوريس ورفعت يدها عاليًا، وطلبت منهم بصوت عال أن يتوقفوا.

قالت: «لا يمكنني الزواج من سالينسوس أوول؛ لأنني بالفعل زوجة وأم. لا يزال جون كارتر أمير هيليوم حيًّا. أعرف أنه لا يزال حيًّا؛ لأنني سمعت ماتاي شانج يقول لابنته فايدور أنه رأى جون كارتر في كاور في بلاط الجيداك كولان تيث. لا يتزوج الجيداك امرأة متزوجة، وسالينسوس أوول لن ينتهك روابط الزواج».

تحول سالينسوس أوول نحو ثوريد بنظرة قبيحة.

وقال صائحًا: «هل هذه هي المفاجأة التي أعددتَها لي؟ لقد أكدت

لي عدم وجود أي عقبة يصعب التغلب عليها بيني وبين هذه المرأة، والآن أجد عقبة لا تُقهر. ما معنى هذا يا رجل؟ ماذا لديك لتقوله؟».

أجاب ثوريد: «وإذا سلمتكَ جون كارتر يا سالينسوس أوول، ألن تشعر أنني أوفيت تمامًا بأكثر من وعدي لك؟».

قال الجيداك غاضبًا: «لا تتحدث كأحمق. فلستُ طفلًا لتتلاعب معي هكذا».

أجاب ثوريد: «أنا أتحدث كرجل يعرف أن بإمكانه الوفاء بما يزعمه».

صاح جيداك كل الجيداك بوجه قبيح: «أمامك إذنْ عشرة أيام تسلمني خلالها جون كارتر، أو ستعاني أنت نفسك في نهايتها من العقاب الذي سأحكم به عليه إذا كان في قبضتي!».

أجاب ثوريد: «لن تحتاج إلى الانتظار عشرة أيام يا سالينسوس أوول»؛ ثم استدار فجأة وهو يمد إصبعه نحوي قائلًا: «هناك يقف جون كارتر أمير هيليوم!».

صرخ سالينسوس أوول: «أحمق! هذا كذب! جون كارتر رجل أبيض، وهذا الزميل أصفر مثلي. ووجه جون كارتر أملس، كما وصفه لي ماتاي شانج. لهذا السجين لحية وشارب بنفس الحجم الكبير واللون الأسود كأي شخص في أوكار. أسرعوا يا حراس إلى الحُفر، ومعكم هذا المهووس الأسود الذي يرغب في القضاء على حياته من أجل مزحة سخيفة على حاكمكم!».

صاح ثوريد: «انتظروا!»، وهو يندفع نحوي. وقبل أن أخمن نيته، أمسك لحيتي وأزال مظاهر التنكر من وجهي ورأسي، وكشف عن بشرتي الملساء المصبوغة وشعري الأسود المقصوص قصيرًا».

ساد الهرج على الفور في قاعة سالينسوس أوول العامة. اندفع المحاربون نحوي بسيوفهم متصورين أنني أفكر في اغتيال جيداك كل الجيداك؛ بينما تزاحم آخرون وراءهم بدافع الفضول لرؤية مَن اشتهر اسمه من القطب إلى القطب.

عند الكشف عن هويتي، رأيت ديجاه ثوريس تقفز على قدميها، وترتسم دهشة كبيرة على وجهها، ثم شقت طريقها خلال ذلك الحشد من الرجال المسلحين قبل أن يتمكن أحد من منعها. وفي لحظة أصبحت أمامي، ذراعاها ممدودين، وعيناها تشعان بضوء حبها الكبير.

صاحت: «جون كارتر! جون كارتر!»، وأنا أضمها إلى صدري. وفجأةً أدركت لماذا أنكرتني في الحديقة تحت البرج.

يا لي من أحمق! كيف توقعت أنها ستخترق تنكري الرائع الذي صنعه حلاق ماريتينا! فهي ببساطة لم تعرفني؛ وعندما رأت علامة الحب من شخص غريب، انزعجت واعتبرتها إهانة. طبعًا، يا لي من أحمق!

قالت: «كنت أنت من حدثني من البرج! كيف يمكنني أن أحلم بأن حبيبي الفيرجيني يختفي وراء تلك اللحية الشرسة والبشرة الصفراء؟».

كانت معتادة أن تدعوني الفيرجيني تعبيرًا عن حبها؛ لأنها تعرف

أنني أحب سماع هذا الاسم الجميل، ويصبح أكثر جمالًا وجلالًا ألف مرة عندما يخرج من شفتيها العزيزتين. وعندما سمعته مرة أخرى بعد كل تلك سنوات، أغرورقت عيناي بالدموع واختنق صوتي بالعاطفة.

لم أضم حبيبتي سوى لحظات، قبل أن يتجه سالينسوس أوول نحونا وهو يرتجف من الغضب والغيرة.

قال لمحاربية: «أمسكوا بهذا الرجل»، وعندئذ فرقت بيننا مائة يد لا ترحم.

كان نزع سلاح جون كارتر مهمًّا بالنسبة لنبلاء محكمة أوكار. فقد شعر عشرات منهم بقوة لكماتي المـُحكمة وأنا أقاتل لشق طريقي لنصف درجات العرش، حيث أخذ سالينسوس أوول ديجاه ثوريس، قبل أن يتمكن أحد من منعتي.

ثم نزلت للقتال. كانوا حوالي خمسين محاربًا. وقبل أن أتلقى ضربة أفقدتني الوعي، سمعت من شفاه ديجاه ثوريس ما جعل كل معاناتي ذات قيمة.

كانت تقف بجانب الطاغية الكبير، الذي أمسكها من ذراعها، وأشارت إلى حيث أواجه منفردًا هذه الصعاب الفظيعة.

وقالت: «أتعتقد يا سالينسوس أوول أن زوجة رجل مثله يمكن أن تشوه ذكراه إن مات ألف مرة، بأن تتزوج من شخص أقل منه؟ هل يعيش على أي عالم شخص آخر مثل جون كارتر أمير هيليوم؟ هل يعيش رجل آخر يمكنه القتال عبر الطريق ذهابًا وإيابًا على كوكب محب للحرب،

ويواجه الحيوانات المتوحشة وجحافل الرجال الوحشيين، من أجل حب امرأة؟. أنا ديجاه ثوريس، أميرة هيليوم، أنا له. لقد قاتل من أجلي، وفاز بي. إذا كنت رجلًا شجاعًا، عليك أن تحترم شجاعته وألَّا تقتله. اجعله عبدًا لك إن أردتَ يا سالينسوس أوول، ولكن لا تقتله. أنا أُفضل أن أكون أَمَةً وليس ملكة أوكار».

أجاب جيداك كل الجيداك: «لا يُملي العبيد أو الملكة على سالينسوس أول ما يفعل. سيموت جون كارتر ميتة طبيعية في حفرة الوفرة الخادعة، ويوم أن يموت ستصبح ديجاه ثوريس الملكة».

لم أسمع ردها، حيث عندئذ تعرضت لضربة على رأسي أفقدتني الوعي. وعندما استعدتُ حواسي، لم أجد معي في القاعة العامة سوى بعض الحراس. فتحت عيني، فدفعوني برؤوس سيوفهم لأنهض.

اقتادوني عبر ممرات طويلة إلى فناء بعيد في اتجاه مركز القصر.

توجد في وسط الفناء حفرة عميقة، وقف بالقرب من حافتها نصف دزينة من حراس آخرين في انتظاري. حمل أحدهم في يديه حبلًا طويلًا، بدأ في إعداده مع اقترابنا.

على بعد حوالي خمسين قدمًا من هؤلاء الرجال، شعرت بوخز مفاجئ غريب وسريع في أحد أصابعي.

تحيرت للحظة من هذا الشعور الغريب، ثم تذكرت ما كنتُ نسيته تمامًا تحت ضغط مغامرتي؛ الخاتم، هدية الأمير تالو من ماريتينا.

نظرت على الفور في اتجاه المجموعة التي كانت تقترب، وفي

الوقت نفسه رفعت يدي اليسرى على جبهتي ليصبح الخاتم مرئيًا لِمَن يريد. وفي الوقت نفسه، رفع أحد المحاربين المنتظرين يده اليسرى، كأنما يمشط بها شَعره، ورأيت نسخة الخاتم الأخرى في أحد أصابعه.

تبادلنا نظرة فهم ذكية سريعة، بعدها أبقيتُ عيني بعيدًا عن المحارب، ولم أنظر إليه مرة أخرى، خشية إثارة شكوك الأوكاريين. وصلنا إلى حافة الحفرة ووجدتها عميقة جدًّا. أدركت أن مهمتي الآن هي تحديد مدى عمقها تحت سطح الفناء؛ فمَن أمسك بالحبل لفه حول جسدي بطريقة تتيح فكه من أعلى في أي وقت. وبعد ذلك، أمسك جميع المحاربين الحبل، ودفعني الزميل إلى الأمام، فسقطتُ في الهاوية السحيقة.

بعد الهزة الأولى التي شعرت بها عند وصولي نهاية الحبل، حيث جعلوني أسقط أسفل حافة الحفرة، بدؤوا في خفضي بسرعة ولكن بسلاسة. قبل دفعي للسقوط بلحظة، بينما انهمك رجلان أو ثلاثة في المساعدة على تثبيت وضع الحبل حولي، وضع أحدهم فمه بالقرب من خدي، وفي لحظة وجيزة قبل إلقائي إلى الحفرة المحرمة، تفوه بكلمة واحدة في أذني:

«تشجع!».

اتضح أن عمق الحفرة، التي تصورتها بلا قاع، لا يزيد عن مائة قدم. ولكن نظرًا لأن جدرانها مصقولة بشكل أملس، فلربما كان يصل عمقها إلى ألف قدم. لا أمل لي في الهروب دون مساعدة خارجية.

ظل المكان مظلمًا ليوم واحد، وفجأة أنار ضوء ساطع زنزانتي

الغريبة. كنت أشعر عندئذٍ بجوع وعطش شديدين، فلم أذق الطعام أو الشراب قبل يوم من حبسي.

ولدهشتي وجدت على جانبي الحفرة، التي تصورتها ملساء، عدة أرفف تضم أفضل الأطعمة والمرطبات في أوكار.

تقدمت مبتهجًا لأتناول بعض الطعام الترحيبي، لكن الضوء انطفأ قبل أن أصل إلى تلك الأرفف. وعلى الرغم من أنني تحسست طريقي في الغرفة، لم تلمس يدي أي شيء غير ذلك الجدار الأملس المصقول الذي شعرت به عندما فحصت زنزانتي بداية.

وعلى الفور بدأت آلام الجوع والعطش تهاجمني. كانت رغبتي في الطعام والشراب معتدلة، لكنني أعاني الآن بالفعل من الجوع والعطش بسبب ذلك المشهد الـمُحير لوجود الطعام في متناول يدي تقريبًا.

ساد الظلام والصمت مرة أخرى، صمت لم تكسره إلا ضحكة استهزاء واحدة.

ليوم آخر لم يحدث أي شيء لكسر رتابة السجن أو تخفيف معاناة الجوع والعطش. وببطء أصبحت الآلام أقل حِدةً، حيث قتلت المعاناة نشاط أعصاب معينة. وفجأة سطع الضوء مرة أخرى، وظهرت أمامي مجموعة من الأطباق الجديدة الـمُغرية، مع زجاجات كبيرة من المياه النقية وأباريق من النبيذ المنعش، تجمعت على سطحها الخارجي نقاط التكثيف الباردة.

انطلقت مرةً أخرى، بجنون جوع وحش بري، لتناول تلك الأطباق

الـمُغرية. وكما حدث من قبل، انطفأ الضوء ووجدتني أقف أمام الجدار الصلب.

رنت ضحكة الاستهزاء ثانية.

حفرة الوفرة الخادعة!

آه، أي عقلية قاسية تلك التي ابتكرت هذا التعذيب الجهنمي الشيطاني! تكرر الأمر يومًا بعد يوم، حتى أصبحت على وشك الجنون. عندئذ، وكما فعلت في حُفر وارهون، سيطرت ثانية على ذهني وأجبرته على العودة إلى مساراته المتعقلة.

استعدت بقوة الإرادة السيطرة على عقلي المترنح، وحققت نجاحًا كبيرًا. فعندما سطع الضوء ثانية، جلست ساكنًا تمامًا وأنا أنظر بلا مبالاة إلى الطعام الطازج الـمُغري الذي كان تقريبًا في متناول يدي. كنت سعيدًا لأنني قمت بذلك؛ لأنه أعطاني فرصة لحل لغز تلك الولائم المتلاشية.

نظرًا لبقائي ساكنًا دون محاولة التحرك للوصول إلى الطعام، لم يُطفئ الجلادون الضوء على أمل أن أتخلى عن موقفي وأمنحهم لذة التشويق والمتعة التي شعروا بها في جهودي العقيمة السابقة للحصول على الطعام.

جلست أدقق في الرفوف المحمولة، وأدركت كيفية حدوث ذلك. تعجبت من عدم تخمين السبب سابقًا، فالأمر شديد البساطة. كان جدار السجن من أنقى أنواع الزجاج، وخلفه توجد الأطعمة التي أثارت حيرتي.

انطفأ الضوء بعد ما يقرب من ساعة، ولكن هذه المرة دون ضحكة الاستهزاء، على الأقل ليس من جانب الجلادين؛ ولكن ضحكتي، لإبراء ذمتي، كانت منخفضةً حتى لا يتصوروا يالخطأ أنها هذيان مجنون.

مرت تسعة أيام، شعرت خلالها بالضعف نتيجة الجوع والعطش، لكن معاناتي السابقة انتهت. ثم وقعتْ من أعلى، خلال الظلام، ربطة صغيرة على الأرض بجانبي.

تلمست الأرض بلا مبالاة للعثور عليها، متصورًا أنها ليست سوى ابتكار جديد من السجانة ليزيدوا معاناتي.

عثرتُ عليها أخيرًا. وجدتها حزمة صغيرة ملفوفة في ورقة في نهاية حبل متين ونحيل. فتحتها، فسقطت منها عدة حبوب قليلة على الأرض. جمعتهم، وتحسستهم، وتشممتهم؛ فاكتشفت أنهم حبوب أغذية مُركزة، وهي شائعة في أنحاء برسوم كافة.

إنها سموم! هكذا تصورت.

حسنًا، ولمَ لا؟ لماذا لا أضع نهاية لهذا البؤس الآن، بدلًا من الاستمرار بضعة أيام بائسة أخرى في هذه الحفرة المظلمة؟ وببطء، وضعتُ إحدى الحبوب على شفتي.

قلت: «وداعًا، ديجاه ثوريس! لقد عشت من أجلك وحاربت من أجلك، ورغبتي العزيزة التالية التي أتمنى أن تتحقق هي أن أموت من أجلك»، ووضعت الحبة في فمي والتهمتها.

أكلتُ الحبوب كلها، واحدة تلو الأخرى. لم أتذوق من قبل شيئًا

أفضل من تلك حبوب التغذية الصغيرة هذه، التي أعرف أن بذور الموت تكمن فيها، وربما موت بشع ومُعذِب.

جلست بهدوء على أرضية سجني في انتظار النهاية. لمستْ أصابعي مصادفة قطعة الورق التي كانت تُغلف الحبوب، فأخذت ألعب بها دون اكتراث وذهني يتجول في الماضي البعيد: فكرتُ أنني أعيش ثانية، لبضع لحظات قصيرة قبل موتي، بعض اللحظات السعيدة الكثيرة من حياتي الطويلة السعيدة. وخلال لمسي للورقة وشرود ذهني، أدركت وجود نتوءات غريبة على السطح الأملس للورقة الشبيهة بالمخطوط في يدي.

لم تحمل هذه النتوءات -لفترة- أي دلالة خاصة في رأيي، كنت فقط متعجبًا من وجودها. لكنها أخيرًا بدأت تتخذ شكلًا، وأدركت بعد ذلك أنها تصطف في سطر واحد مثل الكتابة.

زاد اهتمامي، وبدأت أتتبعها مرات ومرات بأصابعي. كانت هناك أربع مجموعات منفصلة ومتميزة من الخطوط المرفوعة. هل هي أربع كلمات تحمل رسالة لي؟

كلما فكرتُ في الأمر، زاد تحمسي إلى حد أن أصابعي أصبحت تتحرك بجنون ذهابًا وإيابًا عبر تلك التلال والوديان المثيرة للحيرة على تلك القطعة الورقية الصغيرة.

لم أستطع أن أتوصل إلى أي شيء، وأخيرًا قررتُ أن استعجالي الشديد يحول دون حل اللغز. عاودتُ المحاولة ببطءٍ أكبر. تتبعت بسبابتي تكرارًا ومرارًا تلك المجموعات الأربع.

يصعب شرح الكتابة المريخية لرجل كوكب الأرض؛ فهي شيء يجمع بين الاختزال والكتابة بالصورة، وهي لغة مختلفة تمامًا عن لغة المريخ المنطوقة.

لا يوجد في برسوم سوى لغة واحدة شفاهية.

وهذه اللغة تتحدث بها اليوم جميع الأعراق والأمم، كما كان الحال تمامًا في بداية الحياة البشرية على برسوم. وقد تطورت مع تطور التعلُّم والإنجازات العلمية على الكوكب. وكان تطورها مبتكرًا بحيث شكلت الكلمات الجديدة نفسها، للتعبير عن أفكار جديدة، أو وصف ظروف أو اكتشافات جديدة؛ فلا توجد كلمة أخرى يمكنها تفسير الشيء الذي يتطلب كلمة جديدة سوى الكلمة التي تعبر عنه أصلًا، وبالتالي مهما كان بُعد المسافة والانعزال بين أمتين أو عِرقين، تتطابق لغتهما المنطوقة.

على أن الأمر يختلف في لغاتهم المكتوبة. لا توجد أمتان لديهما نفس اللغة المكتوبة، بل تختلف غالبًا أيضًا اللغة المكتوبة في مدن الأمة نفسها اختلافًا كبيرًا عن اللغة المكتوبة في الأمة التي ينتمون إليها.

ولذلك أثارت العلامات على الورقة حيرتي، إن كانت كلمات بالفعل. وأخيرًا تمكنت من معرفة الكلمة الأولى.

كانت: «تشجع»، وقد كُتبت بحروف مارينتينا.

تشجع!

إنها الكلمة التي همس بها الحارس الأصفر في أُذني وأنا أقف عند حافة حفرة الوفرة.

إذنْ فالرسالة منه، وكنت أعرف أنه صديق.

بأمل متجدد، استجمعت كل طاقتي لفك شفرة باقي الرسالة، وأخيرًا نجحت محاولاتي، وقرأت الأربع كلمات:

«تشجع! عليك تتبُّع الحبل».



(١٢)

«عليك تتبُّع الحبل»

ما معنى هذا!

"عليك تتبُّع الحبل". أي حبل؟

تذكرت الحبل المرفق بالرزمة عندما سقطت بجانبي، فتحسست حولي قليلًا حتى وجدته. كان مرفقًا من أعلى، وعندما سحبته اكتشفت أنه مُثبت بقوة، ربما في فتحة الحفرة.

اختبرته ووجدت أن الحبل -وإن كان نحيلًا- يتميز بقدرة كبيرة على تحمل أوزان عدد من الرجال. وها هو اكتشاف آخر؛ إذ وجدت رسالة ثانية معقودة في الحبل على ارتفاع يصل إلى رأسي تقريبًا. تمكنتُ من فك شفرتها بسهولة أكبر، حيث أصبحت أعرف مفتاح الشفرة.

"أحضر الحبل معك. يكمن الخطر بعد العُقد".

هذا كل ما كان في الرسالة. ومن الواضح أنها مكتوبة على عجل، كاستدراك.

لم يطل انتظاري بعد معرفة محتويات الرسالة الثانية. وعلى الرغم من أنني لم أكن متأكدًا من معنى التحذير النهائي -"يكمن الخطر بعد العُقد"- فقد كنت على يقين أن أمامي الآن فرصة للهروب، وأنني كلما أسرعت في اقتناص هذه الفرصة، زادت احتمالات فوزي بالحرية.

على الأقل، لن يكون وضعي أسوأ من حالي في حفرة الوفرة الخادعة.

وقد عرفتُ، قبل أن أخرج من تلك الحفرة اللعينة، أن وضعي سوف يسوء كثيرًا إذا اضطرت إلى البقاء فيها دقيقتين أخريين.

فقد استغرق صعودي لحوالي خمسين قدمًا فوق قاع الحفرة دقيقتين، عندما جذبت انتباهي ضوضاء علوية. تكدرت وأنا أرى غطاء الحفرة يُفتح، كما رأيت في ضوء الفناء عددًا من المحاربين الصُّفر.

هل أجتهد في شق طريقي لأصل إلى فخ جديد؟ وقبل كل شيء، هل كانت الرسائل زائفةً؟ هبطت آمالي وشجاعتي كثيرًا، وعندئذٍ رأيت شيئين.

رأيت مخلوق الأبت الضخم يصارع ويزمجر، حيث يجري إنزاله من جانب الحفرة نحوي؛ ورأيت أيضًا فتحةً في جانب الحفرة، حجمها أكبر من حجم جسم الرجل، والحبل يؤدي إليها.

اندفعت نحو الفتحة المظلمة، ومر مخلوق الأبت أمامي وهو يمد يديه الجبارتين، ويزوم ويهدر ويزأر على نحو مرعب.

رأيت الآن بوضوح النهاية التي أعدَّها لي سالينسوس أورول. يبدأ

التعذيب بتجويعي، ثم بإنزال هذا الوحش الشرس إلى سجني لإنهاء العمل الذي تصورته مخيلة الجيداك الشيطانية.

ثم ومضتْ حقيقة أُخرى في ذهني: لقد عشتُ تسعة أيام من الأيام العشرة المحددة التي يجب أن تمر قبل أن يتمكن سالينسوس أوول من الإعلان عن أن ديجاه ثوريس أصبحت الملكة. وكان الهدف من إنزال مخلوق الأبت هو ضمان موتي قبل اليوم العاشر.

ضحكت بصوت عال عندما فكرت كيف سيساعدني إجراء الأمان الذي اتبعه سالينسوس أوول في التغلب على الهدف الذي يسعى إليه؛ فعندما يكتشفون وجود مخلوق الأبت وحيدًا في حفرة الوفرة الخادعة، سيتصورون أنه التهمني تمامًا، وبالتالي لا توجد شبهة هرب تجعلهم يبحثون عني.

قمت بلف الحبل الذي يقودني حتى الآن في رحلتي غريبة، سعيًا لطرفه الآخر، ولكني وجدته يمتد أمامي كلما اتبعته. إذنْ هذا هو المقصود من عبارة: "عليك تتبُع الحبل".

وكان النفق الذي أزحف من خلاله منخفضًا ومظلمًا. تتبعت الحبل لعدة مئات من الأمتار، ثم شعرت بعقدة تحت أصابعي. "يكمن الخطر بعد العُقد".

اتخذتُ أقصى قدر من الحذر، وبعد لحظة أوصلني منحنى حاد في النفق إلى فتحه في غرفة كبيرة وساطعة الإضاءة.

كان النفق الذي أعبره يتجه إلى أعلى قليلًا، ومن هذا تصورت أن

الغرفة التي وجدت نفسي فيها الآن يجب أن تقع إما في الطابق الأول من القصر أو أسفل الطابق الأول مباشرةً.

رأيتُ على الجدار المقابل العديد من الأدوات والأجهزة الغريبة، وفي وسط الغرفة توجد مائدة طويلة، حيث يجلس رجلان في محادثة جادة.

كان في مواجهتي رجلٌ أصفر كهل، صغير الحجم، وجهه ذابل وشاحب، عيناه كبيرتان تُظهران الاستدارة البيضاء لمجمل محيط القزحية.

وكان رفيقه رجلًا أسود، ولم أكن في حاجة إلى رؤية وجهه لأعرف أنه ثوريد؛ إذا لا يوجد أي شخص آخر من الأبناء الأوائل غيره في شمال الحاجز الجليدي.

كان ثوريد يتحدث عندما تناهت إلى سمعي أصوات الرجلين.

قال: "سولان، لا يوجد أي خطر، والمكافأة كبيرة. تعرف أنك تكره سالينسوس أوول، ولن يسعدك أي شيء أكثر من أن تحبط خطة عزيزة عليه. وليس أعز عليه اليوم أكثر من فكرة زفاف أميرة هيليوم الجميلة؛ لكني أريدها أيضًا، يمكنني الفوز بها بمساعدتك. لا تحتاج أكثر من الخروج من هذه الغرفة لمجرد لحظة عندما أعطيك الإشارة، وسأتولى الباقي. وعندما أغادر، يمكنك أن تأتي وتُعيد مفتاح التشغيل الكبير إلى مكانه مرة أخرى، ويعود كل شيء كما كان. أنا بحاجة إلى ساعة للبداية، حتى أكون آمنًا خارج القوة الشيطانية التي تتحكم فيها في هذه الغرفة الخفية تحت قصر سيدك. انظر مدى السهولة". ومع هذه

الكلمات، نهض الداتور الأسود من مقعده، وسار عبر الغرفة، ثم وضع يده على رافعة كبيرة مصقولة تبرز من الجدار المقابل.

صرخ الكهل وهو يقفز خلفه قائلًا: " كلا! كلا! ليس هذا! ليس هذا! فهذا يتحكم في خزانات أشعة الشمس، وإذا سحبته لمسافة كبيرة لأسفل، ستؤدي الحرارة إلى فناء كادابرا كلها قبل أن أتمكن من إعادة الرافعة. ابتعد! ابتعد! أنت لا تعرف مع أي قوى جبارة تتعامل. هذه هي الرافعة التي تسعى إليها. لاحظ جيدًا الرمز الـمُطعم باللون الأبيض على سطحها الأسود".

اقترب ثوريد وفحص مقبض الرافعة.

وقال: "آه، مغناطيس. سوف أتذكر". ثم واصل: "سآخذه بعد انتهاء الأمر".

تردد الرجل العجوز. امتدت نظرة مختلطة بين الجشع والخوف على ملامحه التي لا تتسم بالجمال.

وقال: "ضاعِف الرقم. فالمبلغ الذي تعرضه ضئيل جدًّا مقابل الخدمة التي تطلبها. لماذا أخاطر بحياتي حتى باستضافتك هنا داخل حدود محطتي المحظورة. إذا عرف سالينسوس أوول ذلك، سيلقي بي إلى مخلوقات الأبت قبل أن ينتهي اليوم".

عارضه الأسود قائلًا: "إنه لا يجرؤ على ذلك، وأنت تعرف هذا جيدًا يا سولان. فأنت تتحكم في قوة كبيرة جدًّا من الحياة والموت على شعب كادابرا، ولذا لن يخاطر سالينسوس أوول أبدًا أن يهددك

بالموت. فقبل أن يتمكن أتباعه من وضع أيديهم عليك، بمقدورك أن تمسك هذه الرافعة التي حذرتني منها وتقضي على المدينة بأكملها".

أجاب سولان مرتعشًا: "وأنا مع الصفقة".

فقال ثوريد: "لكنك إذا كنت ستموت على أي حال، فسوف تجد الجرأة للقيام بذلك".

تمتم سولان: "نعم، فكرتُ كثيرًا في نفس هذا الموضوع. حسنًا، هل تستحق أميرتك الحمراء السعر الذي أطلبه نظير خدماتي، أم ستغادر من دونها وأنت تراها في أحضان سالينسوس أوول ليلة الغد؟".

أجاب ثوريد وهو يُقسم: "خُذ السعر الذي تريده أيها الرجل الأصفر. نصفه الآن والنصف الباقي بعد الوفاء بالاتفاق".

ألقى الداتور حقيبة مكتظة بالمال على المائدة.

فتح سولان الحقيبة، وأخذ يعد النقود بأصابع مرتعشة. كسا الجشع عينيه الغريبتين، وارتعشت لحيته وشاربه مع عضلات فمه وذقنه. فمن الواضح تمامًا من سلوكه أن ثوريد نجح في تخمين نقطة ضعف الرجل؛ إذ حتى حركة تشبث أصابعه الشبيهة بالمخالب كانت تدل على جشع البخيل.

أعاد سولان المال إلى الحقيبة بعد أن تأكد من أن المبلغ صحيح، ثم نهض من المائدة.

وقال: "والآن، هل أنت متأكد من أنك تعرف الطريق إلى وجهتك؟ يجب أن تغادر بسرعة لتقطع المسافة إلى الكهف، ومن هناك تتخطى

القوة العظمى. كل ذلك خلال ساعة قصيرة، فلا أجرؤ على حمايتك أكثر من ذلك".

قال ثوريد: "دعني أكرر كلامك، لتتأكد من أنني حفظته".

أجاب سولان: "هيا".

بدأ ثوريد، وهو يشير إلى باب في أقصى نهاية الشقة: "أخرج من هذا الباب البعيد، وأتبع مسار ممر، وأترك ثلاثة ممرات متشعبة على يميني؛ ثم أدخل إلى الممر الأيمن الرابع، وإلى الأمام إلى حيث تجتمع ثلاثة ممرات. وهنا، مرة أخرى، أتبع الممر الأيمن وأسير بجوار الجدار الأيسر لتجنب الحفرة. أصل، في نهاية هذا الممر، إلى مدرج حلزوني، يجب أن أتخذه لأسفل وليس إلى أعلى. وبعد ذلك، يمتد الطريق على طول ممر واحد بلا تشعبات. هل أنا محق؟".

أجاب سولان: "تمامًا يا داتور، والآن انصرف. لقد أمضيت بالفعل وقتًا طويلًا في هذا المكان المحظور".

قال ثوريد وهو ينهض لينصرف: "توقع الإشارة إذن الليلة أو غدًا".

كرر سولان: "الليلة أو غدًا"، وأغلق الباب خلف ضيفه. واصل الكهل تمتمته وهو يعود ثانية إلى المائدة، ويبدأ في تفريغ محتويات حقيبة المال مرة أخرى وهو يفرك أصابعه خلال كومة المعدن اللامع، ثم أخذ يرتب القطع النقدية في أبراج صغيرة، ويعدها، ويفرزها، ويداعب الثروة وهو يتمتم بدندنة خفيضة.

توقفت أصابعه الآن عن اللعب، وبرزت عيناه باتساع كبير وهو

يثبتهما على الباب الذي اختفى ثوريد من خلاله. تحولت الدندنة إلى برطمة، وأخيرًا إلى هدير قبيح.

ثم نهض الرجل الكهل مبتعدًا عن المائدة، وأخذ يهز قبضته على الباب المغلق. رفع صوته الآن، وجاءت كلماته واضحة.

قال: "أحمق! أتعتقد أن سولان يمكن أن يتخلى عن حياته من أجل سعادتك؟ إذا هربت، سيعرف سالينسوس أوول أنك لم تكن لتنجح في الهرب إلا من خلال التواطؤ معي، وبالتالي سيرسل لي. ماذا تريدني أن أفعل؟ أن أحول نفسي والمدينة إلى رماد؟ كلا يا أحمق، هناك طريقة أفضل؛ طريقة أفضل يستطيع بها سولان الاحتفاظ بأموالك والانتقام في الوقت نفسه من ساليتسوس أوول".

أطلق ضحكات كريهة بنبرة قبيحة.

"أيها الأحمق المسكين! يمكنك تحريك مفتاح التشغيل الكبير الذي سيعطيك الحرية لتطير في هواء أوكار، ثم تمضي في حماية يلهاء مع أميرتك الحمراء إلى حرية الإعدام. فعندما تخرج من هذه الغرفة إلى رحلتك، ماذا سيمنع سولان من إعادة مفتاح التشغيل إلى مكانه قبل أن تلمسه يدك الخسيسة؟ لا شيء؛ وعندئذ سيقتلك حارس الشمال أنت وامرأتك، وعندما يرى سالينسوس أوول جثتيكما، لن يتصور أبدًا أن سولان له أي علاقة بالموضوع".

انخفض صوته مرة أخرى إلى تمتمات لم أتمكن من ترجمتها. على أنني سمعت ما يكفي لتخمين قدر أكبر، وشكرت العناية الإلهية التي قادتني إلى هذه الغرفة في وقت مهم كهذا بالنسبة لي ولديجاه ثوريس.

والآن، كيف يمكنني المرور مع تجنب الرجل الكهل؟! فالحبل، الذي يكاد أن يكون غير مرئي على الأرض، يمتد مباشرة عبر الشقة إلى باب على الجانب الآخر.

لا أعرف طريقًا آخر، ولا يمكنني تجاهل نصيحة "عليك تتبُّع الحبل". يجب أن أعبر هذه الغرفة، ولكن دون أن يكتشفني هذا الرجل الكهل الذي وجوده في وسطها يحيرني.

بمقدوري بالطبع أن أهجم عليه وأسكته إلى الأبد بيدي العاريتين، لكني سمعت ما يكفي لإقناعي أن وجوده حيًا ولديه كل المعلومات التي عرفتها قد يخدمني في وقت ما مستقبلًا؛ بينما إذا قتلته وحل رجل آخر محله، لن يأتي ثوريد هنا مع ديجاه ثوريس كما أفصح بوضوح عن عزمه.

وقفت في الظلال القاتمة في نهاية النفق، أفكر في خطة مناسبة. وخلال مراقبتي -كالقطط- كل حركة للرجل الكهل، وجدته يتناول حقيبة المال ويسير إلى أحد أطراف الشقة، ثم ينحني على ركبتيه ويلمس لوحًا في الجدار.

خمنت على الفور أنه يُخبئ نقوده هنا. كان منحنيًا وظهره نحوي، فتسللت إلى الغرفة على أطراف أصابعي، في محاولة للوصول إلى جانبها الآخر قبل أن يستكمل مهمته ويعود ثانية إلى وسط الغرفة.

أمامي ثلاثون خطوة إجمالًا، لكن مخيلتي المُجهَدة تصورت أن هذا الجدار يبعد عدَّة أميال. وصلتُ أخيرًا، دون أن أبعد عيني إطلاقًا عن الجزء الخلفي من رأس هذا الكهل البخيل.

لم يستدر إلَّا عندما كانت يدي على زر التحكم في الباب الذي سأخرج منه لاستكمال طريقي، ولم يلتفت نحوي وأنا أخرج. خرجت، وأغلقت الباب برفق.

توقفتُ للحظة واضعًا أذني بالقرب من اللوح لأعرف ما إذا كان اشتبه في أي شيء، لكني لم أسمع أي صوت؛ فأسرعت في طريقي على طول الممر الجديد، متبعًا الحبل الملفوف الذي أحضرته معي خلال تقدمي.

وبعد مسافة قصيرة وصلت إلى نهاية الحبل، عند نقطة تتجمع عندها خمسة ممرات. ماذا أفعل؟ وما الطريق الذي يجب أن أتخذه؟ استبدت بي الحيرة.

كشف فحص متأن لنهاية الحبل أنه قُطِع بأداة حادة. أقنعني ذلك، علاوة على الكلمات التي حذرتني أن الخطر يكمن بعد العُقد، أن الحبل قُطِع منذ وضعه صديقي لإرشادي؛ لأنني لم أمر إلا بعقدة واحدة، بينما يبدو واضحًا أن هناك اثنين أو أكثر على طول الحبل.

أنا الآن في ورطة كبيرة بالفعل؛ إذ لا أعرف المسار الذي يجب اتباعه، كما لا أعرف أين يكمن الخطر في طريقي. مع ذلك، ليس أمامي شيء آخر سوى اتباع أحد الممرات، فما من فائدة لبقائي هنا.

اخترت الممر المركزي، وسرت في أعماقه القاتمة وعلى شفتي صلاة.

سرعان ما ارتفعت أرضية النفق خلال سيري، ثم وصل بي الطريق

إلى نهاية مفاجئة أمام باب ثقيل.

لم أسمع أي شيء. فتحت الباب ودخلت بتهوري المعتاد إلى غرفة مليئة بالمحاربين الصُّفر.

فتح أول مَن رآني عينيه باتساع في دهشة. وشعرت في اللحظة نفسها بإحساس الوخز في إصبعي، ما يشير إلى وجود صديق بين المجموعة.

والآن شاهدني الآخرون، واندفعوا للإمساك بي؛ فهؤلاء هم جميع أفراد حرس القصر، ويعرفون وجهي.

كان الرجل الذي يرتدي الخاتم المماثل لخاتمي الغريب هو أول مَن أمسك بي، وقال لي هامسًا: "استسلم لي!"، ثم صاح بصوت عال: "أنت سجيني، أيها الرجل الأبيض"، وهددني بسلاحه.

وهكذا، استسلم بخنوع جون كارتر أمير هيليوم لخصم واحد. احتشد حولنا الآخرون وهم يطرحون العديد من الأسئلة. لم أتكلم، وأخيرًا أعلن الحارس الذي أسرني أنه سيعيدني إلى زنزانتي.

أمر ضابط عدة محاربين آخرين بمرافقته، بدأنا نعود من نفس الطريق الذي جئت منه لتوي. سار صديقي بجانبي وأخذ يوجه العديد من الأسئلة السخيفة عنْ البلد الذي أتيت منه، إلى أن كف زملاؤه في النهاية عن الانتباه لكلامه أو ثرثراته.

بدأ يخفض صوته تدريجيًا وهو يتحدث، حتى أصبح قادرًا على التحدث معي بنبرة منخفضة دون جذب الانتباه. كانت حيلته ذكية،

وأظهرت أن تالو لم يُخطئ في تقدير جدارة الرجل للمهمة الخطيرة التي اختاره لها.

عندما تأكد تمامًا أن الحراس الآخرين لا يستمعون إلينا، سألني لماذا لم أتبع الحبل. وعندما أخبرته أن الحبل انتهى عند الممرات الخمسة، قال لا بد أن شخصًا يحتاج إلى قطعة حبل هو مَن قطعه؛ لأنه كان على يقين أن "الكادابرانيين الأغبياء لا يمكنهم أبدًا تخمين الغرض منه".

وقبل أن نصل إلى نقطة تفرع الممرات الخمسة، نجح صديقي الماريتنياني في التقهقر معي إلى الجزء الخلفي من طابور الحرس. وعندما لاحت أمامنا الممرات المتفرعة، همس قائلًا:

"عليك أن تتخذ الطريق الأول على اليمين، حيث يؤدي إلى برج المراقبة عند الجدار الجنوبي، وأنا سوف أوجه المطاردة إلى الممر التالي"؛ ثم دفعني بقوة في الظلام نحو مدخل النفق، وبدأ في الوقت نفسه يصرخ في ألم زائف وتحذير وهو يلقي بنفسه على الأرض كما لو أنني أسقطته بضربة قوية.

سمعت من خلفي أصوات الحراس المنفعلين، يتردد صداها عبر الممر، ثم يهبط تدريجيًا، حيث قادهم جاسوس تالو إلى ممر خاطئ في مطاردة وهمية.

ركضت إنقاذًا لحياتي خلال القاعات المظلمة أسفل قصر سالينسوس أوول. لا بد أن مظهري كان غريبًا إن كان هناك مَن لاحظه؛ فعلى الرغم من أن الموت كان يلوح حولي، فقد ظهرت ابتسامة عريضة

على وجهي وأنا أفكر في بطل ماريتينا الذي لا أعرف اسمه وأدين له بحياتي.

إنه من نفس نوع رجال هيليوم الحبيبة. وعندما ألتقي بأي شخص من هذا النوع، أيًا كان عِرقه أو لونه، يدخل قلبي كما حدث الآن مع صديقي الجديد الذي خاطر بحياته من أجلي لأنني ببساطة أرتدي خاتمًا مطابقًا للخاتم الذي وضعه حاكمه في إصبعه.

امتد الممر الذي أركض فيه مسافة كبيرة، منتهيًا أسفل مدرج حلزوني. صعدت، حتى وصلت إلى غرفة مستديرة فوق الطابق الأول من برج.

ضمت هذه الشقة دزينة من العبيد الحُمر، يعملون في تلميع أو إصلاح أسلحة الرجال الصُّفر. اصطفت على جدران الغرفة أرفف عليها مئات من السيوف المستقيمة وذات الخطاف، والرماح، والخناجر. من الواضح أنه مستودع للأسلحة. ولم يكن هناك سوى ثلاثة محاربين يحرسون العمال.

أدركت عيناي المشهد بأكمله في لمحة. هنا توجد وفرة من الأسلحة! وهنا توجد مجموعة قوية من المحاربين الحُمر لاستخدام هذه الأسلحة!

وهنا الآن جون كارتر أمير هيليوم في حاجة للأسلحة والمحاربين على حد سواء!

دخلت إلى الشقة، وشاهدني الحراس والسجناء في وقت واحد.

يوجد على مقربة من المدخل، حيث وقفت، رف السيوف المستقيمة. وعندما أمسكت يدي بمقبض أحد هذه السيوف، وقعت عيني على وجهي سجينين يعملان جنبًا إلى جنب.

بدأ أحد الحراس يسألني: "مَن أنت؟ وماذا تفعل هنا؟".

قلت: "لقد جئت من أجل تاردوس مورس جيداك هيليوم، وابنه مورس كاجاك"، مشيرًا إلى اثنين من السجناء الحُمر، اللذين نهضا واتسعت أعينهما في دهشة.

واصلت، بعد أن رأيت أن جميع السجناء من بحرية تاردوس مورس: "انهضوا أيها الرجال الحُمر! لنترك نصبًا تذكاريًا قبل أن نموت في قصر طاغية أوكار، يُسجل إلى الأبد في حوليات كادابرا دليلًا على شرف هيليوم ومجدها".

هاجمني الحارس الأول واشتبكنا. ولفزعي لاحظت أن العبيد الحُمر مكبلون بالأرض.



(١٣)

مفتاح تشغيل المغناطيس

لم يعر الحراس أدنى اهتمام لعملهم في الحراسة؛ إذ لم يكن في مقدور الرجال الحُمر التحرك لما يزيد على قدمين من الحلقات الكبيرة التي كبلتهم، على الرغم من استيلاء كل منهم على السلاح الذي يعمل عليه عندما دخلت الغرفة، ووقفوا على أهبة الاستعداد للانضمام لي إن أمكنهم.

كرس الرجال الصُّفر كل اهتمامهم لي. ولم تمضِ فترة طويلة قبل أن يكتشفوا أنهم الثلاثة غير قادرين على الدفاع عن مخزن الأسلحة ضد جون كارتر. لو كان معي اليوم سيفي الطويل! على أي حال أبليت جيدًا بأسلحة الرجل الأصفر غير المألوفة لي.

استغرقتُ بعض الوقت في البداية لتجنب سيوفهم الخطافية الخسيسة، لكني نجحتُ بعد دقيقة أو دقيقتين في انتزاع سيف مستقيم ثانٍ من أحد الرفوف على طول الجدار، وشعرتُ أن تجهيزاتي على قدم المساواة مع خصومي عندما استخدمته في صد خطافاتهم.

هاجمني الثلاثة مرة واحدة، ولولا حدث خدمني ربما كنت انتهيت بسرعة. اندفع الحارس الأمامي بشراسة نحوي بخطافه بعد أن دفعني ثلاثتهم إلى الجدار، لكني تحركت بخفة ورفعت ذراعي لتجنب خطافه، فمس سلاحه جانبي ورشق في رف الرماح.

ركضتُ قبل أن يتمكن من اقتلاعه، ثم عُدت إلى التكتيكات التي أنقذتني مائة مرة في ظروف عسيرة. أسرعت نحو المحاربين، وأجبرتهم على التراجع بوابل من الضربات والطعنات، إلى أن أخذ الخوف من الموت يحوم حولهم.

بدأ أحدهم يصرخ طلبًا للمساعدة، ولكن فات أوان إنقاذهم.

أصبحوا في يدي الآن، ودفعت بهم إلى نهاية مستودع الأسلحة حيث كنت أريدهم في متناول سيوف العبيد المكبلين. وفي لحظة رقد الاثنان موتى على الأرض. لكن صرخاتهم لم تكن بلا جدوى تمامًا؛ فقد سمعتُ الآن صيحات استجابة ووقع أقدام كثيرة من الرجال يركضون، وقعقعة العتاد، وأوامر الضباط.

صاح تاردوس مورس: «الباب! أسرع يا جون كارتر، أغلق الباب!».

كان الحراس على مرمى البصر بالفعل، يهرعون عبر الساحة المفتوحة التي كانت مرئيةً من خلال المدخل.

يمكنكم الوصول إلى البرج خلال عشر ثوان. حملتني قفزة واحدة إلى الباب الثقيل. أغلقته، مما أحدث ضجة مدوية.

صاح تاردوس مورس: «الحاجز!».

حاولت إنزال حاجز الإغلاق الضخم إلى مكانه، لكنه تحدى كل محاولاتي.

صاح أحد الرجال الحُمر: «ارفعه قليلًا لتخفيف حركة المزلاج».

وكنت أسمع المحاربين الصُّفر يقفزون على طول الممشى المرصوف خارج الباب. رفعتُ الحاجز وأطلقتُ عليه النار ناحية اليمين، عندئذٍ ألقى الحارس الأول بنفسه ضد الجانب الآخر من اللوحات الضخمة.

انزلق حاجز الإغلاق في الوقت المناسب، وإن كان في جزءٍ من الثانية فقط.

ركزتُ انتباهي الآن على السجناء. ذهبت أولًا إلى تاردوس مورس لأسأله عن مكان المفاتيح لفك قيودهم.

أجاب جيداك هيليوم: «إنهم لدى ضابط الحرس، وهو من بين أولئك في الخارج الذين يسعون إلى الدخول. عليك فك القيود بالقوة».

كان معظم السجناء يجاهدون بالسيوف التي في أيديهم لقطع الأغلال التي تكبلهم. وكان المحاربون الصُّفر يضربون الباب بالرماح والفؤوس.

ركزت انتباهي إلى السلاسل التي تكبل تاردوس مورس. قطعت المعدن بعمق، مرارًا وتكرارًا، بنصلي الحاد، بيد أن سيل الضربات على الباب كان أسرع كثيرًا.

وأخيرًا أثمرت جهودي عن فك الرابطة، وفي لحظة لاحقة أصبح تاردوس مورس حرًّا، على الرغم من وجود بضع بوصات من سلسلة زائدة لا تزال تتدلى من كاحله.

أعلن سقوط قطعة من خشب الباب إلى الداخل عن التقدم الذي يحققه أعداؤنا للدخول.

اهتزت اللوحات الجبارة وانحنت تحت الهجمة الجنونية للرجال الصُّفر الغاضبين.

مع الضرب على الباب وقطع الرجال الحُمر لقيودهم، كان الضجيج داخل مستودع الأسلحة مروعًا. ما إن تحرر تاردوس مورس، حتى تحول إلى سجين آخر ليحرره، بينما انهمكت أنا في العمل لتحرير مورس كاجاك.

علينا أن نعمل بسرعة لقطع كل تلك الأغلال قبل أن ينفتح الباب. تحطم الآن لوح وسقط على الأرض نحو الداخل، فانطلق مورس كاجاك إلى الفتحة ليحمي الطريق حتى يتيح لنا وقتًا لإطلاق سراح الآخرين.

انتزع رماحًا من الجدار وأوقع خسائر بين المجموعة المتقدمة من الأوكاريين، بينما اشتبكنا نحن مع المعدن العنيد الذي يحول دون حرية زملائنا.

وأخيرًا تحرر جميع السجناء ما عدا واحد، وهنا سقط الباب في انهيار جبار نتيجة ابتكارهم المتعجل لبلطة مهولة، ثم هجم علينا القطيع الأصفر.

«إلى الغرف العليا!»، صاح الرجل الأحمر الذي كان لا يزال مقيدًا بالأرض. «إلى الغرف العليا! فهناك يمكنكم الدفاع عن البرج ضد كادابرا كلها. لا تتأخروا بسببي، فلم أكن أحلم بموت أفضل من الموت في خدمة تاردوس مورس وأمير هيليوم».

لكنني كنتُ أضحي بحياة كل رجل منا دون أن أهجر رجلًا أحمر واحدًا، بطلًا يتمتع بقلب أسد، ويتوسل إلينا أن نتركه.

فناديت على اثنين من الرجال الحُمر: «اقطعوا سلاسله، بينما يتصدى بقيتنا للعدو».

يوجد عشرة منا الآن لخوض المعركة مع الحراس الأوكاريين. وأعتقد أن برج المراقبة القديم لم يشهد أبدًا معركة حامية الوطيس أكثر من تلك المعركة التي اندلعت اليوم داخل جدرانه القاتمة.

تراجعتُ الموجة الأولى المتدفقة من المحاربين الصُّفر من جراء قسوة سيوف عشرة من قدامى مقاتلي هيليوم. سدت العشرات من جثث الأوكاريين المدخل. اندفع عبر الحاجز البشع عشرات آخرون يهتفون بصوت أجش صرخة الحرب البشعة.

واجهناهم عند الكومة الدموية، يدًا بيد، نطعن في الجانب الأقرب، وندفع بعيدًا عندما نتمكن من دفع أحد الخصوم بطول الذراع. ارتفعت وانخفضت، متداخلة مع صرخة الحرب التي يطلقها الأوكاريون، عبارة مجيدة: «من أجل هيليوم! من أجل هيليوم!»، التي حفّزت عبر عصور لا تُعد ولا تُحصى أشجع الشجعان على القيام بأفعال باسلة جعلت شهرة أبطال هيليوم تنتشر على مدى طول وعرض هذا العالم.

تحرر الآن آخر الرجال الحُمر بعد تحطيم أغلاله، وأصبحنا ثلاثة عشر رجلًا قويًا نواجه كل مجموعة جديدة من جنود سالينسوس أوول. نزف جميعنا متأثرين بجراحنا، ولكن لم يسقط أحدٌ.

شاهدنا في الخارج المئات من أفراد الحرس يتدفقون إلى الفناء. وعلى طول الممر المنخفض الذي وجدت خلاله طريقي إلى مستودع الأسلحة، استمعنا إلى قعقعة المعادن وصيحات الرجال.

سيهاجموننا خلال لحظات من الجانبين. ومع كل براعتنا، لا يمكننا أن نأمل الصمود في وجه تلك الصعاب غير المتكافئة التي ستقسم انتباهنا ونحن عدد صغير.

«إلى الغُرف العليا!»، صاح تاردوس مورس. تراجعنا في لحظة نحو المدرج الذي يقود إلى الطوابق العليا.

خضنا معركة دموية أخرى مع قوة من الرجال الصُفر، هاجمت مستودع الأسلحة خلال تراجعنا بعيدًا عن المدخل. وهنا فقدنا أول رجل؛ زميل نبيل لم نتمكن من حمايته. لكن الجميع نجح في التراجع إلى المدرج باستثنائي؛ فقد بقيت لمنع الأوكاريين من التقدم إلى أن أصبح الآخرون آمنين في الأعلى.

عند فتحة المدرج الحلزوني الضيقة، لم يكن من الممكن أن يهاجمني أكثر من محارب واحد في الوقت نفسه؛ ولذا نجحتُ في صدهم دون صعوبة خلال الفترة الوجيزة المطلوبة، ثم أخذتُ أتراجع أمامهم ببطءٍ لأبدأ صعود المدرج الحلزوني.

تزاحم الحراس ضاغطين علي، على طول الطريق الطويل إلى أعلى البرج. وعندما يسقط أحدهم بسيفي، يسارع الآخرون فوق القتيل ليحلوا محله. وهكذا، كان يسقط عدد كبير كلما تقدمت عدة أقدام قليلة. وصلت إلى برج مراقبة كادابرا الواسع ذي الجدران الزجاجية.

وهنا تجمع رفاقي وهم على أهبة الاستعداد لأخذ مكاني. اتخذت جانبًا لأستريح قليلًا، بينما يصد رفاقي العدو.

من موقعي المرتفع، امتد مشهد لعدة أميال في جميع الاتجاهات. امتدت نحو الجنوب أراض مقفرة وعرة، يكسوها الجليد، حتى حافة الحاجز الجبار. وظهرت في اتجاه الشرق والغرب، وعلى نحو معتم تجاه الشمال، مدن أوكارية أخرى؛ بينما كان يطل أمامي مباشرة، وراء جدران كادابرا، الرمح الحارس القاتم برأسه الكئيب.

ثم ألقيت عيني إلى أسفل، إلى شوارع كادابرا، حيث اندلعت اضطرابات مفاجئة؛ ورأيت معركة محتدمة خارج جدران المدينة، ورجالًا مسلحين يسيرون في طوابير كبيرة في اتجاه بوابة قريبة.

اقتربتُ بلهفة من الجدار الزجاجي لبرج المراقبة، غير مصدق ما تشاهده عيناي. لم أعد قادرًا على الاستمرار في تشككي؛ فناديتُ تاردوس مورس بصيحة فرح عالية، ارتفعت بشكل غريب وسط لعنات وتأوهات الرجال المشتبكين عند مدخل الغرفة.

عندما انضم إليَّ، أشرتُ إلى أسفل، إلى شوارع كادابرا، وإلى الطوابير المتقدمة من الخارج، التي ترفرف فوقها بشجاعة في هواء القطب الشمالي أعلام ولافتات هيليوم.

وخلال لحظات، كان كل رجل أحمر في هذه الغرفة العلوية قد رأى هذا المشهد المُلهِم، وتردد صدى صيحات الشكر على نحو لم تشهده من قبل هذه الكومة الحجرية العتيقة.

على أننا يجب أن نواصل القتال. فعلى الرغم من أن قواتنا دخلت كادابرا، لا يزال استسلام المدينة بعيدًا حتى الآن، ولم تهاجم قواتنا القصر بعد. نجحنا بعد عدة جولات في السيطرة على الجزء العلوي من المدرج، بينما كان الآخرون يمتعون أعينهم بمشاهدة مواطنينا الشجعان يقاتلون الآن في أسفل.

ها هم الآن يقتحمون بوابة القصر! ويضربونها ببلطاتهم الضخمة سطحها الهائل. والآن يصدهم وابل قاتل من الرماح يأتي من أعلى جدار القصر!

هجموا مرة أخرى. لكن غارة تضم قوة كبيرة من الأوكاريين، القادمين من طريق متقاطع، سحقت رأس الطابور، وسقط رجال هيليوم وهم يقاتلون أمام قوة ساحقة.

انفتحت بوابة القصر على مصراعيها، واندفعت قوة من حرس الجيداك -منتقاة من خيرة جيش أوكارا- لتحطيم الأفواج المنكسرة. بدا للحظة أن الهزيمة حتمية، ثم رأيت شخصية نبيلة فوق حيوان ثوات جبار- ليس الثوات الصغير لدى الرجال الحُمر، وإنما أحد أبناء عمومته العمالقة من قيعان البحر الميت.

شق المحارب طريقه إلى الأمام، وخلفه يحتشد جنود هيليوم غير المنظمين. عندما رفع رأسه عاليًا في تحدٍّ للرجال فوق جدران القصر،

رأيت وجهه؛ ودق قلبي فخرًا وسعادة عندما قفز المحاربين الحُمر إلى جانب قائدهم وفازوا ثانية بالأرض التي كانت في حوزتهم وفقدوها- الوجه الذي رأيته فوق الثوات الجبار هو وجه ابني، كارثوريس من هيليوم.

كان يحارب إلى جانبه كلب حرب مريخي ضخم. لم أكن في حاجة إلى نظرة ثانية لمعرفة أنه وولا، كلبي وولا الوفي الذي أدى مهمته الشاقة بنجاح وجلب جحافل الإغاثة في الوقت المناسب.

في الوقت المناسب؟!

مَن يمكنه القول إنهم لم يتأخروا في عملية الإنقاذ، لكنهم يقينًا يمكنهم الانتقام! ويا له من انتقام سيوقعه هذا الجيش الذي لا يقهر بالأوكاريين الحقودين! تنهدت وأنا أفكر في أنني قد لا أكون على قيد الحياة لأشهد ذلك.

نظرتُ مرة أخرى من الجدار الزجاجي. لم يفتح الرجال الحُمر بعد الجدار الخارجي للقصر، لكنهم كانوا يقاتلون بنُبل ضد أفضل ما يمكن أن تقدمه أوكار من محاربين يواسل يقاتلون على كل شبر من الطَريق.

لفت انتباهي الآن عنصر جديد خاج سور المدينة، مجموعة كبيرة من المحاربين الراكبين تلوح في الأفق، وراء الرجل الأحمر. إنهم حلفاء هيليوم، العمالقة الخُضر، تلك الجحافل الوحشية من قيعان البحر الميت في أقصى الجنوب.

أسرعوا نحو البوابة في صمت قاتم ورهيب، حيث الحوافر

المبطنة لدى حيواناتهم لا يصدر عنها أي صوت، وهجموا على المدينة المنكوبة. وخلال حركتهم عبر الساحة الواسعة أمام قصر جيداك كل الجيداك، رأيت في المقدمة هيئة قائدهم الجبار: تارس تاركاس، جيداك ثارك.

تحققت أمنيتي لرؤية صديقي القديم يقاتل مرة أخرى. وعلى الرغم من أنني لا أقاتل بجواره، فأنا أقاتل أيضًا من أجل نفس الهدف هنا في برج أوكار العالي.

من الواضح أن خصومنا لن يكفوا أبدًا عن هجماتهم العنيدة؛ فهم لا يزالون يأتون على الرغم من انسداد الطريق إلى غرفتنا بجثث موتاهم. كانوا يتوقفون أحيانًا لفترة تكفي لسحب الجثث التي تعوق الطريق، ثم يصعد محاربون جدد إلى الأعلى ليتذوقوا كأس الموت.

كنتُ آخذ دوري مع الآخرين دفاعًا عن تراجعنا النبيل، عندما صرخ عاليًا مورس كاجاك في اضطراب مفاجئ وهو يشاهد المعركة الدائرة في الشارع أسفلنا. كانت توجد نبرة تخوف في صوته، ما دفعني إلى جانبه في اللحظة التي أمكن فيها أن يأخذ محارب آخر مكاني. وعندما وصلت إليه، أشار إلى الامتداد الشاسع من الثلج والجليد في اتجاه الأفق الجنوبي.

صاح: «واحسرتاه!»، أنا مُجبر على أن أشهد قسوة مصيرهم دون أن أمتلك القدرة على تحذيرهم أو معونتهم؛ وربما تخطوا الآن مرحلة التحذير أو المعونة».

نظرت في الاتجاه الذي أشار إليه ورأيت سبب اضطرابه، رأيتُ

أسطولًا جبارًا من السفن الفضائية يقترب بمهابة من كادايرا في اتجاه الحاجز الجليدي بسرعة متزايدة.

قال مورس كاجاك بحزن: «الرمح القاتم، الذي يسمونه حارس الشمال، يجذبهم إليه؛ تمامًا كما جذب تاردوس مورس وأسطوله الكبير. انظر حيث يسقطون ويتكومون محطمين. إنه عامود كئيب ورهيب، ذو قوة تدمير جبارة لا يمكن مقاومتها».

رأيت أنا أيضًا، وإنما شيئًا آخر غير ما رآه مورس كاجاك؛ رأيت بعين ذهني غرفة مدفونة، تصطف على جدرانها أدوات وأجهزة غريبة.

توجد في وسط الغرفة مائدة طويلة، حيث جلس رجل كهل جاحظ العينين يعد أمواله. وأوضح ما رأيت على الجدار، هو مفتاح تشغيل كبير مُطعم بمغناطيس صغير داخل سطح مقبضه الأسود.

ألقيت نظرة على الأسطول الذي يقترب بسرعة. سوف يتحول الأسطول الحربي الجبار في السماء خلال خمس دقائق إلى قطع ملتوية من الخردة لا قيمة لها، تقبع عند قاعدة الرمح وراء جدار المدينة، ثم ستنطلق جحافل الصُّفر من بوابة أخرى بسرعة بحثًا عن عدد قليل من الناجين الذين يتعثرون بشكل أعمى خلال كتلة الحطام، وأخيرًا تأتي مخلوقات الأبت. ارتعدتُ لهذا التفكير، إذ يمكنني أن أرى بوضوح الصورة الحية لهذا المشهد الرهيب كله.

أنا سريع دائمًا في اتخاذ القرارات والتصرف الفوري. كما تتزامن دائمًا الدوافع التي تحركني والشيء الذي يجب أن أقوم به؛ فإذا اتخذ عقلي طريق شكلية المنطق المملة، فهذا يحدث في اللا وعي بحيث لا

أوول، معنى مهارة المبارزة، وما المدى الذي يمكن أن يصل إليه إتقاني لاستخدام السيف عندما أواجه مبارزًا ممتازًا مثل سولان.

ظل لفترة راغبًا في أن يتفوق عليّ. بيد أن إمكاناتي الكامنة -التي ربما كانت خاملة داخلي طوال حياتي- أصبحت الآن في الصدارة؛ وقاتلتُ كما لا يمكن أن يحلم إنسان أبدًا.

إن حدوث تلك المبارزة الملكية في تجاويف قبو مظلم، دون أن تشهدها عين واحدة تقدرها حق قدرها، بدا لي دائمًا كأنه كارثة عالمية- على الأقل من وجهة نظر برسومية، حيث يُعد الصراع الدموي أول وأعظم اهتمام لدى الأفراد والأمم والأعراق.

كنتُ أقاتل بهدف الوصول إلى مفتاح التشغيل الذي يحول سولان دون وصولي إليه. وعلى الرغم من أننا لم تكن تبعد أكثر من ثلاث أقدام عن المفتاح، فلم أتمكن من التحرك حتى ولو لشبر واحد تجاهه، حيث أجبرني على التراجع لشبر واحد في الدقائق الخمس الأولى من معركتنا.

كنتُ أعرف أن أمامي عدة ثوان قليلة لإنقاذ الأسطول، ولذا حاولت استخدام تكتيكاتي القديمة في الهجوم؛ لكني كنت كمَن يهاجم حائطًا من الطوب كي يفسح سولان الطريق.

لقد أوشكت في الواقع من أن أضع نفسي فوق سن سيفه لأنهي آلامي؛ لكن الحق كان إلى جانبي، وأعتقد أن هذا يجب أن يعطي أي رجل ثقة أكبر مما لو كان يعرف أنه يقاتل في سبيل قضية شريرة.

على الأقل، لم تكن الثقة هي ما يعوزني. وعندما هاجمت سولان ثانية، كنتُ أثق ضمنيًا أنه سيجعله يستدير لمواجهة اتجاه هجومي الجديد، وإذا استدار سيموت. وحدث أننا تقاتلنا وجانبانا نحو الهدف المرغوب- مفتاح التشغيل الكبير الذي يقع بالقرب من متناول يدي اليمنى.

أن أكشف عن صدري للحظةٍ، كان يعني موتي المفاجئ، لكنني لم أجد وسيلة أخرى سوى المحاولة، إذا كان ذلك سيقود إلى إنقاذ الأسطول القادم. وهكذا، في مواجهة طعنة سيف غادر، أوصلتُ رأس سيفي إلى المفتاح وضربته ضربة مفاجئة قوية حركته من مكانه.

اندهش سولان مرتعبًا إلى حد أنه نسي إكمال هجمته، وأسرع نحو المفتاح وهو يصرخ بصوت عالٍ- كانت صرخته الأخيرة، قبل أن تتمكن يده الممدودة من لمس الرافعة، حيث اخترق سيفي قلبه.

❊ ❊ ❊

(١٤)

وطيس المعركة

لم تكن صرخة سولان المدوية دون جدوى؛ إذ اقتحم عشرات الحرس الغرفة بعد لحظات، وإن لم يكن قبل أن أنجح في ثني وتحطيم مفتاح التشغيل الكبير بحيث لم يعُد يمكن استخدامه ثانية لتحويل التيار القوي إلى المغناطيس الجبار الذي يتحكم في التدمير.

أسفرت نتيجة قدوم الحراس المفاجئ عن إجباري على البحث عن مهرب منعزل في أول ممر يمكن أن أجده، وللأسف لم يكن الممر الذي أعرفه، وإنما ممر آخر على يساره.

من المؤكد أنهم إما سمعوا وإما خمنوا الطريق التي ذهبت إليه، فلم أقطع سوى مسافة قصيرة ثم سمعت صوت المطاردة. لم أفكر في التوقف ومقاتلة هؤلاء الرجال هنا، في الوقت الذي تدور فيه معارك عديدة في أماكن أخرى من مدينة كادابرا وعند القصر، وهي معارك أكثر أهمية بالنسبة لي من الحياة عديمة الفائدة.

لكن المحاربين كانوا يتزاحمون؛ ولما كنت لا أعرف الطريق على الإطلاق، سرعان ما أدركت أنهم سيلحقون بي إلا إذا وجدت مكانًا أختبئ فيه حتى يمروا، مما قد يتيح لي فرصة للعودة إلى البرج ثانية من خلال الطريق الذي جئت منه، أو ربما أجد سبيلًا للوصول إلى شوارع المدينة.

ارتفع الممر بسرعة منذ أن تركتُ شقة مفتاح التشغيل، ثم تحول الآن إلى مستوى آخر مضاء جيدًا يمتد طويلًا بقدر ما أستطيع أن أرى. سيتمكن المطاردون من رؤيتي بمجرد وصولهم إلى هذا الطريق الممتد، مما يحول دون أي فرصة للهروب من الممر دون أن يكتشفوني.

رأيت الآن سلسلة من الأبواب تُفتح من جانبي الممر. ونظرًا لأنها تبدو جميعها على حد سواء بالنسبة لي، فقد دخلت من أول باب وصلت إليه. وجدتني في غرفة صغيرة، مفروشة بترف، ويبدو واضحًا أنها غرفة انتظار تسبق غرفة مكتب أو قاعة القصر العامة.

ويوجد على الجانب الآخر مدخل مُغطى بالستائر، سمعت وراءه همهمة أصوات. عبرت الغرفة الصغيرة على الفور، وأبعدت الستائر، ثم نظرت داخل الشقة الأكبر.

رأيت أمامي مجموعة من حوالي خمسين من نبلاء البلاط، يرتدون ملابس رائعة، ويقفون أمام عرش جلس فوقه سالينسوس أوول. وكان جيداك كل الجيداك يخاطبهم.

كان يقول، عند دخولي الشقة: «قد حانت الساعة المحددة. وعلى الرغم من أن أعداء أوكار أصبحوا داخل بواباتها، لا شيء سيقف أمام

إرادة سالينسوس أوول. يجب إلغاء الاحتفال العظيم، بحيث يظل كل رجل في موقعه الدفاعي باستثناء الخمسين شخصًا الذين تقضي عاداتنا ضرورة وجودهم ليشهدوا تنصيب ملكة جديدة في أوكار. سينتهي الأمر في لحظة ثم نعود إلى المعركة. وفي حين أنها الآن أميرة هيليوم، وتشاهد من برج الملكة إبادة أبناء بلدها السابق، فسوف تشهد عظمة زوجها».

ثم تحول نحو أحد رجال البلاط، وأصدر بعض الأوامر بصوت منخفض.

أسرع هذا الشخص إلى باب صغير في أقصى نهاية الغرفة، وفتحه على مصراعيه صائحًا: «أفسحوا الطريق أمام ديجاه ثوريس، ملكة أوكار في المستقبل!».

وعلى الفور ظهر اثنان من الحراس وهم يقتادون العروس الرافضة نحو المذبح. لا تزال يداها مكبلتين وراء ظهرها، من الواضح لمنع إقدامها على الانتحار.

دل شعرها الأشعث وصدرها اللاهث، رغم تقييدها بالسلاسل، على أنها كانت تقاوم ما يريدون أن يفعلوه لها.

وعندما شاهدها سالينسوس أوول، نهض وسحب سيفه، ورفع النبلاء الخمسون سيوفهم عاليًا على شكل قوس، حيث يقتادون المخلوقة الجميلة المسكينة إلى أسفل هذا القوس لتواجه قدرها.

أجبرت ابتسامة قاتمة نفسها على شفتي وأنا أتصور وضع حاكم

أوكار عندما يفيق ويكتشف انهيار ترتيباته. وكانت أصابعي تداعب مقبض سيفي الدموي.

خلال مشاهدتي للموكب الذي يتحرك ببطء نحو العرش -موكب لا يضم سوى حفنة من الكهنة الذين يسيرون خلف ديجاه ثوريس، علاوة على اثنين من أفراد الحرس- لمحت وجهًا أسود يطل من وراء الستائر التي تغطي الجدار وراء المنصة التي يقف عليها سالينسوس أوول في انتظار عروسه.

يُجبر الحراس الآن أميرة هيليوم على مواصلة الخطوات القليلة الباقية إلى جانب طاغية أوكار، ولم تكن لديَّ أعين أو أفكار للاهتمام بأي شيء آخر. فتح كاهن كتابًا، ثم رفع يده وبدأ يُنشد بصوت رخيم أغنية الطقوس. مد سالينسوس أوول يده ليمسك يد عروسه.

كنتُ أنوي الانتظار إلى أن تتيح لي بعض الظروف أملًا معقولًا في النجاح؛ فحتى إذا اكتملت مراسم الاحتفال، لا يُعد الزواج صحيحًا؛ لأنني لا أزال على قيد الحياة. كان اهتمامي ينصب أساسًا، بطبيعة الحال، على إنقاذ ديجاه ثوريس. تمنيت أن آخذها من قصر سالينسوس أوول، إن تمكنت من ذلك؛ ولكن سواء تحقق ذلك قبل هذا الزواج الصوري أو بعده، فهي مسألة ثانوية.

على أنني عندما رأيت يد سالينسوس أوول الخسيسة تمتد لتصل إلى يد أميرتي الحبيبة، لم أستطع كبح جماح نفسي أكثر من ذلك. وقبل أن يعرف نبلاء أوكار ما حدث، قفزت خلال صفهم الضئيل، وأصبحت على المنصة بجانب ديجاه ثوريس وسالينسوس أوول.

أنزلت يده القذرة بسطح سيفي، وأمسكت ديجاه من خصرها وأبعدتها خلفي. واجهت طاغية الشمال، وظهري لستائر المنصة، وغرفته تغص بالمحاربين النبلاء.

كانت هيئة جيداك كل الجيداك ضخمة كالجبل- رجلًا فظًّا وقاسيًا كالوحش. ومن موقعه العلوي، وعندما كان شعر سوالفه وشاربه ينتصب غضبًا، أمكنني أيضًا أن أتصور كيف يمكن أن يرتعد أمامه محارب أقل حِنكةً.

انطلق نحوي مزمجرًا بسيفه فقط، لكني لم أعرف أبدًا ما إذا كان سالينسوس أوول مبارزًا جيدًا أم سيئًا؛ فمع ديجاه ثوريس خلفي، لم أعد إنسانًا- بل سوبرمان، ولا يمكن أن يصمد رجل أمامي.

أطلقت صيحة واحدة خفيضة: «من أجل أميرة هيليوم!»، ثم وجهت سيفي مباشرة مخترقًا القلب الفاسد لحاكم أوكار الفاسد. وأمام وجوه النبلاء البيضاء الشاحبة، تدحرج سالينسوس أوول وعلى وجهه تكشيرة الموت الرهيب، أسفل درجات عرش زواجه.

للحظة ساد صمت متوتر في قاعة الزواج، ثم انطلق النبلاء الخمسون نحوي. قاتلنا بشراسة، لكن موقعي كان متميزًا؛ حيث وقفت على منصة مرتفعة أعلى منهم، وقاتلتُ من أجل امرأةٍ جليلةٍ تنتمي لعِرق جليل، وقاتلتُ من أجل حب كبير، ومن أجل أم ابني.

ومن وراء كتفي، ارتفع بإيقاع فضي ذلك الصوت العزيز، بنشيد معركة الشجاعة، الذي تغنيه نساء هيليوم عندما يذهب رجالهم للفوز بالنصر.

هذا وحدة كان كافيًا لإلهامي الانتصار على صعاب أكبر حتى،

وأعتقد بحق أنني كان بمقدوري التفوق ذلك اليوم في قاعة الزواج التي تغصُّ بالمحاربين الصُّفر في قصر كادابرا، حتى إن لم تأتِ المعونة.

كان القتال سريعًا ومحتدًّا؛ فلم يكن قفز نبلاء سالينسوس أوول مرارًا وتكرارًا فوق الدرجات التي تسبق العرش إلا ليتراجعوا أمام سيفي، الذي يبدو أنه اكتسب سحرًا جديدًا بعد خبرته مع سولان الخبيث.

كان اثنان يضغطان عن كثب بحيث لم أتمكن من الاستدارة عندما سمعت حركة خلفي، ولاحظت أن صوت نشيد المعركة توقف. هل كانت ديجاه ثوريس تعدّ نفسها لتأخذ مكانها بجواري؟

ابنه بطلة لعالَم بطل! لن يكون خلافًا لمواقفها أن تمسك بسيف وتقاتل إلى جانبي. فعلى الرغم من أن نساء المريخ لا يتدربن على فنون الحرب، فهن يتمتعن بروح الحرب، ومن المعروف قيامهن بالقتال في عدد لا يُحصى من المناسبات.

لكنها لم تأتِ، وكنتُ سعيدًا لأن مجيئها كان سيضاعف العبء الملقى على عاتقي لحمايتها قبل أن أتمكن من إجبارها على الابتعاد عن طريق الأذى. تصورت أنها تفكر في استراتيجية ماكرة، ولذا قاتلت مطمئنًا لاعتقادي أن أميرتي الرائعة تقف ورائي.

قاتلتُ نبلاء أوكار لمدة نصف ساعة على الأقل، دون أن يتمكن أحدهم أن يضع قدمه على المنصة حيث أقف. وفجأةً تجمع كل مَن بقي منهم ليهاجموني بجنون، هجومًا يائسًا. وعندما بدأوا يتقدمون، فُتِح الباب الموجود في أقصى الغرفة واسعًا وانطلق رسول همجي العينين داخل الغرفة.

صاح قائلًا: «جيداك كل الجيداك! أين جيداك كل الجيداك؟ لقد سقطت المدينة أمام الجحافل من وراء الحاجز، وفتح محاربو الجنوب الآن بوابة القصر الكبيرة، ويتدفقون في حرمك المقدس. أين سالينسوس أوول؟ هو وحده الذي يمكنه إحياء شجاعة محاربينا المتداعية. وهو وحده الذي يمكنه إنقاذ أوكار اليوم. أين سالينسوس أوول؟»

ابتعد النبلاء عن جثة حاكمهم، وأشار أحدهم إلى الجثة ذات التكشيرة.

ترنح الرسول في رعب، كأنما أصابته لكمة في وجهه.

وصاح: «إذن اهربوا يا نبلاء أوكار! فلن ينقذكم أحد. أتسمعون! ها هم قد وصلوا!».

سمعنا وهو يتحدث هديرًا عميقًا من رجال غاضبين في الممر بالخارج، فضلًا عن قعقعة المعادن وصليل السيوف.

أسرع النبلاء دون التفات نحوي، وكنتُ أقف متفرجًا على مشهد مأساوي، وهربوا من مخرج آخر للشقة.

ظهرت على الفور تقريبًا فرقة المحاربين الصُّفر، عند المدخل الذي أتى منه الرسول. كانوا يتراجعون في اتجاه الشقة وهو يقاومون بعناد تقدم عدد قليل من الرجال الحُمر الذين أجبروهم على التراجع ببطء.

فوق رؤوس المقاتلين، استطعتُ أن أرى من موقعي المرتفع على المنصة وجه صديقي القديم كانتوس كان، يقود المجموعة الصغيرة التي تجحت في شق طريقها إلى قلب قصر سالينسوس أوول.

أدركت في لحظة أنني بمهاجمة الأوكاريين من الخلف، يمكنني تشتيتهم بسرعة بحث لا تدوم مقاومتهم طويلًا. وانطلاقًا من هذه الفكرة، قفزت من المنصة وأنا أشرح الأمر لديجاه ثوريس من فوق كتفي، على الرغم من أنني لم أستدر للنظر إليها.

مع وجودي دائمًا بينها وبين أعدائها، ومع نجاح كانتوس كان ومحاربوه في الوصول إلى الشقة، لا يمكن أن تتعرض ديجاه ثوريس لأي خطر إن ظلت هناك بمفردها بجوار العرش.

أردتُ أن يراني رجال هيليوم، وأن يعرفوا أن أميرتهم المحبوبة هنا أيضًا؛ لأنني أعرف أن ذلك سوف يلهمهم ببطولات أكثر بسالة من بطولاتهم السابقة، على الرغم من أنهم عظماء بالفعل لكونهم تمكنوا من الفوز بالوصول إلى أكثر قصر منيع لطاغية الشمال.

عندما عبرت الغرفة لمهاجمة الكادابريين من الخلف، فُتح مدخل صغير على يساري، ولدهشتي وجدت ماتاي شانج الأب الثيرني، وابنته فايدور ينعمان النظر في الغرفة.

بعد أن تجولت أعينهم في لمحة سريعة، اتسعت حدقاتهم وهي تستقر في رعب على جثة سالينسوس أوول، وعلى الدم الذي صبغ الأرض بلون قرمزي، وعلى جثث النبلاء الذين سقطوا بكثافة أمام العرش، وعليَّ، وعلى المحاربين الذين يقاتلون عند الباب الآخر.

لم يحاولا دخول الشقة، لكن أعينهما تجولت في كل ركن منها حيث كانا يقفان. وعندما مسحت أعينهما المساحة بأكملها، اكتست

ملامح ماتاي شانج بنظرة غضب شرسة، ولمست ابتسامة باردة ماكرة شفاه فايدور.

اختفيا بعد ذلك، ولكن ليس قبل أن تلقي المرأة ضحكة ساخرة في وجهي مباشرة.

لم أفهم حينذاك معنى غضب ماتاي شانج أو سرور فايدور، لكنني كنت أعرف أن كليهما لا يضمر لي خيرًا.

وقفتُ، في لحظة لاحقة، فوق ظهور الرجال الصُّفر؛ وما إن شاهدني رجال هيليوم الحُمر فوق أكتاف خصومهم، حتى رنت صرخة كبيرة عبر الممر طغت لحظات على ضجيج المعركة.

هتفوا: «من أجل أمير هيليوم! من أجل أمير هيليوم!»، وكما تنقض الأسود الجائعة على فرائسها، هجموا ثانيةً على محاربي الشمال الآخذين في الضعف.

كان الرجال الصُّفر يقاتلون بيأس مطلق، حيث يحاصرهم الخصمان من الجهتين. قاتلوا كما يجب أن أقاتل إذا كنت في مكانهم، بتصميم على أن آخذ بقوة سيفي أكبر عدد ممكن من خصومي عندما أموت.

كانت معركة مجيدة، لكن النهاية بدت حتمية عندما وصلت الآن، من أسفل الممر خلف الرجال الحُمر، مجموعة كبيرة من المحاربين الصُّفر لتعزيز زملائهم.

انقلب الأمر الآن، وبدا أن رجال هليوم هم مَن سيقعون بين شقي

الرحى. اضطررنا جميعًا إلى مواجهة هذا الاعتداء الجديد بقوة أكبر بكثير؛ ولذا كان متروكًا التعامل مع مَن تبقى من الرجال الصُّفر في غرفة العرش.

انشغلت بهم بدرجة كبيرة، إلى حد أنني بدأت أتساءل عمَّ إذا كنت سأنتهي منهم بالفعل. دفعوني ببطء نحو الغرفة ثانيةً، وبعد أن مر الجميع ورائي، أغلق أحدهم الباب ثم سده بالمزلاج ليمنع دخول رجال كانتوس كان.

كانت خطوة ذكية؛ لأنها وضعتني تحت رحمة دزينة من الرجال داخل غرفة محصنة ضد دخول أي مساعدة، كما منعت عن الرجال الحُمر في الممر بالخارج أي سبيل للهروب إذا ما هجمت عليهم مجموعة جديدة من الخصوم.

بيد أنني قد واجهت سابقًا صعابًا أضخم مما أواجهها اليوم، وكنت أعرف أن كانتوس كان نجح في التخلص من فخاخ أخطر مائة مرة مما يواجهه الآن. ولذا لم تنتبني مشاعر اليأس، وركزت انتباهي على القتال الدائر.

كانت أفكاري تعود باستمرار إلى ديجاه ثوريس، واشتقتُ أن أضمها بين ذراعي، ما إن ينتهي القتال، وما إن أسمع منها مرة أخرى كلمات الحب التي حُرِمت منها لسنوات عديدة.

لم تتح لي أي فرصة، في أثناء القتال في القاعة، أن أسرق نظرة لها حيث تقف خلفي بجوار عرش الحاكم الميت. وتساءلت لماذا كفت عن تشجيعي بغناء نشيد هيليوم الوطني؛ لكنني لم أكن في حاجة إلى

كانا يعرفان أو يخمنان الحقيقة. ويبدو أن هيكادور الثيرتيين المقدسين جاء إلى الغرفة على أمل إحباط رغبة سالينسوس أوول، أو ما اعتبره غدره المزمع للكاهن الأعلى الذي يطمح في ديجاه ثوريس لنفسه؛ ثم أدرك أن ثوريد سرق الجائزة من تحت أنفه.

أما متعة فايدور، فقد كانت بسبب تحقيقها ما سوف تعنيه هذه الضربة القاسية الأخيرة بالنسبة لي، بالإضافة إلى ارتياحها جزئيًا لما تكنه من كراهية غيور لأميرة هيليوم.

فكرتُ بداية أن ألقي نظرة وراء الستائر في الجزء الخلفي من العرش؛ حيث رأيت ثوريد. فككتُ بهزة واحدة أربطة تلك الستائر التي لا تقدر بثمن، فانكشف أمامي مدخل ضيق وراء العرش.

لم أشك في وجود فتحة هنا للهروب، وأن ثوريد اتخذها. وتأكدت من ذلك عندما لمحت قطعة زينة صغيرة مرصعة بالجواهر تقع على بعد خطوات قليلة داخل الممر وراءها.

اختطفت قطعة الحلي ورأيت أنها تحمل شعار أميرة هليوم. ضغطت عليها بشفتي وأسرعت بجنون على طول الطريق المتعرج الذي قادني إلى أسفل، إلى قاعات القصر السفلية.

وصلتُ بعد مسافة قصيرة إلى الغرفة التي كان يسيطر عليها سولان سابقًا. لا تزال جثته ملقاة حيث تركتها، ولا توجد أي علامة على مرور أي شخص آخر إلى الغرفة منذ أن كنت فيها؛ لكنني عرفت أن اثنين مرا بها - ثوريد، الداتور الأسود، وديجاه ثوريس.

توقفت للحظة غير متأكد أي من مخارج الشقة العديدة يقودني إلى المسار الصحيح. حاولت أن أتذكر الاتجاهات التي سمعت ثوريد يكررها أمام سولان. وببطء بدأت تأتيني، كأنما من خلال ضباب كثيف، ذكرى كلماته:

«اتبع مسار ممر، واترك ثلاثة ممرات متشعبة على يمينك؛ ثم ادخل الممر الأيمن الرابع، وإلى الأمام إلى حيث تجتمع ثلاثة ممرات. وهنا، مرة أخرى، اتبع الممر الأيمن وسر بجوار الجدار الأيسر لتجنب الحفرة. تصل، في نهاية هذا الممر، إلى مدرج حلزوني، يجب أن تتخذه لأسفل وليس إلى أعلى. وبعد ذلك، يمتد الطريق على طول ممر واحد بلا تشعبات».

وتذكرت المخرج الذي أشار إليه وهو يتحدث.

لم أستغرق وقتًا طويلًا للبدء في هذا الطريق المجهول، كما لم أهتم بتوخي الحذر على الرغم من معرفتي بوجود أخطار جسيمة أمامي.

كان جزءٌ من الطريق أسود كالخطيئة، لكن معظمه كان جيد الإضاءة. على أن المسافة الممتدة بجوار الجدار الأيسر لتجنب الحُفر، كانت أكثر المسافات إظلامًا، وكنتُ على حافة الهاوية تقريبًا قبل أن أعرف أنني بالقرب من موقع الخطر. إنه إفريز ضيق، لا يزيد اتساعه عن قدم، هو كل ما تبقى لعبور هذا التجويف المخيف الذي يسقط فيه بالتأكيد ومن أول خطوة مَن لا يعرف بوجوده. وأخيرًا عبرته بأمان، ثم وضح باقي الطريق لوجود ضوء ضعيف، إلى أن خرجت فجأة، في نهاية آخر ممر، إلى ضوء النهار عند حقل من الثلوج والجليد.

ولأني كنت مرتديًا الملابس المناسبة لجو مدينة كادايرا الحار، كان التغيير المفاجئ إلى برودة القطب الشمالي مزعجًا. على أن الأسوأ هو أنني أعرف عدم قدرتي على تحمل البرد القارس، وكنت عاريًا تقريبًا، وسوف أموت قبل أن أصل إلى ثوريد وديجاه ثوريس.

بدا مصيرًا قاسيًا أن تعوق الطبيعة حركتي. تراجعت عائدًا إلى الدفء في نهاية النفق، وشعرت باليأس أكثر من أي وقت سابق آخر.

قررت عدم مواصلة السعي؛ لأن استمراري يعني هلاكي قبل أن أصل إلى هدفي؛ ولكن إذا كانت هناك وسيلة أكثر أمنًا، فلا يأس من التأخير لمحاولة اكتشافها لأكون مرة أخرى إلى جانب ديجاه ثوريس في ظروف تسمح بالقتال من أجلها.

ما إن عدت إلى النفق، حتى عثرت على جزء من قطعة فراء على أرضية الممر بالقرب من الجدار. لم أتمكن من الرؤية جيدًا في الظلام، لكني تلمست طريقي واكتشفت أنها تمتد أسفل باب مغلق.

دفعت الباب جانبًا ووجدت نفسي على عتبة غرفة صغيرة، اصطفت على جدرانها خطافات معلق عليها ملابس يرتديها الرجال الصُّفر عندما يخرجون إلى الهواء الطلق.

كان وجود هذه الغرفة والملابس عند بداية النفق الممتد من القصر، يعني أنها غرفة تبديل الملابس التي يستخدمها النبلاء عند الدخول إلى المدينة الدافئة أو الخروج منها، وأن ثوريد عرف بوجودها وتوقف هنا لإعداد نفسه وديجاه ثوريس قبل الخروج إلى البرد القارس في عالم القطب الشمالي.

وقد سقطت بعض الملابس على الأرض نتيجة لتسرعه، وكانت قطعة الفراء التي سقطت داخل الممر وسيلة لتوجيهي إلى الموقع الذي لم يكن يرغب أن أعرفه.

لم يتطلب الأمر أكثر من عدة ثوان لارتداء الملابس المصنوعة من جلد الأورلوك، والأحذية الثقيلة طويلة الرقبة المبطنة بالفراء، وهي جزء ضروري من ملبس كل مَن يريد التعامل بنجاح مع المسارات المتجمدة والرياح الجليدية في الشمال القاتم.

خطوتُ ثانية خارج فتحة النفق لأعثر على آثار لثوريد وديجاه ثوريس وسط الثلوج حديثة السقوط. أصبحت الآن مهمتي أسهل؛ فبالرغم من الصعوبة الشديدة في الحركة، لم تعُد الشكوك تكدرني بشأن الاتجاه الذي يجب أن أتبعه، أو مضايقات الظلام، أو الأخطار الخفية.

قادني الطريق عبر وادٍ ضيق مغطى بالثلوج، نحو قمة تلال منخفضة، وبعدها انحدر إلى واد آخر، ثم ارتفع بعد ربع ميل في اتجاه مسار يلتف حول جانب تلة صخرية.

تبينتُ من خلال آثار مَن سبقوني أن ديجاه ثوريس كانت تتراجع باستمرار، وأن الرجل الأسود كان مضطرًا لسحبها. وبعد مسافة قصيرة، تمكنتُ من رؤية آثار أقدامه، عميقة وقريبة من بعضها البعض في الثلوج الكثيفة. وعرفت من هذه العلامات أنه اضطر إلى حملها، ويمكنني أن أتصور أنها قاومته بشدة في كل خطوة على الطريق.

وعندما وصلت إلى نتوء بارز من كتف التل، رأيت ما جعل

خطواتي تتسارع وضربات قلبي تتزايد. ففي داخل حوض صغير بين قمة هذا التل والذي يليه، وقف أربعة أشخاص أمام فتحة كهف كبير، وبجانبهم تستقر سفينة فضائية فوق الثلوج اللامعة، ومن الواضح أنهم سحبوها الآن فقط من مخبئها.

كان الأربعة هم: ديجاه ثوريس، وفايدور، وثوريد، وماتاي شانج. اشتبك الرجلان في جدال حاد؛ الأب الثيرني يهدد، بينما الأسود يسخر منه وهو يذهب ليستكمل ما يقوم به.

تسللتُ نحوهم بحذر حتى يمكنني أن أقترب قدر الإمكان قبل أن يكتشفوني. رأيت أن الرجلين توصلا أخيرًا إلى حل توفيقي؛ إذ حاولا بمساعدة فايدور سحب ديجاه ثوريس التي تقاومهم إلى سطح السفينة.

وبعد صعودهم، عاد الرجلان إلى الأرض للانتهاء من استعدادات الرحيل. ودخلت فايدور المقصورة الصغيرة على سطح السفينة.

اقتربت حوالي رُبع ميل منهما، وعندئذ لمحني ماتاي شانج. رأيته يمسك ثوريد من كتفه، ويُديره بسرعه في اتجاهي، مشيرًا إلى حيث رآني بوضوح. وما إن أدركت ذلك، حتى تخليت تمامًا عن كل محاولة للتسلسل، وانطلقت في سباق مجنون نحو السفينة.

ضاعف الرجلان جهدهما في ما يفعلونه للمروحة، فقد كان واضحًا أنهما يضعانها مكانها بعد أن كانا أزالاها ربما لإصلاحها.

أنجزا ما يقومان به قبل أن أنتهي من قطع نصف المسافة التي تقع بيني وبينهم، ثم اندفع كلاهما إلى سلم الصعود.

وصل ثوريد أولًا، وتسلق سطح القارب سريعًا بخفة حركة قرد، حيث بلمسة على زر التحكم في خزانات الطفو، أرسل المركبة يبطء إلى أعلى، وإن لم يكن بالسرعة التي تتسم بها سفينة في حالة جيدة.

لا يزال أمامي حوالي مائة متر، ورأيتهم يرتفعون بعيدًا عن متناول يدي.

يوجد في مدينة كادابرا أسطول كبير يضم سفنًا فضائية جبارة -من هيليوم، ومن بتارث- السفن التي أنقذتها من الدمار في وقت سابق من اليوم. لكن ثوريد تمكن من الفرار قبل أن أصل إليهم.

شاهدت -وأنا أركض- ماتاي شانج يتمايل ويتأرجح فوق السلم نحو سطح السفينة، بينما ينحني أعلاه وجه الشر من الأبناء الأوائل. رأيت حبلًا زائدًا يتدلى من مؤخرة السفينة، ما بعث الأمل داخلي مجددًا. فإذا تمكنت من الوصول إليه قبل أن تحلق على ارتفاع كبير فوق رأسي، لا تزال هناك فرصة للوصول إلى سطح السفينة بمعونته البسيطة.

كان وجود شيء خاطئ تمامًا في السفينة واضحًا من عدم قابليتها للطفو، هذا بالإضافة إلى أن ثوريد قام بتشغيل ذراع الانطلاق مرتين، لكن السفينة لا تزال معلقة بلا حراك في الهواء، باستثناء انجراف طفيف مع هبوب نسيم خفيف من الشمال.

اقترب ماتاي شانج الآن من الحافة العليا للسفينة. كانت يدًا طويلة، تشبه المخلب، تمتد حتى تمسك بالقضيب المعدني.

زاد انحناء ثوريد، وانحنى لأسفل تجاه شريكه المتآمر.

ارتفع فجأة خنجر لامع في يد الرجل الأسود، ووجهها نحو وجه الأب الثيرتي الأبيض. وبصرخة خوف عالية، أمسك بجنون الهيكادور المقدس بذلك الذراع الذي يتهدده.

وصلت تقريبًا إلى الحبل الزائد. لا تزال السفينة تعلو يبطء، وهي تجنح بعيدًا عني. تعثرت على الطريق الجليدي، وارتطمت رأسي بصخرة فوقعت منبطحًا وأنا على بُعد طول الذراع من الحبل، الذي كان طرفه يغادر الأرض الآن.

فقدتُ الوعي من جراء هذه الضربة على رأسي.

لم أفقد الوعي لأكثر من بضع ثوان فوق هذا الجليد الشمالي، بينما ابتعدت حبيبتي في براثن هذا الشرير الأسود. عندما فتحت عيني، أدركت أن ثوريد وماتاي شانج اشتبكا عند قمة السلم، وجنحت السفينة مائة ياردة نحو الجنوب، وأصبحت الآن نهاية الحبل الزائدة على ارتفاع حوالي ثلاثين قدمًا فوق سطح الأرض.

كاد أن يمسني الجنون لقسوة سوء حظي، الذي جعلني أتعثر عندما كان النجاح في متناول يدي تقريبًا. اندفعت بشكل محموم عبر المسافة الفاصلة؛ وتحت نهاية الحبل المتدلية، وضعت عضلاتي التي تنتمي إلى كوكب الأرض تحت أعلى اختبار.

قفزت، كالقط، قفزة جبارة إلى أعلى، نحو ذلك الحبل النحيل، السبيل الوحيد الباقي الآن ليحملني إلى حبيبتي التي بدأت تختفي.

أغلقتُ أصابعي على بُعد قدم فوق نهاية الحبل السفلى. أصابعي

مغلقة. تشبثت بإحكام، لكنني شعرت أن الحبل ينزلق، يفلت من قبضتي. حاولت رفع يدي الأخرى لأمسك بها الحبل أيضًا في موضع ثان أعلى من موضع يدي الأولى، لكن تغيير وضعي تسبب في زيادة انزلاقي بسرعة أكبر نحو نهاية الحبل.

وببطء شعرت بالحبل يفلت مني. كل ما حققته سيضيع في لحظة؛ ثم وصلت أصابعي إلى عقدة في أقصى نهاية الحبل وتوقفت عن الانزلاق.

مع صلاة الشكر على شفتي، سارعت إلى أعلى نحو سطح السفينة. لم أتمكن من رؤية ثوريد وماتاي شانغ الآن، لكنني سمعتُ أصوات نزاع، فعرفت أنهما لا يزالان يتشاجران؛ الثيرني من أجل حياته، والأسود يريد أن يتخلص من وزن شخص واحد من أجل زيادة طفو السفينة.

إذا مات ماتاي شانج قبل وصولي إلى سطح السفينة، ستتضاءل بالتأكيد فرص وصولي إليها؛ ذلك أن الداتور الأسود لا يحتاج سوى قطع الحبل من أعلى ويتحرر مني إلى الأبد؛ لأن السفينة قد جنحت عبر حافة هوة يمكن أن يسقطني في أعماقها السحيقة، وتنتهي حياتي إذا وصل ثوريد إلى الحبل الآن.

أمسكت درابزين السفينة بيدي أخيرًا، وفي تلك اللحظة تحديدًا رنت صرخة مروعة في أسفل، أشعرتني بالبرودة تسري في دمي وحولت عينيَّ المفزوعتين نحو شيء يصرخ ويندفع ويتلوى منطلقًا إلى أسفل، إلى الهوة الفظيعة أسفلنا.

لقد ذهب ماتاي شانج الهيكادور المقدس والأب الثيرني إلى حسابه الأخير.

رفعت رأسي فوق سطح السفينة، ورأيت ثوريد يقفز نحوي والخنجر في يده. كان في مواجهة الطرف الأمامي من نهاية المقصورة، بينما كنت أحاول الصعود على متن السفينة من طرفها الخلفي. خطوات قليلة هي التي تفصل بيننا. لا توجد قوة على الأرض يمكن أن ترفعني إلى سطح السفينة قبل أن يصل الأسود الغاضب إلى موقعي.

لقد أتت نهايتي. أعرف ذلك؛ ولم يكن لديَّ شك من نظرة الانتصار الخسيسة على هذا الوجه الشرير. خلف ثوريد، رأيت ديجاه ثوريس بعينيها الواسعتين، مرعوبة وتكافح لتتخلص من قيودها. من المؤكد أنه أجبرها أن تشهد موتي الشنيع، وهو ما جعل قسوة شعوري بمرارة مصيري تتضاعف.

توقفتُ عن الجهود التي أبذلها لتسلق حافة السفينة؛ وقبضت بيدي اليسرى بقوة على الدرابزين وسحبت بيدي خنجري.

فعلى الأقل يجب أن أموت كما عشت مقاتلًا.

عندما جاء ثوريد قبالة مدخل المقصورة، كشف عنصر جديد عن نفسه في هذه المأساة المروعة التي تحدث عاليًا في الهواء على سطح سفينة ماتاي شانج المُعطلة.

كانت فايدور.

قفزت فايدور إلى سطح السفينة أمامي، مع وجه متوهج وشعر أشعث، وعينين دامعتين- تلك الدموع التي كانت تفخر هذه الإلهة بأن تكبتها.

كان في يدها خنجر طويل نحيل. ألقيت مبتسمًا نظرة أخيرة على أميرتي الحبيبة، كما يجب أن يفعل الرجال وهم على وشك الموت، ثم أدرتُ وجهي نحو فايدور في انتظار الضربة.

لم أشهد أبدًا هذا الوجه الجميل يبدو أكثر جمالًا من تلك اللحظة. من المذهل أن شخصًا بهذا الجمال يمكن أن يضمر داخله قلبًا بهذه القسوة والعناد. واليوم، يوجد تعبير جديد في عينيها الرائعتين لم أشهده أبدًا من قبل- تعبير ينم عن رقة غير مألوفة، ونظرة معاناة.

أصبح ثوريد بجوارها الآن، يدفعها في محاولة الوصول لي أولًا؛ ثم حدث ما حدث بسرعة مذهلة، حتى إنه انتهى قبل أن أدرك حقيقته.

امتدت يد فايدور النحيلة لتمسك بمعصم يد الرجل الأسود التي تحمل الخنجر. وامتدت يدها اليمنى عاليًا وهي تمسك بنصل لامع.

صاحت: «هذه من أجل ماتاي شانج!»، ودفنت نصلها بعمق في صدر الداتور، ثم واصلت: «وهذه من أجل الخطأ الذي كنت سترتكبه مع ديجاه ثوريس!»، ثم غاص الفولاذ الحاد مرة أخرى في الجسد الدامي.

«وهذه، وهذه، وهذه!»، صاحت قائلة: «من أجل جون كارتر، أمير هيليوم»؛ ومع كل كلمة، كان نصلها الحاد يخترق القلب الخسيس لهذا الوغد الكبير. وبقوة انتقامية، ألقت جثة رجل الأبناء الأوائل من على سطح السفينة لتسقط في ذلك الصمت المروع وراء جثة ضحيته.

شلتني المفاجأة، بحيث لم أتحرك خطوة واحدة للوصول إلى سطح السفينة أثناء هذا المشهد المذهل؛ ولا أزالُ مندهشًا من تصرفها الذي أعقب هذا المشهد. فقد مدت فايدور يدها نحوي وساعدتني للصعود إلى سطح السفينة، فوقفت أحدق في وجهها بانبهار وذهول واضحين.

مست ابتسامة شاحية شفتيها. لم تكن ابتسامة الإلهة القاسية والمتعجرفة التي نعرفها. قالت: «تتساءل يا جون كارتر ما الشيء الغريب الذي أدى إلى تغييري؟ سأقول لك. إنه الحب، حبُّك». وعندما اكفهر وجهي رفضًا لكلماتها، رفعت يدها بعطف.

وقالت: «انتظر. إنه حب مختلف عن حبي، إنه حب أميرتك ديجاه ثوريس؛ فأنت علمتني ما الحب الحقيقي، وكيف يجب أن يكون، وكيف كانت أنانيتي وغيرتي عليك بعيدة تمامًا عن الحب الحقيقي. أنا الآن مختلفة. يمكنني الآن أن أحب كما تحب ديجاه ثوريس، وسعادتي الوحيدة هي أن يجتمع شملكما مرة أخرى، فأنت لن تجد السعادة الحقيقية إلا معها. لكنني حزينة بسبب كل الشرور التي فعلتُها. فقد ارتكبت العديد من الآثام التي يجب التكفير عنها. وعلى الرغم من أنني خالدة، فالحياة برمتها قصيرة، لا تكفي للتكفير عن ذنوبي. لكن هناك طريقة أخرى. فإذا كانت فايدور، ابنة الهيكادور المقدس للثيرنيين المقدسين قد أخطأت، فما فعلته اليوم هو تعويض جزئي. وحتى لا تشك في صدق ما تقوله وحبها الجديد نحو ديجاه ثوريس أيضًا، سوف تثبت لك فايدور إخلاصها بالطريقة الوحيدة المتاحة: بعد أن أنقذتك فايدور، ستتركك لحضن أميرتك».

وبعد آخر كلمة قالتها، استدارت وقفزت من سطح السفينة إلى الهاوية أدناه.

اندفعتُ، وأنا أصرخ مفزوعًا، في محاولة يائسة لإنقاذ الحياة التي تمنيت طوال سنتين أن أسعد برؤيتها تنتهي. ولكن، فات الأوان.

ابتعدت سريعًا، بأعين غطتها الدموع، حتى لا أرى المشهد المروع في أسفل.

حطمت قيود ديجاه ثوريس، وعندما لفت ذراعيها حول عنقي ولمست شفتاها شفتيَّ، أنستني نشوةُ المكافأةِ الأهوالَ التي شهدتها والمعاناة التي قاسيتها.

❊ ❊ ❊

(١٦)

الحاكم الجديد

وجدتني مع ديجاه ثوريس، بعد انفصال دام اثني عشر عامًا، على سطح سفينة ثبت أنها عديمة الجدوى تمامًا. هناك تسرُّب شديد في خزانات الطفو، ولن يتحرك بالتالي محركها. كنا عاجزين وسط الجو أعلى جليد القطب الشمالي.

انجرفت السفينة عبر الهوة التي تضم جثث ماتاي شانج وثوريد وفايدور، وأصبحنا الآن مُعلَّقين فوق تل منخفض. فتحتُ صمامات الطفو، وبالتالي سمحت للسفينة أن تنخفض ببطء إلى الأرض. وما إن لمست الأرض، حتى نزلت ومعي ديجاه ثوريس من سطح السفينة، يدًا بيد، واستدرنا لنعود عبر الامتداد المتجمد إلى مدينة كادابرا.

سرنا يبطءٍ عبر النفق الذي قادني إليهم خلال بحثي، إذ كان لدينا الكثير لنتحدث فيه معًا.

أخبرتني عن تلك اللحظة الرهيبة الأخيرة التي عاشتها قبل أشهر، عند إغلاق باب زنزانة السجن داخل معبد الشمس ببطء بيننا؛ وكيف هجمت عليها فايدور رافعة خنجرها، وصراخ ثوفيا عندما أدركت نية إلهة الثيرن.

كانت تلك الصرخة ترن في أذني طوال الأشهر المضنية التي عشتها في شك قاس حول مصير أميرتي؛ فلم أعرف أن ثوفيا انتزعت النصل من ابنة ماتاي شانج قبل أن يلمسها أو يلمس ديجاه ثوريس.

وأخبرتني أيضًا عن أبدية سجنها الفظيع؛ وعن كراهية فايدور القاسية؛ وعن حب ثوفيا الرقيق وكيف كانت هاتان الفتاتان الحُمر، عندما يشتد اليأس، تتشبثان بنفس الأمل والاعتقاد: إنَّ جون كارتر سيجد طريقة لتحريرهما.

وصلنا الآن إلى غرفة سولان. كنت أسير دون التفكير في توخي الحذر؛ لأني كنت على يقين أن كلًّا من المدينة والقصر قد أصبح الآن في أيدي أصدقائي.

وهكذا دخلت إلى الغرفة لأجد دزينة من نبلاء بلاط سالينسوس أوول. كانوا يمرون متوجهين إلى العالم الخارجي من خلال الممرات التي انتهينا من عبورها.

توقفوا عند رؤيتنا، واتسعت ابتسامة قبيحة على وجه قائدهم.

صاح وهو يشير ناحيتي: «هذا هو سبب كل ما نعانيه! سنشعر بالارتياح بانتقام جزئي على الأقل، عندما نترك وراءنا جثتين مشوهتين لأمير وأميرة هيليوم».

«وعندما يجدونهما»، واصل وهو يهز إبهامه إلى أعلى نحو القصر، «سيدركون أن انتقام الرجال الصُّفر يُكلف خصومهم فقد أعزائه. استعد للموت يا جون كارتر، لكن نهايتك ستكون شديدة المرارة، وعليك أن تعرف أنني قد أغير رأيي في إنزال موت رحيم بأميرتك؛ فربما أحتفظ بها لتسلية النبلاء».

وقفتُ بالقرب من الجدار المغطى بالأجهزة والأدوات، وديجاه ثوريس إلى جانبي. نظرت نحوي بتعجب؛ إذ يتقدم المحاربون نحونا رافعين سيوفهم، بينما سيفي لا يزال معلقًا في غمده إلى جانبي، وعلى شفتي ابتسامة.

نظر النبلاء الصُّفر نحوي متعجبين أيضًا. ولـمَّا لم أتحرك لامتشاق سيفي، ترددوا خوفًا من أي حيلة، لكن قائدهم حثهم. وعندما وصلوا تقريبًا بالقرب من سيفي، رفعت يدي ووضعتها فوق سطح الرافعة الكبيرة المصقول، ثم نظرت مبتسمًا بتجهم، في وجه خصومي.

توقفوا جميعًا فجأةً، وهم يلقون نظرات مرتعبة إلى يدي وإلى بعضهم البعض.

صرخ قائدهم: «توقف! لا تحلم بأن تفعل ذلك!».

أجبته: «معك حق، جون كارتر لا يحلم؛ بل يعرف، يعرف أن أي شخص منكم يتخذ خطوة واحدة أخرى نحو ديجاه ثوريس أميرة هليوم، فسوف يسحب الرافعة لآخرها، وستموت الأميرة وأموت معها، لكننا لن نموت بمفردنا».

تراجع النبلاء وهم يتهامسون معًا لبضع لحظات. وفي النهاية خاطبني قائدهم،

وقال: «اذهب في طريقك يا جون كارتر، وسوف نذهب نحن في طريقنا».

أجبته: «السجناء لا يذهبون إلى طريقهم، وأنتم سجناء؛ سجناء أمير هيليوم».

وقبل أن يتمكن من الإجابة، فُتح باب في الجانب الآخر من الشقة ودخل عشرات من الرجال الصُّفر. بدا شعور بالارتياح على النبلاء، ثم تغيرت ملامحهم في لحظة عندما سقطت أعينهم على قائد المجموعة الجديد؛ فقد كان تالو أمير ماريتنينا المتمرد، وهم يعرفون أنهم لا يمكن أن ينتظروا منه معونة أو رحمة.

صاح تالو: «حسنًا فعلت يا جون كارتر. لقد استخدمت مصدر قوتهم الجبارة ضدهم. من حسن حظ أوكار أنك كنت هنا لتمنع هروبهم؛ فهؤلاء هم أقوى الأشرار في شمال الحاجز الجليدي، وهذا الشخص -مشيرًا إلى قائد المجموعة- كان ليجعل من نفسه جيداك كل الجيداك بعد موت سالينسوس أوول. وبالتالي، يصبح لدينا حاكم أكثر خِسة من الطاغية المكروه الذي سقط بسيفك».

خضع نبلاء أوكار الآن للقبض عليهم؛ فلن يواجهوا سوى الموت إذا قاوموا. خرجنا برفقة مجموعة تال في اتجاه القاعة العامة الكبرى، التي كانت من قبل تحت سيطرة سالينسوس أوول، حيث وجدنا حشدًا كبيرًا من المحاربين.

ضمت القاعة رجال هيليوم وبتارث الحُمر، ورجال الشمال الصُّفر، وبجوارهم الرجال السود من الأبناء الأوائل الذين جاءوا بقيادة صديقي زودار للمساعدة في البحث عني وعن أميرتي. كما ضمت القاعة المحاربين الخُضر الوحشيين من قيعان البحر الميت في الجنوب، وحفنة من الثيرن ذوي البشرة البيضاء الذين تخلوا عن عقيدتهم وأقسموا الولاء لزودار.

وكان هناك تاردوس مورس، ومورس كاجاك، بالإضافة إلى شاب قوي طويل القامة ويرتدي أغطية المحاربين الرائعة- إنه ابني كارثوريس. اندفع ثلاثتهم نحو ديجاه ثوريس عندما دخلنا القاعة. وعلى الرغم من أن حياة وتدريب المريخي الملكي لا تميل نحو المظاهر العامة، فأعتقد أنهم كادوا يخنقونها بأحضانهم.

كان هناك أيضًا تارس تاركاس، جيداك ثارك، وكانتوس كان، صديقاي القدامى؛ كما كان عزيزي وولا يقفز ويمزق عتادي بجنون محموم وسعادة، تعبيرًا عن حبه الكبير.

انطلقت الهتافات طويلًا وبصوت عال على مرأى منا. وكان رنين الأسلحة المعدنية يصم الأذان؛ حيث رفع قدامى المحاربين بكل مجموعة مريخية سيوفهم معًا لأعلى رمزًا للنجاح والنصر. لكنني عندما مررتُ بين حشد النبلاء والمحاربين وجيداك كل الجيداك، كان قلبي لا يزال ثقيلًا؛ فهناك وجهان مفقودان، تمنيت أن أراهما -ثوفان ديهن، وثوفيا البتارثية- حيث لم أجدهما في القاعة الكبرى.

سألتُ عنهما رجال كل أمة، وأخيرًا عرفت من أحد أسرى الحرب

الصُّفر أن أحد ضباط القصر اعتقلهما وهما يحاولان الوصول إلى حفرة الوفرة الخادعة عندما كنتُ سجينًا فيها.

لم أكن في حاجة إلى معرفة سبب ذهاب الجيداك الشجاع وابنته الوفية إلى الحفرة. وقد أخبرني الأسير أنهما الآن في إحدى زنازين القصر العديدة المدفونة، ريثما يتخذ طاغية الشمال قرارًا بشأن مصيرهم.

وفي لحظات، بدأت فرق البحث في تمشيط الركام القديمة بحثًا عنهما. واكتملت سعادتي عندما رأيتهما يدخلان القاعة برفقة حرس الشرف ووسط هتافهم.

كان أول ما قامت به ثوفيا هو اندفاعها نحو ديجاه ثوريس؛ ولم أكن في حاجة إلى إثبات الحب الذي تحمله كل منهما للأخرى أفضل من صدق احتضانهما.

كان عرش أوكار يطل، صامتًا وفارغًا، على القاعة المزدحمة.

من بين جميع المشاهد الغريبة التي شهدها ذلك العرش منذ العصر القديم المنصرم الذي شهدت جلوس أول جيداك كل الجيداك عليه، لا توجد أي مقارنة بالمشهد الذي أمامه الآن. وعندما فكرت مليًا في ماضي ومستقبل هذا العِرق من الرجال الصُّفر الملتحين الذين دُفِنوا طويلًا، رأيت أن وجودهم سيصبح أكثر إشراقًا ونفعًا بين الأسرة الكبيرة التي تضم أممًا صديقة تمتد الآن من القطب الجنوبي إلى أبوابهم تقريبًا.

لقد وجدتُ نفسي، منذ اثنين وعشرين عامًا، عاريًا وغريبًا في هذا العالم الغريب والوحشي. وكانت يد كل عِرق وأمة مرفوعة في حرب

الهدم الكامل لحارس الشمال القاتم بناء على أوامر الجيداك الجديد لكل الجيداك.

وعندما استُكمِلت عملية التدمير، قال: "من الآن فصاعدًا يحق لأساطيل الرجال الحُمر والسود الدخول والخروج عبر الحاجز الجليدي بمثل ما يعبرون أراضيهم. سنتولى تطهير كهوف كاريون بحيث يجد الرجال الخُضر طريقة سهلة للهبوط على أرض الصُّفر؛ وسيصبح صيد مخلوق الأيت المقدس رياضة النبلاء، حتى لا ترى أعيننا مرة أخرى أيًا من تلك المخلوقات البشعة تتجول في الشمال المتجمد".

ودعنا أصدقاءنا الصُّفر بحزنٍ حقيقيٍّ، ثم أبحرنا إلى بتارث. بقينا هناك لمدة شهر، بدعوة من ثوفان ديهن. وكان تقديري أن كارثوريس ربما بقي هناك إلى الأبد إن لم يكن أمير هيليوم".

حلقنا فوق الغابات الجبارة في كاول إلى أن وصلتنا كلمة من كولان تيث جعلتنا نهبط على برج الهبوط الوحيد، واستغرقت السفن اليوم بطوله ونصف الليل لإنزال طواقمها. زرنا مدينة كاول، ونجحنا في تدعيم الروابط الجديدة التي تشكلت بين كاول وهيليوم. وبعد تحليق ليوم طويل لا يمكن نسيانه، شاهدنا الأبراج الطويلة النحيلة للمدينتين التوأم في هيليوم.

كان الشعب يستعد منذ فترة طويلة لاستقبالنا. امتلأت السماء بلافتات رائعة مزخرفة، وامتد الحرير والنسيج المزخرف الثمينين فوق كل سطح في المدينتين.

تناثر الذهب والجواهر على الأسطح والشوارع والميادين، بحيث

بدت المدينتان متقدتين بشعلات قلوب الأحجار الرائعة والمعادن المصقولة التي تعكس ضوء الشمس الساطع، وتغييره إلى عدد لا يُحصى من الأشكال المجيدة.

أخيرًا، وبعد اثني عشر عامًا، اجتمع شمل الأسرة المالكة في هيليوم في مدينتهم الجبارة، محاطين بجنون فرح الملايين أمام بوابات القصر. بكت النساء والأطفال والمحاربون الأقوياء امتنانًا للقدر الذي أعاد تاردوس مورس الحبيب والأميرة المحبوبة من الأمة بأسرها. وقد نال كل مَن شارك في هذه البعثة، المحفوفة بأخطار تفوق الوصف، مجد التصفيق والاستحسان.

جاءني في تلك الليلة رسول وأنا جالس مع ديجاه ثوريس وكارثوريس على سطح قصر مدينتي؛ إذ لم يجتمع ثلاثتنا منذ فترة طويلة بعد إعداد حديقتنا، سعيًا للعزلة والسعادة الهادئة، بعيدًا عن الأبهة ومراسم البلاط. أبلغني الرسول باستدعائنا إلى معبد الجزاء، حيث يواجه شخص المحاكمة هذه الليلة.

أجهدتُ ذهني في محاولة تحديد القضية المهمة المُعلقة التي تتطلب استدعاء الأسرة المالكة من قصرها عشية عودتهم إلى هيليوم بعد سنوات من الغياب؛ ولكن عند استدعاء من الجيداك، لا يمكن التأخير.

عندما هبطت سفينتنا على منصة الهبوط فوق المعبد، شاهدنا عددًا لا يُحصى من السفن الأخرى القادمة والمغادرة. كما شاهدنا في الشوارع أسفلنا حشدًا كبيرًا يندفع نحو بوابات المعبد الكبيرة.

بدأتُ أتذكر ببطء الموت المؤجل الذي ينتظرني منذ تلك الفترة التي حاكمني فيها هنا في المعبد زات أراس، لخطيئة العودة من وادي دور وبحر كوراس المفقود.

هل يمكن أن معنى العدالة الصارم الذي يهيمن على رجال المريخ قد جعلهم يتغاضون عن الخير العظيم الذي نتج من هرطقتي؟ هل يمكنهم تجاهل أن الفضل في إنقاذ كارثوريس، وديجاه ثوريس، ومورس كاجاك، وتاردوس مورس يرجع لي، ولي وحدي؟!

لا يمكنني تصديق ذلك. وإلَّا فلأي غرض آخر يتم استدعائي إلى معبد الجزاء بمجرد عودة تاردوس مورس إلى عرشه؟

كانت دهشتي الأولى عندما دخلت إلى المعبد واقتربت من عرش الحق، ورأيت الرجال الجالسين بوصفهم قضاة: كولان تيث، جيداك كاول، الذي غادرنا قصره منذ بضعة أيام؛ وثوفان ديهن، جيداك بتارث، كيف وصل إلى هيليوم في نفس وقت وصولنا؟

كان هناك تاركس تاركاس، جيداك ثارك؛ وزودار، جيداك الأبناء الأوائل؛ وتالو، جيداك كل الجيداك في الشمال، الذي أكاد أقسم أنه لا يزال في مدينته الجليدية الدافئة وراء الحاجز الشمالي. جلس بينهم أيضًا تاردوس مورس، ومورس كاجاك، وعدد قليل من الجِد والجيداك لاستكمال عدد ٣١ الذين يجب أن يجلسوا للحكم على زميلهم.

يا لها من محكمة ملكية بحق؛ وأعتقد أن مثل هذه المحكمة لم تجتمع من قبل خلال تاريخ المريخ القديم كله.

ما إن دخلت القاعة، حتى ساد الصمت بين الحشود التي تجمعت في القاعة؛ ثم وقف تاردوس مورس.

وقال بصوته الحربي العميق: "جون كارتر، إن مكانك عند منصة الحقيقة، لمحاكمتك أمام محكمة عادلة ونزيهة تضم زملاءك".

نفذت برأس مرفوعة ما طلبه. وعندما تجولت ببصري حول هذه الدائرة من الوجوه التي كان يمكنني منذ لحظة أن أقسم أنهم أفضل أصدقائي في برسوم، لم ألمح نظرة ودية واحدة، وإنما رأيتُ فقط قضاة صارمين أشداء، يقومون بواجبهم.

نهض كاتب الجلسة وقرأ من كتاب ضخم قائمة طويلة من أفعالي البارزة التي أتصور أنها موضع فخر، وتغطي فترة طويلة تمتد ٢٢ سنة؛ منذ أولى خطواتي عبر قاع البحر بجوار حضانة الثاركيين. قرأ أيضًا كل ما قمتُ به في محيط جبال أوتز، حيث كان يسيطر الثيرنيون المقدسون والأبناء الأوائل.

هذا هو الأسلوب في برسوم: تلاوة فضائل الرجل وخطاياه عند محاكمته. ولذلك، لم أُفاجأ عند قراءة فضائلي أمام القضاة -الذين يعرفونها جميعًا عن ظهر قلب- بل وحتى اللحظة الراهنة. وعندما توقف القراءة، نهض تاردوس مورس.

وقال بصوت عال: "يا أعدل القضاة، لقد سمعتم تلاوة كل ما هو معروف -سواء الجيد أو السيئ- عن جون كارتر أمير هيليوم. ما حكمكم؟".

بدأ تارس تاركاس ينهض ببطء، كاشفًا عن طوله الشاهق الجبار، حتى بدا كتمثال برونزي أخضر أطول منا كثيرًا. نظر نحوي بعينين يملؤهما التهديد - إنه تارس تاركاس، الذي خضت معه معارك لا حصر لها، وأحببته كشقيق.

كدت أبكي، لولا غضبي المجنون الذي جعلني على وشك سحب سيفي في مواجهتهم جميعًا.

واصل قائلًا: "يا قضاة، لا يوجد سوى حكم واحد. لم يعد يجوز اعتبار جون كارتر أميرًا ليهليوم"، وبعد لحظة توقف، "وإنما يجب أن يصبح جيداك كل الجيداك، أمير الحرب في برسوم!".

وعندما وقف القضاة، وعددهم ٣١ قاضيًا، وسيوفهم مرفوعة دليلًا على موافقتهم الإجماعية على الحُكم، انطلقت عاصفة على مدى طول وعرض وارتفاع هذا المبنى الجبار، حتى اعتقدت أن السقف سيقع من رعد الصياح المجنون.

أدركت أخيرًا الفكاهة القاتمة في الأسلوب الذي اتبعوه لمنحي هذا الشرف العظيم. أما فكاهة اللقب الذي منحوني إياه، فقد دحضها بسهولة صدق التهاني التي انهالت عليَّ من القضاة أولًا ثم النبلاء.

سار الآن خمسون من أعظم النبلاء في أعتى محاكم المريخ، في طريق الأمل وهم يحملون عربة رائعة فوق أكتافهم. وعندما رأى الناس مَن يجلس داخلها، بدت الهتافات التي ارتفعت من أجلي باهتة بجانب تلك التي تعالت كالرعد عبر أنحاء الصرح الواسع؛ فقد كان النبلاء يحملون ديجاه ثوريس، أميرة هيليوم المحبوبة.

أمـير الحـرب في المريخ

كثيرون يعرفون الأديب الأمريكي ادجار رايس بوروز بأنه مؤلف طرزان، تلك الشخصية التي اشتهرت في العالم كله، وتم تمثيلها العديد من المرات.

وها نحن نقدم للقارئ العربي واحدةً من أجمل ما كتب بوروز، إنها ثلاثية برسوم: أميرة المريخ- آلهة المريخ- أمير الحرب في المريخ. ولقد حققت هذه السلسلة شهرةً كبيرةً لبوروز، وجعلته نجماً لامعاً، بيع من كتبه ملايين النسخ، وتُرجمت أعماله لأكثر من 40لغةً.

هنا سيصادف القارئ الفانتازيا والخيال العلمي في شكل مغامراتٍ تجري على كوكب المريخ. سيجد الإثارة والتشويق، وسلاسةً في تلاحق الأحداث. إن هذه السلسلة جديرةً بالاقتناء والقراءة.

آفاق
للنشر والتوزيع
AFAQ BOOKS